مقدمة التحرير

عن الاهتمام بالتاريخ اليمني

بدا اهتمام العلماء في العالم بحضارة العرب القديمة في جنوب شبه الجزيرة العربية في فترة مبكرة من القرن الثامن عشر . وفي كتابه ((من كوبنهاجن الى صنعاء)) ـ الصادر في الدانمرك عام ١٩٦٢م، ثم بالانجليزية عام ١٩٦٤ م ، ثم بالعربية عام ١٩٦٩ م ، رصد الكاتب الدانمركي: ثوركهيل هانسن الحكاية الدرامية والمثيرة لاول بعثة علمية اوربية جهزت تجهيزا علميا عاليا ، حتى يتسنى لها اجراء مسح أولي في ((منطقة الشرق الادنى القديم)) ، رغم ان هدفها الرئيس كان: اليمن.

انطلقت البعثة ـ المكونة من خمسة علماء ـ في الرابع من شهر كانون الثاني/يناير عام ١٧٦١م. وفي مساء العشرين من شهر تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٧٦٧م عاد كارستن نيبور وحيدا الى مدينته كوبنهاجن . وما بين التاريخين مات اصدقاؤه العلماء الاربعة.

وهكذا نجد ان الاهتمام العالمي باليمن ظهر في فترة مبكرة ولكن هذا الاهتمام لم يتصاعد بالقدر الذي وجدناه في حضارتي : مصر القديمة..وبلاد مابين النهرين .

وعدا البعثة الامريكية الغامضة ، والتي قادها ويندل فيلبس في الشهر الثاني من عام ١٩٥٠م قام عدد لاباس به من العلماء الاجانب والعرب بزيارات شخصية متقطعة الى اليمن .

وأزاحت العاديات واللقى المكتشفة عن قضايا هامة في تاريخ اليمن القديم ، خاصة في المجال اللغوي . ولكن الغموض مازال مذهلا في التاريخ القديم للعربية السعيدة . واذا تركنا جانبا الاختلافات الواضحة في قوائم العلماء للدول والملوك ، نجد أن هناك صمتا صعبا في جميع النقوش المكتشفة الى الآن ، لكل ما يتعلق بالفعاليات الثقافية والفكرية . نعم . لقد بدا اهتمام العلماء في العالم باليمن في فترة مبكرة من القرن الثامن عشر ، ولكننا نلاحظ ان المائة سنة الاخيرة كانت كافية لكشف أهم الوثائق التاريخية والعلمية في مصر القديمة وبلاد مابين النهرين . ففي عام ١٨٥٠ م لم يستطع هنكز ان يقول رأيا حاسما في حضارة سومر . ولكن تعاون العلماء من مختلف الامم ادى الى كشف أسرار خطيرة ما كنا لنتصورها ، مثل الكشف عن ملحمة جلجامش، في حضارة بلاد مابين النهرين ، أو على سبيل

المثال لا الحصر : بردية رايند الرياضية في مصر القـــديمة .

وفي سورية برهن اكتشاف اوغاريت على وجود اقدم ابجدية في التاريخ ، وتصاعد الاهتمام العالمي بها ، بتسارع أكبر ، اثر اعلان البعثة الايطالية عن اكتشافها لمدينة ايـــلا الحضارية في (تل مرديـــخ) .

وهنا تظهر في الافق العربي بداية فعالة لتكامل الذاكرة الحضارية في منطقة الشرق العربي ، التي لم تكن العربية السعيدة ، في أي مرحلة من مراحل الحضارة العربية ، خارجة عنها أو منفصلة . ولهذا السبب لايقوى المرء على تصور تكامل حقيقي في ذاكرة العرب الحضارية الا اذا تصاعد من جديد ، وبشكل متسارع ، الاهتمام العلمي باليمن ، على الصعيدين العربي والدولي .

وتسعى هذه المجلة الى ان تكون منبـــرا لكل الباحثين : العرب والمستشرقين ، أوجدتها وزارة الاعلام والثقافة في الجمهورية العربية اليمنية لكي يلتقي في ((مساحتها)) العلماء والباحثون ، تصعيدا لكتابات علمية هامة عن جنوب شبـــه الجزيرة العربية : اليمن .

ونعتبر مايكتب عن مساهمات أهل اليمن في القرون الوسطى ، علميا وثقافيا وفكريا، اضاءات هامة على زاوية من زوايا حضارة العرب ، تخليدا لدور من اعظم الادوار الحضارية في تـــاريخ الانسانية، والذي مايزال اداؤه الفعال والانساني، مثار دهشة العلماء والباحثين في انحاء الارض .

ولقد كان اختيار اسم المجلة : الاكليل ، منسجما مع الهدف الـــذي نامل أن نصـــل اليه ، بجهود العلماء والباحثين اولا .. وباخلاصنا ثانيا .

وقديما عرف عرب اليمن بالوفـــاء والحب ، وسيلمس الباحثون ، خلال أشهر قليلة ، الصيغ الجديدة التي تطرحها ((الاكليل)) لتقديرهم . فعدا التعبير عن مانشعر به من جلال العلماء ودورهم الانساني الهام ، ستحاول المجلة اقناع المسؤولين في اليمن بضرورة اقامة المؤتمرات التاريخيـــة والعلمية ، تخليدا لذكرى الهمداني ، ونشوان وعمارة ، والمرتضى الزبيدي وغيرهم ، وتكريسا لتقاليد جديدة تذيب المسافات بين العلماء .

ويضم عددنا الاول مجموعة من الدراسات والمقالات نامل ان تكون قد أحاطت باهداف المجلة، واشتملت على تلك الاوليات التاريخية الضرورية التي كانت سببا رئيسا وراء انشاء هذه المجلة من قبل وزارة الاعلام والثقـــافة في الجمهورية العربية اليمنية .

ولايسعنا في تقدمة هذا العدد الا ان نشكر الاساتذة العلماء والباحثين والكتاب الذين كان لهم الفضل في ظهور عدد الاكليل الاول ، مع مطلع السنة الجديدة : ١٤٠٠ للهجرة (الموافقة ١٩٨٠م) .

* التحرير

مُقابلة مع العلاّمة العربي

د. جواد علي

سجل الحوار: أحمد ابراهيم الصغيري

حين وضع العلامة العربي الكبير د. جواد علي مقدمته للمجلد الاول من كتابه الهام « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، ناشد العلماء والمؤسسات والكوادر الشابة بضرورة الانتباه الى أهمية التخصص بتاريخ العرب القديم ، وتوجه برجاء حار الى جامعة الدول العربية والدول العربية ، وتمنى على الجميع ان يحققوه وهو:

« ارسال بعثات من المتخصصين بالآثار وباللهجات وبالاقلام العربية القديمة الى مواطن الآثار في اليمن وفي بقية العربية الجنوبية والمواضع الاخرى من جزيرة العرب التنقيب عن الآثار ، والكشف عن تاريخ الجزيرة المطمور تحت الاتربة والرمال ، ونشره نشرا علميا ، بدلا من ان يكون اعتمادنا في ذلك على الغربيين . أفلا يكون من العار علينا ان نكون عالة عليهم في كل امر ، حتى في الكشف عن تاريخنا القديم » ـ المجلدالاول الصفحة ٩ ، طبعة ١٩٦٨ .

● وبعد أحد عشر عاما ، هل هناك امل بان يظهر من ينصت ويترجم هذا النداء العلمي الحار ؟

● لايختلف اثنان في هذه الامة على ان العلامة العربي د. جواد علي واحد من اهم المؤرخين العرب في العصور الحديثة . واضافة الى مصادره التاريخية المتنوعة والغنية ومعارفه الدقيقة لمراحل تشكل الحضارة العربية ، في مختلف العصور، اظهر الدكتور جواد علي اخلاصا واعيا لعلوم التاريخ ، وكان اعتقاده دائما هو « مايراه بحسب العلم والتحقيق » ـ ص ٦ ، ج ١ ـ ومن هنا طالعت المتتبعين وبعض المتخصصين قوة البرهان على « وحدة الحضارة العربية رغم تنوعها » . والقارىء للمجلدات التسعة او لموسوعته التاريخية : « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » ، يدرك تماما ذلك الجهد الجبار الذي بذله العلامة جواد ، بل وما هدف اليه بعد هذا الاشتمال لتاريخ العرب القديم.

ان « المفصل » كموسوعة لتاريخنا القديم، مادة ضرورية وواعية قد اصبحت في متناول الباحثين عن حضارة العرب القديمة . وصحيح أن هناك ناظما في كل الموضوعات ، الا ان مجرد الاعتقاد بأن كتابا واحدا بحجم المجلد الاول او حتى التاسع ، يكفي لتكريس هذا الناظم الحضاري في اذهان العرب المعاصرين ـ من غير المتخصصين

ـــ انما هو اعتقاد خاطىء . فهذا التفصيل والتوسع يفتح الطريق ليتا وآمنا لكل الباحثين الشباب الذين يطلبون دائما « مقدمات » القضايا .. ومصادر الخلاف بين العلماء ، في الآراء .. او القراءات .

ولقد حرصت مجلة الاكليل في عددها الاول ، على ان تكسب من العلامة جواد علي ، مايضيء تاريخنا .. العريق .

● **الاكليل : هل انتهى المؤرخون من تقييم ما عرف بقوانين « قتبــان » ، ومارأيكم بها ؟**

● **د. جواد علي :**

لم ينتبه الباحثون من تقييم ماعثر عليه مـن قوانين في ارض قتبان ، وانما هم في بحث مستمر في تفسيرها مثل القانون اليماني الذي عثر عليه في مدينة « تمنع » العاصمة . ولكن هذا لايعني ان قتبان قد اختصت وحدها بالتقنين ، فهنالـك قوانين اخرى جزائية وغير جزائية عثر عليها في ارض سبأ او حضرموت او معين ، وانما هو من باب الصدف ان عثر على قوانين في ارض قتبــان فاشتهرت قتبان بقوانينها ..

وارجو ان يأتي يوم يقوم فيه المختصون بدراسة هذه القوانين ومطابقتها بالقوانين التي عرفت عند اهل الاخبار عن العرب الشماليين او في القوانين الرومانية والبيزنطية مثل مدونة «جوستنيان» .

● **الاكليل : من أين نشأت برأيكم الفروقات اللغوية بين المعينية ، السبئية ، والحميرية وغيرها، هل هي فروقات قواعد ام لهجات محلية ؟**

● **د. جوا دعلي :**

ـــ ان اللهجات المعينية والسبئية والحميرية وغيرها مثل الاوسانية والقتبانية والامهرية .. هي لهجات لاتختلف في الاصول الصرفية والنحـوية وانما تختلف في موضوع تحويل المصدر الى فعل باضافة حرف « هـ » في السبئية ، وحرف «س» في اللهجات الاخرى على المصدر ، فيتحول الى فعل ماض .. ثم فروق اخرى .

ويلاحظ ان الكتابات المتاخرة قد تاثرت باللهجات العربية الشمالية باستعمالها بعض الكلمات العربية الشمالية وذلك عن طريق هجوم الاعراب بعـد الميلاد على اليمن منتهزين فرصة تدخل الاحباش في اليمن وانشغال الحكومات بالتقاتل فيما بينها ، فنجد دخول كلمات لم تكن موجودة ولا معروفة في الكتابات اليمنية القديمة .

● **الاكليل :**

هل ظهرت علاقة مابين جنوب الجزيرة العربية والمدنيات المكتشفة في قطر ، البحرين ، الكويت؟.

● **د جواد علي :**

ـــ ان الدراسات لاتزال غـير مكتملة عـن الحضارة اليمنية .. وآراء الباحثين فيها مختلفة ، فمنهم من بحث عن الصلات بين اليونانية وبين اليمانية من حيث التأثر بضرب النقود ، وبالناحية الفنية مثل التماثيل ، ثم في موضوع الاختام وصلاتها بالاختام التي عثر عليها في الخليج ، ولكن هذه البحوث لاتزال في البدء ، ونرجو ان يأتي يوم تتعمق فيه هذه الدراسات ، ويقوم بها خبراء من اصحاب الاختصاص .

● **الاكليل :**

ماهو تقييمكم الاجمالي لابي محمد الحسـن الهمداني ؟.

● **د. جواد علي :**

ـــ كان له فضل كبير ولاشك على الدراسات اليمانية القديمة .. ولكنه عاش في زمن كانـت الصلة فيه بين اهل اليمن من الاحياء وبين اهل اليمن القدماء ، قد ضعفت،ولذلك جاءت بحوثه، في باب ترجمة الخطوط ، على سبيل المثال ، ضعيفة وفيها هفوات كثيرة . فمثلا : استخدم كلمة « بن » بمعنى « ابن » ، بينما هي من أحرف الجر في خط المسند ، وبذلك وقع في اخطاء كثيرة بالنسبة للانساب ، وفي ترجمة الكتابات القديمة.

ولكنه صاحب فضل عظيم علينا بالنسبة لماذكره عن تاريخ اليمن ، ومواضعها والآثار التي شاهدها في ذلك الحين ، وبنقله آراء اهل زمانه الينا .

● **الاكليل : ماذا تنصح المسؤولين عن الآثار**

والعاديات في اليمن ، ان يقوموا به حتى يتم مسح اليمن بالمستوى الذي تحقق في العراق ومصر ؟. ولو اردتم أن تسبروا منطقة ما في اليمن فباي مدينة او نقطة حضارية ستنطلقون ؟

● **د. جواد علي :**

— رايي ان تاريخ اليمن لايكتبه بادراك ووعي الا اهل اليمن الذين سيتخصصون بدراسة الحضارة اليمنية العريقة والذين درسوا دراسة حديثة ، مثل دراسة الخط ودراسة الآثار والفحص الكيماوي وما شاكل ذلك من فروع العلم والتاريخ . لان لأهل اليمن صلة بالتاريخ القديم. ففي لهجاتهم الحالية شرح للالفاظ اليمانية القديمة وادراك لفهم ماكانوا يقصدونه في كتاباتهم تلك . اما اهل الاقطار العربية الاخرى فانهم ادرك بتاريخ اليمن من المستشرقين . وذلك لانهم على علم تام بالنواحي اللغوية والفكرية والدينية وما تعنيه الكتابات القديمة . اما المستشرق فيصعب عليه فهم هذه الامور لان بيئته وادراكه للمسائل يختلفان كليا ، رغم صبره واسلوبه العلمي الحديث في البحث .

على كل فان المستشرقين هم اصحاب الفضل في ارشادنا اليوم الى تاريخ اليمن وتاريخ العرب قبل الاسلام . وهم اساتذتنا في الوقت الحاضر . وعلى اهل اليمن وابناء العرب اجمعين ان يقوموا الآن بالدور الذي يقوم به المستشرقون سواء بسواء .. يساعد بعضهم بعضا في كشف هذا التراث القديم لهذه الامة التي لم يدرس تاريخها على وجه صحيح حتى اليوم .

ان اليمن مركز الحضارات ، وفي اي بقعة منها حضارة وثقافة وذلك لتوفر مادة الحضارة فيها ، اكثر من الاماكن الاخرى في جزيرة العرب التي اكتسحتها الصحراوية والطبيعة القاسية ، وهذا مما يدل على ان للبيئة على العرب شأنا كبيرا في توزيع الحضارات في جزيرة العرب.

● **الاكليل : ماهو نظام العد عند اليمنيين القدماء ، هل كان عشريا .. أم خماسيا .. ام ستينيا ؟.**

● **د. جواد علي :**

— نظام العد عند اليمنيين القدماء يرمز اليه بخطوط وبحروف احيانا . فحرف « الخاء » يدل على خمسة « ٥ » — اختصار كلمة «خمسة» — وحرف العين « ع » يدل على عشرة « ١٠ » ، وحرف الالف « أ » يدل على الف «١٠٠٠» . ثم تضاف الى ذلك خطوط او حروف حسب الرقم المطلوب .

وهذه الارقام التي نستعملها في الوقت الحاضر لاتوجد في طريقة تدوين العدد في الخط المسند .

وقد كان قدماء الشعوب يستعملون الحروف رمزا للاعداد ، ولازال الشعراء ، في الوقت الحاضر ، يؤرخون بالحروف حين يؤرخون موت وجيه او تدوين حادث من الاحداث .

● **الاكليل : هل وجدت نقوش او مدونات تتحدث عن معارف علمية فلكية او اقتصادية بحيث نشتق منها بعض المعلومات عن علوم : الحساب، الفلك ، الجبر ... مثل معلوماتنا عن الحضارة المصرية القديمة ، بعد اكتشاف بردية رايند كمثال؟**

● **د. جواد علي :**

— ان جوابنا عن المدونات المدونة بالعلوم او بالنواحي الاقتصادية .. فذلك أمر يؤسف له في الوقت الحاضر ، لعدم ورود شيء من ذلك مدونا تدوينا علميا . فلا توجد لدينا مدونات في الطب مثلا ، او في الرياضيات . بل ولا حتى في الشعر او الدين او الادب .

واملنا الوحيد هو في المستقبل . فلا يعقل عدم وجود مؤلفات عند اهل اليمن في المعارف الانسانية . وسبب ذلك هو ان العلوم تكتب عادة على مواد يمكن طيها او لفها او تجليدها في كتاب . وهذه توضع عادة في صناديق او في خزائن تحفظ في مكتبات او اماكن خزن . وقد تتعرض للتلف او للحريق ، وقد تدفن.

ولما كان علماء الآثار لم يتعمقوا بعد في سبر غور الارض والبحث في الاعماق ، ولهذا فانها كامنة في جوف الارض « على ما اتصور » .

والحكم في ذلك يعود الى المستقبل حين يقوم النقابون بالتنقيب العميق في باطن الارض .

وتنقيباتنا في الوقت الحاضر هي سطحية على الاكثر .. اي تشمل سطح الارض لا باطنها . وفرق كبير بين التنقيبين . ولو كانت التنقيبات في مصر او في العراق سطحية ، مثلا ، لما عرف علماء الآثار هذه المعرفة الواسعة التي عرفوها عن آثار مصر والعراق ، بفضل التنقيب العمقي للارض .

● **الاكليل : ماذا عن خط المسند ثم الخط الكنعاني المعروف بالفينيقي ، هل تم حسم بدايات كل من الخطين حتى نفهم متى نشا اول خط في الشرق ؟.**

● **د. جواد علي :**

ــ لاتوجد نظرية علمية مسلم بها عن كيفية نشوء الخط العربي الجنوبي ، ولذلك لا استطيع ان اربط بين الخط الذي نسميه المسند وبين الخط الكنعاني او الخط الذي عثر عليه في « ايبله » بسوريا من عهد قريب ، ولا بالكتابة الاوغاريتية او الفينيقية .. والظاهر ــ في رايي ــ ان الخط العربي الجنوبي يمثل فصيلة من فصائل الكتابات في العالم التي لانعرف عنها كثيرا في الوقت الحاضر .

ويجب التوسع في دراسة هذا الخط والبحث عنه في الاعماق لنتمكن من تثبيت تواريخها ودراسة صلاتها بالكتابات الاخرى .

اما مانسميه بالمسند ، فكلمة مسند في المربيات الجنوبية بمعنى خط ، ويظهر ان علماء الاخبار لم يكن لديهم علم بهذا المعنى فظنوا ان كلمة مسند اسم علم على الخط العربي الجنوبي فسموه المسند ، وشاعت هذه التسمية حتى اليوم . ويطلق بعض المستشرقين على هذا الخط « الخط الحميري » وهي تسمية مغلوطة لان هذا الخط معروف قبل الحميريين ، وقبل الميلاد . فتسميته بالحميرية تسمية غير علمية .

وخط المسند في نظري اقرب الى المفهوم العلمي من التسمية الحميرية .

● **الاكليل : هل كانت زيارتكم لعدن مركزة للتحقق من بعض النقاط التاريخية الغامضة أمكانت رحلة معاينة واستطلاع ؟ وبشكل عام ماذا خرجتم به من نتائج بعد رحلة علمنا انها دامت واحدا واربعين يوما ؟.**

● **د. جواد علي :**

ــ كانت رحلتي الى اليمن الجنوبي رحلة فجائية اثارتني اليها مقولة سيادة السفير العراقي في عدن من ان « اهل اليمن يتصورون انك قد مت قبل سنوات » . وهذا الخبر اثار فيّ الشوق الى زيارة اهل اليمن في الجنوب . وخاصة وانهم ترحموا علي وانا حي . والرحمة على كل حال تجوز للاموات كما تجوز للاحياء .

نذهبت الى هناك وتحدثت احاديث عديدة عن اليمن والتاريخ القديم وزرت مركز البحوث اليمني في عدن ، والمتحف .. وزرت بعض مواقع الآثار مثل « تمنـع » عاصمة قتبان ، ووجدت ان القوم في اهتمام شديد بالنسبة للآثار وان السيد الرئيس له اهتمام خاص بالآثار اليمانية ، وقد تحدثت معه حوالي خمس ساعات في هذا الموضوع ، واظهرت له حاجة البلد الى مخازن تخزن فيها هذه الآثار المكشوفة على سطح الارض والتي اثرت فيها الطبيعة فاخذت تزيل عنها بعض معالمها . وقد وجدت استجابة في الواقع وارجو ان يقوم المركز الثقافي باعداد جماعة من الشباب لدراسة اسلوب البحث العلمي الحديث في تدوين التاريخ والآثار .

وقد وجدت ان مركز الآثار قد قام بترجمة بعض الكتب المؤلفة بالروسية عن اليمن ، ولكن الترجمة وياللاسف فيها اخطاء كثيرة في كتابة الاعلام . وهذا مايقع به آخرون ايضا . في مصر مثلا ، ترجموا كتاب « دتلف لنسن » ــ وهو عن الحضارة العربية القديمة ــ ترجمة ممسوخة وناقصة وملخصة أوقعت من لا علم له بالتاريخ اليماني القديم في اخطاء كبيرة ، ومن بينهم اساتذة الجامعات الذين كتبوا في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بالاستعانة بهذا المصدر لانهم ليسوا من اصحاب الاختصاص في هذا الموضوع .

● الاكليل : مازالت العلاقة بين عرب الجنوب وعرب الشمال غامضة في أذهان الكثيرين . وعلى سبيل المثال : ان الاعتقاد السائد هو ان اليمن هي ارض العرب العاربة بينما تؤكد الحقائق على ان في الشمال عربا عاربة منذ بدايات الحضارة المدونة ، وخاصة عرب بابل في الالف الثانية قبل الميلاد ؟.

● د. جواد علي :

ــ العلاقة بين عرب الجنوب وعرب الشمال هي علاقة غامضة حتى بالنسبة الى المتخصصين في تاريخ العرب قبل الاسلام . وقد امدتنا الكتابات الحديثة التي عثر عليها في شطري اليمن على معارف قيمة جدا ستغير نظرية اهل الاخبار في مسألة العرب الشماليين والعرب الجنوبيين او العرب العدنانيين والعرب القحطانيين . وسترينا ان الهجرة من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال كانت هجرة مستمرة ، وليس كما تصور اهل الاخبار من ان الهجرة من اليمن نحو الشمال ، وسنجد اسماء قبائل يسميها اهل الاخبار : عدنانية بينما هي في اليمن والعكس بالعكس . وهذا يقتضي اعادة النظر في تدوين موضوع الانساب عند العرب اعادة جذرية .

واشتغل الآن في تدوين الطبعة الثالثة من كتابي « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » وفق هذه النظرية الحديثة التي توصلت اليها بالاستعانة بالكتابات الجديدة التي عثر عليها في اليمن .

● الاكليل : ماذا عن بلقيس ؟ ــ الملكة الاسطورية ، والملكة التاريخية ؟.

● د. جواد علي :

جاءت القصة في التوراة : ملكة شبأ « ملكة سبأ » . وجاء القرآن الكريم بزيارة ملكة سبأ لسليمان ولم يسمها ببلقيس ، وذهب بعض المستشرقين الى ان هذه الملكة كانت ملكة على قبائل سبئية تسكن في اعالي الحجاز .

والاخبار كثيرة حولها . ومصدر الغموض بين اسم بلقيس والملكة التي حكمت سبأ هي اننا لانعرف اسم ملكة ذكرت في العربية الجنوبية . وقد عثر منذ عهد قريب على اسم ملكة في نص حضرمي اسمها « حلكه » . ويظهر ، ان صح النص ، انها كانت تحكم في منطقة حضرموت . ولكن لانعرف عن بلقيس شيئا حتى الآن في النصوص .

والظاهر ان كلمة بلقيس قد ظهرت عن «بلقمة» او « يلقمة » ، او ماشاكل ذلك من تحريف لاسم « المقة » وهو إله سبأ الكبير ، صاحب المعابد الشهيرة واشهرها معبد مارب المشهور بين الناس .

وان عرش بلقيس هو معبد « المقه » إله سبأ .. وفقد الناس علمهم به بعد الاسلام فصيروه بلقيس عن طريق التحريف ، وقد كتبت عن ذلك في كتابي « المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام » كتابة تفصيلية عن كيفية وقوع هذا التحريف مستندا على كتابات الهمداني وغيره ممن تحدث عن تاريخ اليمن القديم من علماء الاخبار .

● الاكليل : هل انتهى العلماء الى تحديد موطن الساميين ؟.

● د. جواد علي :

ــ بين العلماء خلاف واسع في قضية الوطن الاصلي للساميين ، بل في التسمية نفسها .

فالتسمية لاتعني في الواقع شيئا اكثر من كونها تشير الى رابطة لغوية وثقافية تربط بين المتكلمين بالعربية والعبرية والآرامية وامثالها .

فهنالك تقارب كبير بين الالفاظ .. هذا ماحمل العلماء على اعتبار المتكلمين بها من وحدة سامية ، وهي في نظري ، خطأ .

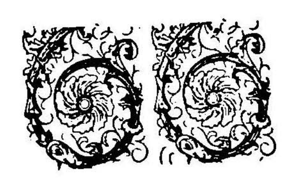
لاننا نشاهد الزنوج في امريكا ، في الوقت الحاضر ، يتكلمون الانجليزية او الفرنسية ، وهذا لا يدل على انهم من اصل انجليزي او من اصل فرنسي كما هو معروف .

ولهذا فالجنسية السامية هي غير صحيحة اصلا .

واذا كانت هذه الجنسية غير صحيحة فالوطن

السامي في نظري ايضا وطن غير صحيح من الوجهة العلمية . ولكن ارى ان كثيرا منشعوب الشرق الادنى يمكن ارجاع اصلهم الى جزيرة العرب وهجرتهم منها نحو الشمال . ومن هذه الناحية نستطيع اننقول انجزيرة العرب«موّنت» الشرق الادنى بموجات من اهلها فسكنوا في بلاد العراق وبلاد الشام ومصروشمالي افريقيافيمابعد.

ان كلمة عربي كانت تطلق قبلا على الاعراب ، اما الحضر فكانوا يدعون نسبة الى قبائلهم او الى مدنهم وقراهم . وهذه النسبة قد اساءت فيالواقع الى العرب ، اذ جعلت المفهوم العام عن العرب بمعنى بدو وبداة ولميفطنوا الى ان اهل الحضارة هم من اهل المدنية العربية . هم عرب وعلى العرب في اليوم — الحاضر ، واجب افهام الغربيين بهذا المعنى لازالة ماعلق في اذهانهم من ان العرب اعراب ، وانهم لايملكون حضارة الا الحضارة البدوية . ويتجاهلون حضارة العرب في اليمن ، وفي الحجاز .. وفي مواضع الحياة من جزيرة العرب .





اليمن : والفلاحة العربية قبل الاسلام

د. محمد زهير البابا
جامعة دمشق

مقـدمة :

في شهر نيسان من عام ١٩٧٦ عقد في جامعة حلب الندوة الاولى لتاريخ العلوم عند العرب . واحتفل بهذه المناسبة بافتتاح اول معهد للتراث العلمي في العالم العربي ، والحق بجامعة حلب.

لقد شارك في هذه الندوة مجموعة من الباحثين واساتذة الجامعات العربية والاجنبية . وكـان من بينهم الدكتور توفيق فهد ، اللبناني الاصل، والاستاذ في جامعة ستراسبورغ في فرنسا . وقد القى محاضرة قيمة كتبت باللغة الفرنسية عـن كتاب قديم معروف باسم ((الفلاحة النبطية))، وبين فيها انه يقوم بتحقيق مخطوطة من هـذا الكتاب ، عنوانها الكامل :

(كتاب افلاح الارض واصلاح الزرع والشجر والثمر ودفع الآفات عنها)

من المعلوم ان كتاب الفلاحة النبطية قد جمع ووضع باللغة السريانية من قبل رجل يدعى قطامى الكوكاني ، من مدينة سورا في بلاد مابين النهرين. وقد ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية من قبل ابن وحشية ، وذلك خلال الفترة الممتدة بين عامي ٩٠٣ — ٩٣٠ م .

ويؤكد الدكتور فهد ، بالاستناد الى ما ورد في مقدمة الكتاب ، ان النسخة التي قام بجمعها قطامى الكوكاني قد سبقتها نسختان اقدم منها . ويعود تاريخ هاتين النسختين الى الفترة الكائنة بين القرنين الثالث والخمس للميلاد .

ويقول العالم الفرنسي ارنست رينان ان كتاب الفلاحة النبطية يضم مستخلفات تقنية هي من اصل كلداني او آشوري ، وانها تعود بتاريخها الى زمن الاسكندر المكدوني المتوفي عام ٣٣٢ ق.م.

لقد استفاد من كتاب الفلاحة النبطية ، بعد ان ترجم الى اللغة العربية ، عدد كبير من المؤلفين لكتب الفلسفة والطب والنبات ، امثال محمـد ابن زكريا الرازي وابو الريحان البيروني والمجريطي والقزويني وداوود الانطاكي وغيرهم .

لم يكتف ابن وحشية بترجمة كتاب الفلاحـة النبطية ، بل قام بانتقاء النباتات الطبية الوارد ذكرها فيه ، وجعلها في كتاب خاص اطلق عليه اسم (الفوائد المنتخبة من الادوية الطبيـة

المستخرجة من الفلاحة النبطية) .و قد اقتبس من هذا الكتاب بعض علماء الاندلس منهم الشريف الادريسي وابن العوام وابن البيطار وغيرهم .

رأي المؤرخين العرب في كتاب الفلاحة النبطية

يعرف ابن خلدون الفلاحة في كتابه «المقدمة »، فيقول : (ص-٣٩١).

« الفلاحة هي النظر في النبات من حيث تنميته ونشوؤه ، بالسقي والعلاج ، وتعهده بمثل ذلك. وكان للمتقدمين به عناية كثيرة ، وكان النظر فيها عندهم عاما في النبات ، من جهة غرسه وتنميته، ومن جهة خواصه وروحانياته ، ومشاكلتها لروحانيات الكواكب والهياكل . والمستعمل ذلك كله في باب السحر ، فعظمت عنايتهم به لاجل ذلك » ..

ويعتبر ابن خلدون كتاب الفلاحة النبطية كتابا يونانيا ترجم الى اللغة العربية ، ونسب لعلماء النبط ، وهو يشتمل على علم وسحر « ولكن لما نظر اهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب ، وكان باب السحر مسدودا ، والنظر فيه محظورا، فاقتصروا منه على الكلام في النبات ، من جهة غرسه وعلاجه ومايعرض له في ذلك . وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة ».

ويتابع ابن خلدون الكلام عن الفلاحة النبطية فيقول : « ان ابن العوام قد اختصر هذا الكتاب، واكتفى منه بالقسم الخالي من السحر ، وبقي الفن الآخر مغفلا حتى جاء مسلمة المجريطي فنقل منه في كتبه السحرية امهات من مسائله ..

وفي باب السحر والطلسمات يقول ابن خلدون: (ص - ٣٩٣) مايلي :

« لما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من الضرر ، ولما يشترط فيها من الوجهة الى غير الله ، من كوكب او غيره ، كانت كتبها كالمفقود بين الناس ، الا ما وجد في كتب الامم الاقدمين ، فيما قبل نبوة موسى عليه السلام ، مثل النبط والكلدانيين ... وكانت هذه العلوم (أ ي السحر والطلسمات) في اهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفي اهل مصر من القبط وغيرهم . وكان لهم فيها التآليف والآثار ، ولم يترجم لنا من كتبهم فيها الا القليل مثل الفلاحة النبطية ، من اوضاع اهل بابل ».

مما تقدم يتبين لنا ان ابن خلدون قد عزا في المرة الاولى تأليف كتاب الفلاحة النبطية الى اصل يوناني ، بينما نجده في الفقرة الاخيرة يقول بأن ماجاء فيه من السحر كان من اصل بابلي .

ولكي نستطيع مناقشة اقوال ابن خلدون ، ونبين وجهة نظره في هذا المجال ، لابد لنا من ان نوضح ماجاء في كتاب الفلاحة النبطيةمن مواضيع.

الوصف الاجمالي لكتاب الفلاحة النبطية

يضم هذا الكتاب مايقرب من ستمائة وخمسين صفحة ، وتحتوي الصفحات الخمسون الاولى منه دراسات فلسفية ودينية وتاريخية ، تتعلق بعبادة الكواكب السبعة ، كما تشمل بعض المجادلات التي حصلت بين اشياع مذاهب ثلاثةهي الكوكانية والشيثية والماسوية . وهي ديانات وثنية كانت منتشرة في بلاد الرافدين خلال القرون الاولى للميلاد .

لقد كشف قطامي الكوكاني ، في الباب الخامس من كتاب الفلاحة النبطية ، بعض الاسرار المهمة المتعلقة بهذا الكتاب ، منها ان المدعو « شجريط » هو مؤلف النسخة الاولى من هذا الكتاب ، وانه كان ملاكا كبيرا ، وقد رتب النباتات المذكورة فيه بحسب تبعيتها للكواكب السبعة ، بدءا من زحل فالمشتري فالمريخ ... وانه احتفظ بطريقته السرية هذه في التصنيف ، حتى لايطلع عليها الجاهلون . ولهذا السبب نجد ان المؤلف قد بدا بالكلام عن شجرة الزيتون ، وهي تنتمي الى كوكب زحل ، إله الزراعة ، وانتهى بالكلام عن شجرة النخل وهي تنتمي الى كوكب الزهرة.

ان من يتصفح هذا الكتاب يشعر بأن مؤلفه يصر على اعتباره كتابا في الزراعة وليس كتابا في الدين او الفلسفة او الطب . وانه قد وضعه

خدمة لابناء الطائفة الكوكانية التي ينتمي اليها ، والتي كانت تقطن في مدينة سورا الواقعة الى جوار مدينة بابل .

واذا تركنا جانبا القسم الاول من كتاب الفلاحة النبطية ، والمتعلق بالدراسات الدينية والفلسفية، كما اهملنا بعض ماجاء فيه من نظريات تتعلق بتاثير الكواكب في النباتات او تتعلق بكيفية الحصول على نباتات جديدة بطرق خيالية اشبه ماتكون بالسحر والشعوذة ، فان ماتبقى من هذا الكتاب، وهو يؤلف القسم الاعظم منه ، يمكننا ان نقسمه الى قسمين :

القسم الاول :

ويتعلق بزراعة النباتات المختلفة ، مع ذكر اوصافها ، والارض التي تلائم زراعتها ، وطريقة زرعها ، وزمن الزرع والجني ، والعناية التي يجب ان تقدم لها ، والفصل والهواء المناسبان، ونوع الدبال المستعمل في تسميدها .. ويضيف المؤلف غالبا ، وبصورة مختصرة ، لمحة عن فائدة وخصائص النبات ، من الناحيتين الغذائية او الدوائية او السمية ، كما يذكر احيانا بعض الخرافات او القصص المرتبطة ببعض النباتات.

القسم الثاني :

ويضم معلومات نظرية تساعد المزارع في عمله ، وذلك كالطرق المستعملة في التحري عن المياه الجوفية ، والشروط المناخية العامة ، وحركة الرياح ، وتركيب التربة والتقويم الزراعي .

ومما تقدم يمكننا ان نتبين الاسباب التي دعت المؤرخ ابن خلدون الى القول بأن كتاب الفلاحة النبطية يضم مزيجا من العلم والسحر ، اذ ان كل ماجاء في هذا الكتاب من امور تتعلق بتاثير الكواكب في النباتات ، وامكانية توليد نباتات جديدة ، هي امور لايقرها الدين لانها اقرب للسحر منها الى العلم . اما بقية المواضيع ، والتي تشكل القسم الاعظم من الكتاب ، فهي امور تتعلق بعلوم النبات والزراعة والارصاد الجوية والعلاقات الزراعية وغير ذلك ..

الابواب التي يتالف منها كتاب الفلاحة النبطية

يضم هذا الكتاب ثلاثة عشر بابا . يمكن ان نلخصها بما يلي :

الباب الاول : تكلم فيه المؤلف عن زراعة شجرة الزيتون ، وعن الطرق المستعملة في تغيير اوصاف ثمرة الزيتون وخاصة بواسطة التطعيم.

الباب الثاني : ويشمل دراسة تقنية مهمة تتعلق بالبحث عن المياه وحفر الآبار وتنظيفها وزيادة الماء فيها . ثم يتكلم عن طرق نتح الماء وتحسين طعمه ونقله بواسطة المواسير .

الباب الثالث : وفيه دراسة لبعض النباتات العشبية ذات الازهار العطرية ، وعددها احد عشر نباتا هي : البنفسج ــ المنثور ــ السوسن ــ النيلوفر ــ النرجس ــ الاقحوان ــ الياسمين ــ النسرين ــ الآذريون ــ البهار ــ البليحاء .

الباب الرابع : وفيه دراسة شاملة لبعض الشجيرات التزيينية او الطبية او الغذائية او العطرية ، وعددها ثلاثة وعشرون نباتا ، هي : الآس ــ الغار ــ الخروع ــ الخطمي ــ الدلب ــ الخلاف ــ العشر ــ الدردار ــ سنديان القرمز ــ شجرة الفلين ــ الموز ــ النارنج ــ الاترج ــ الليمون ــ الدفل ــ الخروب ــ الغبيراء ــ الارثد ــ العليق ــ البطم ــ البربريسي ــ الزعرور ــ الازدارخت.

الباب الخامس : ويمكننا ان نطلق عليه اسم مذكرة المزارع ، لانه يضم المعلومات الاساسية التي لايمكن ان يستغني عنها كل من يزاول الزراعة ، وتشمل هذه المعلومات مايلي :

١ ــ المهمات الملقاة على عاتق كل من صاحب الارض والمشرف والعامل . ويمكننا ان نعتبر هذه التعليمات قانونا متوارثا للعمل ، ينظم الصلات بين العمال وارباب العمل ، ضمن اطار بعيد عن العبودية او التسلط والطغيان.

٢ ــ التنبؤ باحوال الجو وعلامات المطر .

٣ ــ معرفة الزراعات الناجحة في ارض ما او في زمن معين .

٤ ــ التقويم الزراعي : وهو تقويم يربط بين الاعمال الزراعية وفصول السنة . ولايقتصر هذا التقويم على منطقة بابل فقط بل يشمل جميع انحاء العراق . ويضم هذا التقويم امورا تتعلق بعلم التنجيم والفلك والسحر والتقاليد الموروثة والشروط البيئية والملاحظات المبنية على الخبرة بشؤون الزراعة .

٥ ــ تاثير القمر في الكائنات ، بما فيها النباتات : يختلف هذا التاثير حسبما يكون القمر فوق الارض او تحتها . ويعزى هذا الراي الى زرادشت ، ويقول به عالمان كنعانيان،ورد ذكرهما في كتاب الفلاحة النبطية هما (سرادايا وتاميترا) .

٦ ــ معرفة حركة الشمس بين الابراج وتاثيرها في المولدات الثلاث واهمية الزراعة بالنسبة للبلاد .

٧ ــ تاثير الهواء والرياح في النباتات بصورة عامة وفي عملية التابير بصورة خاصة بالاضافة لنظريات تشكل الابخرة والاهوية .

٨ ــ تاثير الكواكب في الامطار المسببة للسيول وفساد النبات .

٩ ــ دراسة فيزيائية لطبيعة الاراضي واصلاحها .

١٠ ــ الدبال الطبيعي والدبال الاصطناعي .

١١ ــ التخلص من الاعشاب الضارة واستئصالها .

الباب السادس : ويشمل دراسة لمجموعة من الحبوب والنباتات الخضرية ، يبلغ عددها (٣٨) نباتا . ومن الممكن تقسيم هذه النباتات الى مجموعتين :

آ) مجموعة الحبوب والقطاني ، وتضم حوالي ثلاثين نباتا اهمها : القمح ــ الشعير ــ الرز ــ الدخن ــ الفول ــ الفاصوليا ــ العدس ــ الكرسنة ــ الحمص ــ الجلبان ــ اللوبيا ــ الترمس ــ الحلبة ــ العلس ــ بالاضافة الى بعض انواع المحاصيل المستعملة كعلف للدواب .

ب) مجموعة النباتات ذوات البذور الزيتية واهمها : القنب ــ القطن ــ الكتان ــ السمسم ــ اللوطس ــ السيسبان ــ الخشخاش .

الباب السابع : لقد اورد المؤلف في هذا الباب اسماء مجموعة من الخضار والفطور ، يبلغ عددها ستين نباتا . ومما يلفت النظر في هذا الباب استعمال بعض انواع الخضار في تحضير معاجين مغذية يستفاد منها بدل الخبز في اوقات المجاعات . ان بعض هذه النباتات سوري او عراقي او مصري الاصل وقليل منها ذات اصل يوناني . وقد الحق بهذا الباب بحث خاص عن النباتات العفوية المستعملة لاغراض الطبخ والمداواة ، نذكر منها : السعتر ــ الشاهترج ــ الزوفا ــ الشمرة ..

الباب الثامن : عالج فيه المؤلف مواضيع غريبة ولكنها ذات اهمية بالنسبة لتاريخ العلوم . وهي مجموعة من دراسات تاملية ، بعيدة عن التجربة . ويضم هذا الباب خمسة فصول تكلم فيها عن الامور الاتية :

١ ــ تولد النباتات واختلاف اشكالها واسبابها . ٢ ــ تولد الروائح واسبابها . ٣ــ تولد الطعوم واسبابها . ٤ــ تولد الالوان واسبابها . ٥ ــ دراسة بعض المسائل المتعلقة باشكال النباتات وتركيبها البنيوي والحيوي . ونذكر من هذه المواضيع مايلي : التقليم وشروطه ــ الاستحالة في العناصر والمنتجات النباتية ــ مقارنة بين خصائص الحيوان والنبات والجماد ــ ظهور الاوراق والثمار وتشكل الاشواك ــ الصموغ والمواد الراتنجية وتحول النسغ الى عصارة لبنية . واخيرا يعود الى نظرية تاثير الكواكب في اعطاء الاشياء اشكالا كروية ، وخاصة تاثيرها في بعض اعضاء النبات كالثمار والبذور .

الباب التاسع : تعتبر مباحث هذا الباب امتدادا لما جاء في الباب السابع . وقد تكلم فيه المؤلف عن مجموعة من النباتات الخضرية والعطرية او الطبية ، يبلغ عددها سبعين نباتا ، والبعض منها مكرر قد ورد ذكره سابقا .

الباب العاشر : خصصه المؤلف للكلام عن

شجرة الكرمة ، واعتبرها خاضعة لتأثير كوكبين هما المشتري والزهرة . واستشهدبقصيدةلشاعر اسمه جلجامش النهري ، يشيد فيه بشجرة الكرمة ، ويفضلها على شجرة النخل.

ومن الابحاث المهمة التي ورد ذكرها في هذا الباب مايلي :

آ) تأثير التربة والهواء في زراعة الكرمة .
ب) الطريقة الملائمة لزرع شجرة الكرمة والزمن المناسب لهذا الزرع واستعمال المرايا للتسخين.
جـ) الامراض التي تصيب الكرمة وطرق المعالجة.
د) فوائد الكرمة ومنتجاتها في المداواة ومعالجة التسمم .

ويقول الدكتور فهد ان الابحاث في هذا الباب تتصف بفوضى الترتيب والابهام في العبارة ، تماما كما هو الحال في مبحثشجرةالزيتون. ويقول ان ابن وحشية ربما قد اهمل ترجمة قسم من المبحث الاصلي فجاءت ابحاثه مبتورة . يضاف الى ذلك ان هنالك مايقرب من عشرين صفحة بيضاء أوردت في المخطوطة التي يقوم بتحقيقها ، وهي تفصل بين نهاية هذا الباب والباب الذي يليه .

الباب الحادي عشر : تكلم فيه المؤلف عن مجموعة من الاشجار يبلغ عددها ثمانين نوعا ، بعضها بري وبعضها مزروع ، بعضها مثمر وبعضها الآخر عطري او تزييني او طبي . يبلغ عدد الاشجار المثمرة منها ثلاثين نوعا ، ومثلها من الاشجار الطبية والباقي اشجار حراجية او ذات فائدة صناعية .

لقد ذكر المؤلف في هذا الباب اشكالا مختلفة لتطعيم الاشجار . واتبع طرقا سحرية تؤدي الى تحول النبات من نوع لآخر . واستخدم المرايا المسخنة للحصول على عطور اشد رائحة وعلى ثمار اكثر عصيرا .

الباب الثاني عشر : خصصه المؤلف لما كان يسمى عند الاقدمين بالفن العظيم .

وهو يشمل الامور الاتية :

آ) الاسباب التي تؤدي لنمو النباتات بصورة عفوية .

ب) طرق توالد النباتات بنتيجة التعفن.

جـ) تنقية التراب باللجوء الى موازنة العناصر الموجودة فيه .

د) تقليد الطبيعة ، بالاستناد الى مايسمى بفن التوالد الاصطناعي . علما بأن الساحر عنكبوت، قد توصل ، كما جاء في كتاب الفلاحة النبطية ، الى خلق انسان وعنزة بيضاء ، لكنه لم يستطع ان يمنحهما النطق والمحاكمة والقدرة على هضم الاغذية .

هـ) امكانية تحول افراد كل مملكة من الممالك الثلاث (الحيوانية والنباتية والمعدنية) الى افراد من المملكة الاخرى ، وذلك بتأثير العوامل الطبيعية الاربعة وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة .

و — ولكي يتمكن المرء من تحقيق التوالد الاصطناعي Artificial generation عليه معرفة الطريقة الملائمة لتركيب العناصر ، وقد جاء المؤلف بعد امثلة ادعى ان آدم قد قام بها .

الباب الثالث عشر : خصص هذا الباب للكلام عنشجرة النخل : تاريخها — زراعتها — الاعتناء بها — الامراض التي تصاب بها وطرق معالجتها — نقل الشتول وزرعها — فضل شجرة النخل على بقية الاشجار — فوائد البلح .

تتصف الابحاث في هذا الباب ايضا بالاضطراب في التأليف . وهي مشحونة بالملاحظات العملية التي تدل على ان من قام بجمع وتأليف هذا الكتاب كان يتمتع بخبرة واسعة في هذا المجال ، وكان من الملاكين لاراضمزروعة بأشجار النخل . وهذا هو حال (يامبو سعد) الذي قام بوضع النسخة الثانية من كتاب الفلاحة النبطية ، فهو بالاضافة الى امتلاكه لبعضمزارع النخل فانه قد قام بزيارة لعدة واحات في البلاد العربية ومصر ، كما انه كان يتكلم اللغة العربية ايضا ، كما يظهر في متن الكتاب .

لقد اورد مؤلف الفلاحة النبطية في نهاية كتابه

الاسباب التي دعته لاهمال بعض المباحث المهمة التي درج مؤلفو كتب الزراعة القديمة على وضعها في نهاية مؤلفاتهم ، وهذه المواضيع هي :

١ — زراعة الاشجار التي تعطي التوابل ، ويقول المؤلف ان بلاد بابل لا تصلح لهذه الزراعة.

٢ — تربية النحل — وهي عمل لايزاوله المزارعون في بلاد مابين النهرين وخاصة في الاقسام الجنوبية من هذه البلاد ، ولكن يزاوله سكان المناطق الجبلية في الشمال.

٣— تربية الابقار والاغنام والحيوانات الاخرى. — ويقول المؤلف بانه قد وضع كتابا خاصا بهذه الموضوعات واضاف اليها تربية الحمام والعصافير وغيرها من الطيور .

وتعتبر المعلومات الاخيرة كبيرة الاهمية بالنسبة لتاريخ العلوم ، لانها تربط كتاب الفلاحة النبطية بالتقليد الذي جرت عليه كتب الزراعة المماثلة ، منذ عهد ديموقريط حتى زمن ابن العوام الاشبيلي. وينص هذا التقليد على الحاق بعض الابحاث المتعلقة بعلم الحيوان وتربية بعض انواعه بكتب الزراعة .

دراسة ومناقشة في اصالة كتاب الفلاحة النبطية

من المعلوم ان اليونانيين والرومان قد قاموا بتاليف عدة كتب في علم الفلاحة ، قبل ظهور كتاب الفلاحة النبطية الذي قام بترجمته ابن وحشية ، بعدة قرون . وقد سعى الدكتور فهد ان يعرف مدى ارتباط كتاب الفلاحة النبطية هذا بكتب الفلاحة اليونانية والرومانية ، وخاصة كتاب geoponica الذي الفه المدعو Cassianus Bassus scholasticus حوالي القرن السادس للميلاد . علما بان الكتاب الاخير قد قام بترجمته الى اللغة العربية قسطا بن لوقا البعلبكي في اواخر القرن التاسع للميلاد (٨٢٠ — ٩٠٨ م) .

لقد ظهرت كتب الفلاحة اليونانية والرومانية في هذه المقارنة كمؤلفات مختصرة في الزراعة العملية اما كتاب الفلاحة النبطية فقد بدا كموسوعة في العلوم الزراعية والنباتية . وبالرغم من وجود بعض المشابهة في المواضيع المدرجة في هذه المؤلفات الا ان كثيرا من الباحثين يجزمون بأن النسخة الاولى من كتاب الفلاحة النبطية هي مؤلف قديم واصيل ، وانه ربما استفادت منه الكتب اليونانية والرومانية التي ظهرت بعده . يضاف الى ذلك ان كتاب الفلاحة النبطية يضم مواضيع لم يسبق أن ظهرت في مؤلف آخر بهذا الوضوح، واهم هذه الابحاث هي :

١ — بيان العلاقة الكائنة بين الممالك الثلاث الحيوانية والنباتية والمعدنية.

٢ — بيان اهمية الزراعة بالنسبة للانسان، ووضع الاسس الصحيحة للعلاقات الزراعية بين المالك والعامل في الارض .

٣ — التفتيش عن الاغذية الضرورية لحياة الانسان ، مع السعي للمحافظة على صحته.

ان كل من يقرأ كتاب الفلاحة النبطية لابد له ان يتساءل عن مصدر المعلومات الواردة في هذا الكتاب ، وكيف توصل الانباط الى معرفة طرق الزراعة واستنباط الماء بينماهم شعب نشأ وترعرع في ارض صخرية مجدبة لاماء فيها ولازرع . لذلك نجد انه من المفيد ان نعطي لمحة تاريخية موجزة عن الشعب النبطي وان نبين راينا في مصدر علمه بعلم الزراعة .

★

لمحة تاريخية عن الشعب النبطي:

من المعلوم ان سكان سوريا والعراق العربي كانوا قبل الفتح الاسلامي يتألفون من مزيج من الآراميين والانباط والعبرانيين والروم،بالاضافة الى بعض القبائل العربية الضاربة في بادية الشام. وقد ورد في كتاب التوراة ان سكان المنطقة الممتدة من جنوب سوريا حتى بلاد مابين النهرين هم الآراميون ، نسبة لأرم الابن الخامس لسام بن نوح ، وقد انتشرت اللغة الآرامية وسادت جميع

اللغات المحلية ، بما فيها العبرية والنبطية ، قبل ظهور الديانة المسيحية بعدة قرون .

ولكن بعد انتشار الديانة الاخيرة اندثر اسم الآراميين واللغة الآرامية وحل محلهما اسم النصارى واللغة السريانية.

اما الانباط فهم بالاصل ، حسب راي اكثر المؤرخين ، قبائل عربية نزحت الى سوريا ،وكان منهم انباط البتراء وانباط حران . وقد ورد في التوراة ، كما روى اصحاب الاخبار ، ان نبايوت (بالعبرية) نابت او نبط (بالعربية) هو الابن الاكبر لاسماعيل بن ابراهيم ، واسماعيل كما هو معروف الجد الاول للعرب العدنانيين.

ان الوطن الاصلي الذي جاء منه النبط غير معروف على وجه التحديد ، وكذلك الزمان الذي هاجروا فيه ، الا انه من الثابت انهم كانوا بدوا رحلا في الاصل ، نزلوا ارض آدوم ، جنوب البحر الميت ، حوالي القرن السادس قبل الميلاد ، ويستدل العلماء على عروبة الانباط ببراهين عديدة منها :

١ ــ ان اسماءهم عربية خالصة . ويذكر التاريخ ان القاب ملوكهم كانت غالبا الحارث وعبادة ومالك ، لكنها اصبحت باللغة اللاتينية، لغة الرومان المسيطرين ، Arethas و Obedas و Malichas .

٢ ــ لقد عاب العرب على الانباط لغتهم الهجينة ، واعتبروها من لغة الاعاجم ، لما دخل فيها من كلمات اجنبية . ولكن لغة الانباط كانت تضم عددا كبيرا من الالفاظ العربية.

٣ ــ اشترك الانباط مع العرب في عبادة اصنام معروفة في بلاد الحجاز ، كاللات والعزى وذي الشرى .

٤ ــ اطلق اليونان والرومان على الارض التي وجد فيها الانباط ، في جنوب سوريا ، اسم العربية الحجرية Arabia Petrae ، والتي تحول اسمها مع الزمن الى (البتراء) ، علما بان مملكة الانباط قد شملت ، وهي في اوج مجدها، منطقة واسعة من سوريا ، ضمت دمشق وسهل البقاع ، والاقسام الجنوبية والشرقية من فلسطين وحوران ، وبعض مدن الساحل الشمالي للبحر الاحمر . ومن اشهر مدن الانباط : البتراء ــ الحجر ــ مدائن صالح ــ العلا . وقد اتخذ بعض الملوك المتاخرين من الانباط مدينة بصرى مقرا لحكمهم، كما كانت مدينة غزة المرفا المفضل لتجارتهم . لقد اطلق المؤرخ اليهودي (يوسفوس فلافوس) وهو من علماء القرن الاول للميلاد ، اسم النبطية، على منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات شمالا الى حدود بلاد الشام والبحر الاحمر جنوبا. وهذا يعني ان الشعب النبطي قد استطاع خلال القرون الاولى للميلاد ان يسيطر على جزء كبير من بلاد الهلال الخصيب وان يصبغ تلك البلاد بصبغته . ويذكر المؤرخون ان الحضارة النبطية قد ازدهرت وبلغت اوجها في مدينة حران خلال القرن الثاني للميلاد ، وانها انطفأت تماما في اواخر القرن الخامس للميلاد.

بقي الانباط يمارسون التجارة ، ويقودون القوافل ، ويقومون بزرع الارض واستنباط الماء، حتى بعد سقوط مملكتهم على يد الامبراطور الروماني تراجان عام (١٠٦) م . ويمكننا ان نقول بأن حضارة الانباط قد امتدت خلال عشرة قرون ، نصفها قبل الميلاد ونصفها بعده تقريبا .

ان اكثر المؤرخين متفقون على ان الانباط عرب، وان تبرأ العرب منهم . وسبب ذلك ، كما يقول الدكتور جواد علي « لانهم قد تثقفوا بثقافة بني ارم ، وكتبوا بكتابتهم وتأثروا بلغتهم ، حتى غلبت الارمية عليهم . ولانهم فضلا عن ذلك قد خالفوا سواد العرب باشتغالهم بالزراعة وباحترافهم للحرف والصناعات اليدوية ، وهي حرف يزدريها العربي الصميم » . « لقد تأثر الانباط ايضا بالثقافة اليونانية (عن طريق الروم) تاثرا بالغا . ويظهر هذا الاثر في الكتابة والصور المنقوشة على نقودهم ، وبالاسماء التي اطلقوها على انفسهم وبالطريقة التي اتبعوها في ادارة دولتهم . حتى ان شواهد قبورهم كانت تكتب باللغتين النبطية واليونانية » .

العرب كرهوا الزراعة فلماذا احبها الانباط ؟

لقد جرى على السنة بعض المؤرخين الاجانب ان العرب امة تكره زراعة الارض كما تكره الصناعة . ويستشهدون على ذلك بقول روي عن ابي امامة الباهلي انه قال ، حينما راى سكة وشيئا من آلة الحرث : « سمعت النبي يقول : لايدخل هذا بيت قوم الا دخله الذل » . ويفسرون ذلك بقولهم ان المزارعين يلزمهم الذل بسبب حقوق الارض التي يزرعونها ويطالبهم بها الولاة ، والعربي يأبى الذل .

بالحقيقة لم ينفرّ الرسول العرب بالزراعة، كما يبدو لاول وهلة عند سماع الحديث السابق ، بل على العكس قد حث المسلمين على الاهتمام بالزرع حينما قال : « الزراعة افضل المكاسب » . وقد ورد في الحديث الشريف ان الرسول كان يحدث جمعا من صحابته عن الجنة ، فتكلم عن رجل زرع فيها فاستوى نباته ، وكان الى قربه رجل من اهل البادية ، فلما انتهى الرسول من كلامه قال الاعرابي « والله لاتجده الا قرشيا او انصاريا، فانهم اصحاب زرع ، اما نحن فلسنا بأصحاب زرع » .

ان كره العرب للزراعة بالحقيقة نشأ من عدم توافر الماء الكافي والارض الخصبة والخبرة اللازمة لدى اكثرهم . اما الذين يملكون الارض والماء والخبرة ، كما هو الحال عند عرب الجنوب، فانهم لم يزدروا الزراعة ولم يبغضوها ، بل انصرفوا الى العناية بأرضهم واحسنوا استغلالها. ويكفي ان نقول بأن كلمة الفلاحة (اي الزراعة) مشتقة من الفلاح (اي الفوز والنجاح) وهو اكبر دليل على محبة وتقدير العرب لهذه المهنة الشريفة .

الزراعة في ارض الحجاز ونجد :

ان قلة الامطار في اواسط الجزيرة العربية وامتداد تلك المناطق بكثبان الرمل المتنقلة منعت انتشار الزراعة بصورة واسعة ، لكنها لم تمنع من ظهور بعض الواحات والمستوطنات التي انتشرت على اطراف الاودية او في مصباتها . وقد استفاد سكان البادية من المراعي المنتشرة في جوار الواحات والاودية لتربية الابل والاغنام ؛ كما قاموا بزراعة محدودة لبعض انواع الحبوب في المناطق الخصبة منها . وكانت الشجرة المفضلة لديهم هي النخلة ، لانها متعددة المنافع، تقنع بالقليل من الخدمة والماء ، كما تقاوم الحر والجفاف .

اما ارض الحجاز فقد اشتهرت بخصب تربتها وبوجود عيون غزيرة المياه فيها ، وخاصة في المنطقة الواقعة الى الشمال من مدينة يثرب . وقد اشتهر سكان فدك وخيبر ووادي القرى باقبالهم على الزراعة واتقانهم لاصولها.

ويظهر من وجود كثير من المصطلحات السريانية والنبطية والفارسية ، في لغة زراع اهل يثرب انهم استعانوا ، قبل ظهور الاسلام ، بعمال وخبرات ، جاءتهم من بلاد الشام واليمن والعراق، لزراعة الارض وخدمة اشجار النخيل .

ومن المواضع التي اشتهرت بالزراعة في منطقة المدينة مكان يدعى بالجوف . وكان الصحابي عبد الرحمن بن عوف يزرع به على عشرين ناضحا ، اي انه كان يسقي زرعه نضحا . والناضح لغة هو الدابة التي تستخدم في رفع الماء من البئر . وهذا دليل على ان سكان يثرب قد قاموا بحفر كثير من الآبار للاستفادة منها في الزراعة وسقي المواشي .

ويمكننا ان نستدل ، من قراءة السيرة النبوية وتفسير الاحاديث وروايات اهل الاخبار ، ان اصحاب الاراضي في قرى وريف الحجاز كانوا يزرعون انواع الحبوب والبقول والاشجار المثمرة ، ويعتنون بصورة خاصة بشجرة النخيل لانها الشجرة المفضلة لديهم ايضا.

الزراعة في ارض اليمن :

من المعلوم ان ارض اليمن جبلية وذات مسالك وعرة ، تتخللها حقول خصبة . وقد قام السكان

فيها منذ القديم بتمهيد الارض وجعلوها على شكل مدرجات اطلقوا عليها اسم الجروب . وقد استغلوا الاراضي المرتفعة فزرعوها اشجارا تألف الاجواء الباردة ، كما زرعوا المناطق المنخفضة ذات الجو الحار ، بنباتات استوائية . اما في المناطق المتوسطة الارتفاع وذات الجو المعتدل فقد خصصوها لزراعة الخضر واشجار الفاكهة والكرمة . وبهذه الصورة تنوعت المحاصيل الزراعية في بلاد اليمن وكثرت خيراتها حتى اطلق عليها اسم بلاد العرب السعيدة . وكانت الشجرة المفضلة لديهم ، والتي بذلوا الجهد في زرعها ورعايتها ، هي شجرة الكرمة .

لقد حرص اهل اليمن ، منذ الالف الثاني قبل الميلاد ، على الاستفادة من الامطار الموسمية الغزيرة التي كانت تهطل في ارضهم ، فاقاموا السدود لدرء خطر السيول عن قراهم ومزارعهم، وللاستفادة من مياهها المخزونة لري اراضيهم وسقي مواشيهم.

ويوجد في لغة المسند ، وهي اللغة القديمة لاهل اليمن ، مصطلحات زراعية واسماء لآلات وادوات استعملت في الزراعة منذ القدم . وقد دخل كثير من هذه الالفاظ في لغة عرب الشمال العدنانيين، كما نصت على ذلك المعجمات اللغوية.

ويقول الدكتور جواد علي ان بلاد اليمن قد انفردت عن بقية البلاد العربية بعلاقات زراعية ذات طابع خاص ، ذلك لان جميع الاراضي التي لايملكها الافراد هي ملك للدولة او لبعض المعابد. وكانت حكومة اليمن تستغل ارضها اما بادارتها لحسابها ، وبواسطة مزارعين مأجورين ، او تقوم بتأجيرها لمن يستثمرها من القبائل والافراد، وذلك بموجب عقود وشروط يتفق عليها ، وتكون الاجرة عينا او نقدا . يضاف الى ذلك ان روح التعاون بين اصحاب الملكيات الصغيرة كان سائدا قبل الاسلام . وقد جاء في كتاب تاج العروس ان من عادات اهل اليمن في الدرس والرياسة التناوب ، وذلك بأن يجتمعوا مرة عند هذا ومرة عند ذاك ، فيتعاونوا على هذا العمل ويسمون ذلك (القاه) . ووصف احد اليمنيين ذلك للرسول فقال : (انا اهل قاه ، فاذا كان قاه احدنا دعا من يعينه ، فعملوا له ، فاطعمهم وسقاهم من شراب يقال له المزر) .

من المعلوم ان العلاقات الزراعية تقسم عادة الى قسمين :

اولا) علاقات تتعلق بملكية الماء وتأجيرها وتوزيعها .

ثانيا) علاقات تتعلق بملكية الارض وتأجيرها ومزارعتها .

وقد اكتشف في ارض اليمن كتابات بالخط المسند ، تعتبر قوانين صدرت عن الحكومة اليمنية قبل الاسلام ، نظمت بموجبها حقوق السقي والاستفادة من الماء . كما وجد كتابات اخرى تدل على ان بعض المقاطعات الزراعية كانت تدار من قبل مجلس يتألف من ثمانية اشخاص ، يشرف على ادارة العمل . وكان على هيئة مجلس زراعي لمشروع تعاوني يضم اهل تلك المقاطعة ، ولكل عضو من اعضائه عمل معين يقوم عليه.

مما تقدم يتبين لنا ان البلاد العربية كانت قبل ظهور الاسلام بعدة قرون تتبع اساليب راقية في استنباط الماء وزراعة الارض وريها . وكانت لدى بعض الشعوب العربية اعراف وقوانين مكتوبة تنظم العلاقات الزراعية بين مالكي الارض والعاملين فيها . وان ماجاء في كتاب الفلاحة النبطية من معلومات في هذا القبيل يعتبر تجسيدا للحالة الزراعية الماثلة بصورة خاصة في ارض اليمن ، وهو دليل اكيد على عروبة الانباط وعلى انتمائهم الحضاري الى الارض التي نشأوا منها .

ومما يؤيد هذا الحكم ماقرأناه في كتب التاريخ عن الدولة المعينية ، التي عاشت وازدهرت بين عامي (١٣٠٠ــ٦٣٠ ق.م) . وقد ظهرت هذه الدولة في منطقة الجوف ، وهي سهل منبسط يقع بين نجران شمالا وحضرموت جنوبا ،وكانت عاصمة تلك الدولة تدعى القرنة.

ويقول العالم (هاليفي) « ليس في كل بلاد

العرب مكان ينافس الجوف بكثرة مافيه من آثار وخرائب » ويضيف الدكتور جواد علي الى ذلك قوله « ان الباحثين عن القديم يرون فيه املا عظيما وكنزا ثمينا ، وقد يكشف لهم عن صفحات مطوية من تاريخ تلك البلاد » .

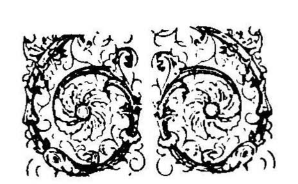
لقد عثر الباحثون على كتابات معينية خارج ارض اليمن ، وخاصة في موضع العلا . ويدل ذلك على نزول المعينيين في هذا الموضع الذي يعتبر احد المراكز الرئيسية التي عاش فيها الانباط.

ويرى جماعة من العلماء ان اسم معونم او معينم ، الواردة في التوراة ، انما يقصد بها المعينيون ، وهم سكان النقب وطور سيناء ، او هم سكان مدينة(معان) الواقعة الى الجنوب الشرقي من مدينة البتراء عاصمة الانباط .

ومما لاحظناه ايضا في تاريخ اليمن القديم ان ملوك معين ، وكذلك سائر ملوك الحكومات العربية الجنوبية ، كانوا يحملون القابا مثل (تبع وتعني المنقذ) ونبط وتعني المضيء ... كما تبين ايضا للمؤرخين ،بعد دراسات نصوص مدونة بالخط المسند ، ان اهل اليمن استعملوا جملة طرق في تأريخهم للحوادث وتثبيت زمانها فأرخوا بحكم الملوك او حكم كبار موظفي الدولة . ومن الاسر التي ارخوا بأيامها اسرة نبط ومنجط وحزفر وغير ذلك .

لقد توخيت في هذا العرض التاريخي الاخير ان ابين وجود صلات أكيدة بين أنباط البتراء وبين عرب اليمن . كما أردت أن أقرر أن بعض ماجاء في كتاب الفلاحة النبطية من أصول وتقنيات تتعلق بالزراعة واستنباط الماء وبناء الآبار والسدود ومجاري المياه ، بالاضافة الى العلاقات الزراعية المتطورة ، ربما هي مستخلفات حملها عرب الجنوب معهم حينما اتجهوا نحو الشمال بقوافلهم المحملة بخيرات بلادهم ،فاستقر اللحيانيون منهم شمال ينبع ، واتخذ المعينيون أرض العلا حتى البتراء موطنا لهم..

□ ★ □



الفن العربي قبل الاسلام في اليمن



اذا استثنينا الفنون الرافدية التي شكلت الصفحة الاولى من تاريخ الفن في العالم ، وهي فنون عربية أوجدها أسلافنا عبر القرون الى جانب الفنون المصرية ، فاننا سنطرح سؤالنا محصورا بالعرب في الجزيرة في اليمن السعيد ، حيث العرب الذين سبقوا الاسلام ثم أنشأوه ، وصارت لهم حضارة واسعة غطت نصف العالم، هؤلاء العرب ، هل كانت لهم حضارة ؟ هل كان لهم فن سابق لظهور الاسلام وازدهاره ؟

نادرا ماتجيب الشواهد والكتب على هذا السؤال ، ولكن هذا لايعني ان الفن كان معدوما، بل لعله كان شائعا معروفا في صيغته المجردة الزخرفية ، او في صيغته التشبيهية القريبة من الواقع . وكما هو شأن الفن الاغريقي الذي انعدمت شواهده على الرغم من كماله وقوة انتشاره ، فان المؤرخين والشعراء والفلاسفة الاغريق قد نقلوا اخبار هذا الفن الرائع مما تؤكده النسخ الرومانية التي عثر عليها خلال القرنين الاخيرين . وكذلك امر الفن العربي قبل الاسلام ، نلملم اخباره من ثنيات الكتب وتضمينات القصائد والاحاديث ، او من خلال بعض الشواهد الاثرية التي تكتشف ببطء يوما بعد يوم او من خلال الاسناد الهامة التي تكتشف وتنشر تباعا.

في كتاب « الاكليل » للهمداني ، انه كان امام قصر احد ملوك اليمن حائط فيه بلاطة نقش عليها رسم الشمس والهلال ، وفي قصر آخر صور جدارية تمثل فرسانا مدججين بالسلاح وانواعا من الحيوانات المفترسة كالثعالب والاسود والفيلة(١).

ومن المؤكد انه لم يكن لدى العرب ثمة صور مفصلة كما اصبح شائعا في الغرب منذ القرن الثاني عشر ، ولكن لابأس ان نذكر صورة تمثل يوسف عليه السلام وهو عريان في الجب رسمها الكتامي . كما أن صورة الكعبة الداخلية ، كانت على مايذكر ، مرسومة على الواح نصف اسطوانية بعضها يمثل السيد المسيح ، لم يأمر الرسول بمسحها(٢) .

على ان التصوير كان شائعا على القماش والثياب والستور ، واذا كانت هذه الرسوم دليلا على مستوى التصوير والنحت قبل الاسلام ، فان ثمة تماثيل خالصة ، جعلت اصناما ، وكانت من

مستلزمات العبادة الجاهلية الوثنية ، كانت وافرة، حتى أن بعض العرب كانوا يتخذون لانفسهم اصناما خاصة في دورهم ، يتقربون منها ، وذلك عدا الاصنام التي كانت حول الكعبة ، ولقد كان منها يوم فتح مكة ثلاثمائة وستون صنما ، على مارواه البخاري والمؤرخون(٣) .

ولقد كانت هذه الاصنام من انتاج العرب انفسهم ، وهي ذات اسماء كثيرة ، منها العزى ومنها الهبل وكانت تمثالا بشريا من عقيق احمر مكسور اليد اليمنى ، ثم جعلوا له يدا من ذهب، ومنها ود وهو تمثال رجل عظيم الشأن عليه حلتان وسيف وبيده حربة(٢) .

ولقد عثر في سورية (تدمر) (٤) وفي شمالي العراق ، منطقة الحضر(٥) ، على آثار عربية جاهلية ترجع الى ماقبل الاسلام او تعاصر ظهوره ، منها لوح من النحت البارز يمثل العزى واللاة ومناة ، اكتشف عام ١٩٥٤ ، وهذه الاصنام تمثل اشهر آلهات الجاهلية ولقد ذكرت في القرآن الكريم « أرايتم اللاة والعزى » . ثم «ومناة الثالثة الاخرى»(٦) .

وفي بلاد اليمن روى الهمداني(١) ان قصر غمدان كان مزينا بتماثيل خيل وفرسان وبغال وجمال محفورةجميعها من المرمر . ولا يزال بعضها موجودا على مدخل نفق ملحق بقصر بلقيس في مارب .

وثمة صور تحدث عنها الهمداني ايضا ، كانت تزين قصر ناعط ، وكانت تمثل حياة اصحاب القصر ، كما تمثل الصيد ، حيث البزاة تنقض على الارانب وعلى اسراب الظباء التي ترد الماء .

وفي معجم البلدان لياقوت ، انه لما بني قصر غمدان في اليمن ، جعل البناة في اعلاه مجلسا من الرخام الملون ، وصيروا على كل ركن من اركانه تمثال اسد من شبه كاعظم مايكون من الاسد ، فكانت الريح اذا هبت الى ناحية تمثال من تلك التماثيل ، دخلت من خلفه ، وخرجت من فيه ، فيسمع له زئير كزئير السباع ، ولقد اتفق هذا الوصف مع ماجاء في وصف الهمداني الذي يقول في معرض وصفه لقصر غمدان :

يسمو الى كبد السماء مصعدا
عشرين سقفا سمكها لا يقصر

ومن السحاب معصب بعمامة
ومن الرخام منطق ومؤزر

ولكل ركن راس نسر طائر
او راس ليث من نحاس يزار

ويضيف الهمداني قائلا : « انه كان عشرين سقفا بعضها فوق بعض ، بين كل سقفين عشرة اذرع ، وغرفته العليا مسقوفة برخامة واحدة شفافة ، يدرك من خلالها طير السماء، وتطل من زواياه الاربعة تماثيل لاربعة اسود من نحاس مجوف ، اذا هبت الريح سمع لها صوت كالزئير . » (١) .

وعدا هذا القصر الذي انشيء في القرن الاول الميلادي كان قصر ناعط وارتفاع أعمدته يزيد عن عشرين ذراعا ،وجدرانهمغطاة بالصور والنقوش، ثم قصر الهجر وقصر القشيب .

وكانت هذه المصادر هي الوحيدة التي تفيد في التعرف عن واقع الفن في الجزيرة العربية قبل الاسلام بيد ان نصيب الكشوف الاثرية هام جدا في تعريفنا بالفن العربي قبل الاسلام . ولعل بعثة نيبور من كوبنهاجن عام ١٧٦١ كانت اول رحلة استكشافية ، ثم جاء ولستد الانكليزي ١٨٣٤ ليكتشف « حصن الغراب » قرب بلدة بير علي شرقي بالحاف ، وفيها عثر على اطول نقش كامل ، كما اكتشف موقع « نقب الهجر » غربي وادي « ميفعة » . وقام كثير من الرحالة بزيارة اليمن بحثا عن النقوش ، مثل ارنو الفرنسي وهاليفي وغلاسر النمساوي ومن اهم تلك الكشوف نقش « صرواح » المظيم الذي عرف بنقش النصر . وقد قامت بعثات عربية بزيارة اليمن تضم علماء امثال سليمان جزين وخليل يحيى ناجي ونزيه مؤيد العظم ومحمد توفيق واحمد فخري(٧) .

على ان الحفريات المنهجية التي قامت بهـا البعثة الامريكية برئاسة وندل فيليبس في «قتبان» و « شبوه » (٨) ومعبد مأرب عاصمة سبأ ١٩٥١ كانت سبيلا الى كشف المزيد من الشواهد والمزيد من المعلومات عن الفن العربي في اليمن قبـل الاسلام .

واذا كان حديثنا عن الفن قبل الاســلام سيتحدد في هذه الدراسة فيما اكتشفته البعثـة الامريكية في « قتبان » ، فلا بد من تقديم كلمة عن هذه المنطقة .

لقد قامت بعثة « مؤسسة دراسة الانسان » الامريكية منذ عام ١٩٥٠ بالتنقيب في منطقـة « هجر كحلان » في « بيحان » وتبين ان هـذا الموقع كان موقع « تمنع » عاصمة قتبان . ويعود الاستيطان في هذا الموقع الى القرن العاشـر او الحادي عشر(٨) . وقد ازدهرت قتبان بين القرنين الرابع والثاني ق.م . وفي عهد المكرب «الملك» يدع اب ذبيان تمت اعمال عمرانية ومعماريـة واسعة ، وفي القرن الاول ق.م نرى نقودا تحمل اسم قصر « حريب » قصر ودو إل غيلان . وقد احرقت تمنع حوالي عام ٩٠ـ١٠٠ ميلادية وكانت تمنع مركزاً تجاريا هاما وعثر على نصب عليه كتابات تنظم التجارة في « شمر » سوق تمنع(٩).

وقبل ان تباشر البعثة الامريكية اعمال التنقيب المنهجية ، كان الاعتقاد السائد ان آثار قتبان وسبأ ومعين وحضرموت ترجع الى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ولكن بعد تنفيذ هذه التنقيبات وبعد دراسة جدية للمعطيات الاثرية ، تبين ان عمر الاطلال والكتابات التذكارية ، لم يتجاوز القرن الخامس قبل الميلاد.

ان الظروف المناخية الصعبة وندرة الامطار ، جعل الحياة صعبة في اليمن ، ولكن عندما يتسنى للقبائل ان تنظم السدود والاقنية ، فان الزراعة تكون السبب الاول والهام لاستقرار الانسـان ولاقامة حضارة تأخذ مكانها في الظهور والازدهار. ومارب العاصمة السبأية انما ازدهرت بفعـل السد العظيم الذي انشيء فيها ، فلقد كـان هذا السد الذي يبدو طرفاه الصخريان قائمين حتى اليوم ، سببا في خلق نطاق من الزراعة يحيط بهذه المدينــة .

ويعتبر هذا السد من اهم المنجزات الزراعية في اليمن(١٠) ، وكان يؤدي غرضين ، غـرض تخزيني ، اذ يتم تصريف المياه من فتحتين حسب الحاجة ، وغرض آخر لرفع مستوى المياه الى خمسة امتار لري الاراضي العالية . ولقد انفجر السد عام ٥٤٢ كما تبين لغلازر وذلك بسبب تآكله مع الايام . ولقد اكتشفت البعثة الامريكية في قتبان قناة رئيسية طويلة المدى تجمع ميـاه السيول ولها مصارف توزع المياه بواسطة جداول فرعية مشكلة شبكة ري رائعة . ولقـد انشئت هذه القناة في القرن الخامس قبل الميلاد وبقيت صالحة للاستخدام حتى القرن الاول الميلادي(١١).

ومن الناحية الاقتصادية ، فان اليمن كانـت تؤلف منطقة مرور من الهند الى البحر الابيض المتوسط ، فلقد كانت البضائع ترد من الهنـد الى حضرموت مباشرة ثم تجتاز المراكز العربية في الجنوب عن طريق القوافل الى ان تصل غزة والى البحر الابيض المتوسط ، بعد ان تكـون قد مرت بالمدن القديمة في جنوب غربي الجزيرة العربيــة .

وبفضل هذا الطريق التجاري ، نمت في ذلك العصر مـدن مثل « ديـدان » و « لحيـان » و « البتراء » . وتمتاز « البتراء » بمنشآتها وقبورها الصخرية التي ماتزال قائمة حتى الآن مع نظائرها في « مدائن صالح » و « حجر » . ولقد عثر في « حريبة » على تمثال كبير قريب مـن الاسلوب المصري . وفي واحة « تيماء » كان الملك الرافدي نانيـد ، قد شيد قصرا عام ٥٤٢ ق.م . والاثار القائمة الان مازالت موضع دراسة لتحديد تاريخها وهويتها ، ويحفل جنوب الجزيرة العربية بكثير من الاوابد وروائع الفن ، ولقد حملت هذه الآثار طابعا مختلفا فيه بعض التأثيرات والقرابات الفارسية والبارثية والهلنستية والنبطية.

ولقد عثر على العديد من المقابر التي جردت مع

الاسف من كنوزها . اما المعابد فلقد كانت تقع خارج المدن واكثرها يقوم على مرتفعات تشرف على مناطق زراعية مروية ، وثمة مقبرة قريبة من المعبد . ولان الماء كان اهم عطاء تقدمه الآلهة فلقد كانت بركة ماء تسبق الهيكل . ولقد تبين للمنقبين عن معبد مأرب ان الماء كان يسيل من اعلى باب المعبد بخيط رفيع ، وهكذا فان المتعبدين كانوا يرتشفون من الماء عند مرورهم لارواء عطشهم. وكانت اقدم المعابد في مأرب وصرواح محاطة بسور واسع بيضي الشكل تقريبا وكان الباب مسبوقا بصحن مربع ومحاطا برواق ذي اعمدة ،. ويحوي في مركزه فسقية وفي جبهة البناء يقوم صف من العضادات المؤلفة من حجر واحد ، خالية من التيجان تحمل طنانات ثقيلة من الحجر ، ولقد كشفت التنقيبات عن زخرفة رواق معبد في مأرب ذي نوافذ كاذبة مزينة بعصيات وصدفيات مسننة ، مما تراه في جميع عمارات جنوب البلاد العربية .

ويبلغ عرض جدران الاسوار البيضية ، خمسة امتار في القاعدة . وهي مؤلفة من حاجزين من الحجر الضخم المنحوت ، متصلين ببعضهما من مكان الى آخر بواسطة جدران معترضة مبنية من الحجارة الغشيمة البركانية. ومن المكن الاعتقاد حسب المعلومات الواردة في الكتابات ان هذه المنشاة تتضمن طريقة لسد مياه الامطار ، مما يفسر خيط الماء الساقط بصورة مستمرة من ساكف مدخل المعبد.

والمعابد مستطيلة الشكل ، وهي تتضمن دائما اروقة وبركة واما الزخرفة فهي مؤلفة في العصر الماضي من مختلف الاشكال العصية والصدفية ، وفي العصر الهلنستي فاننا نرى تبنيا محليا للتيجان الكورنثية المؤرقة بالآفنته ويشهد على وجود تاثير الفن البيزنطي تاج منحوت يمثل مشهد صيد . والحيوانات التي تمثل الآلهة هي الثور والتيس البري . كذلك فان تنميط هذه التماثيل يقدم لنا نموذجا متكاملا للزخرفة المعمارية المشكلة من افاريز ذات رؤوس مزدوجة وتيوس نائمة حيث تبدو اجسامها جانبيا في زوايا التيجان . وتزين التيوس الواقفة او المستلقية المنحوتة نافرا او كاملا كتابات مقدمة الى الآلهة.

وابتداء من بداية القرن الاول قبل الميلاد بدات بالظهور زخرفات التشبيك الكرمي المستمدة من الفن الهلنستي والروماني في الشرق الادنى وهي مؤلفة من عروق بسيطة مع طيور واشخاص صغيرة . ثم اخذت في القرن الرابع اسلوبا اكثر زخرفية مع خلفية محفورة حول العناصر الزخرفية المعالجة بصورة مسطحة . ونرى ذلك على البلاطات المنقوشة وعلى الجدران العمودية وعلى العضادات والابواب المرمرية الثقيلة . ولقد اكتشفت جبهة واحدة فقط كان يشغلها في المركز جذع تمثال آلهة عارية ، تخرج من حزمة من اوراق الكرمة والعناقيد ، وفي الزوايا صورة تشبه تلك المنقوشة على بركة معبد بعلبك في لبنان ، وهي تمثل تنينا بحريا له رقبة سمكة وجسم نهد وقد اخضعه طفل صغير عار . وتتعلق هذه الصورة باسطورة ديونزيوس وأتارغاتيس ، ولعل الديانة في جنوب البلاد العربية قد تشابهت مع الديانة الشمالية.

واكثر القطع الفنية الخاصة باليمن والمعروفة حتى الآن كانت موجودة في المعابد او المدافن المجاورة للتصر ، وهي محاريب او اصنام او صور متعبدين او انصاب حجرية نقشت عليها وجوه بدائية التشكيل ، واحيانا يكتفى برسم العيون دون الوجه ، وثمة اقنعة من الحجر او تماثيل مستقلة او نصفية ، او تماثيل صغيرة تمثل هيئات بشرية واقفة او جالسة ، ولكن الذراعين مبسوطان دائما الى الامام بحركة استعطافية. وهناك رؤوس منحوتة متوضعة على قاعدة حجرية ورؤوس اخرى كبيرة مغروسة في حنية حجرية محفورة في اعلى مسلة كبيرة ، وعلى القاعدة الحجرية او على المسلة ينقش الفنان اسم المتعبد المؤمن . ومع ان التماثيل البرونزية ليست كثيرة ، فان ماعثر عليه انما سكب من برونز اعيد صهره ، ونراه كتلة واحدة مع القاعدة التي نقشت عليها ايضا كتابات التقديم. وفي حفريات « تمنع » عثر على احد هذه التماثيل

التي تمثل إلهة على شكل امراة جالسة وقد عصبت راسها وقبضت يدها على شيء ما . ويرجع هذا التمثال الى القرن الميلادي الاول . وتقترب من الاسلوب البارثي . ونستطيع ان نضيف الى هذه التماثيل ، انصابا من المرمر تنهض على قواعد منقوشة باسم صاحب التقدمة ، وخطوطها لينة تارة ومنكسرة اخرى او مستطيلة ، ويفترض ان هذه الانصاب تمثل الرب والربة ، وبعض هذه الانصاب مزدان برسوم نافرة او مجسمة .

وكانت جدرا نالمعبد مكسوة بالواح من الحجر والبرونز تحمل كتابات التقديم واحيانا يرافق هذه الكتابات رسوم نافرة ، تمثل احيانا ربة واقفة او جالسة بين متعبدين اثنين ، او تمثل معبدا في احد مشاهد حياته ، مستعطفا الآلهة لشفائه من مرضه او مقدما له الاضاحي من عصفور او جمل او عبد من العبيد . ومن الممكن ان لاتقدم هذه الاضاحي الا على شكل رموز ، او هي تمثل جمالا او خيولا من الحجر او البرونز.

والمذابح هي مناضد لتقديم الخمر المقدس . حيث يسيل هذا الخمر من فوهة على شكل كائن يمثل الاله او هي مناضد للبخور . اما المباخر فكانت مجرد اوعية مكعبة ذات قوائم اربعة ، ثم اصبحت على شكل مكعب محمل على قائمة بشكل هرمي مزين بالهلال والقرص . رمز الشمس والقمر .

وثمة مجموعات من الاواني المرمرية ، صحون واكواب وقدر عثر عليها وتعطينا فكرة عن الفنون التطبيقية .

وتزين واجهات مساكن السادة بلوح منحوت مثبت فوق الباب ، وفي مركز اللوح ينقش اسم صاحب المسكن ، ويزين هذا اللوح احيانا بصور حيوانية جانبية .

ولقد عثر في « تمنع » اثناء الحفريات الجارية فيها على تمثال من البرونز يمثل زوجا من الاسود وقد وقف عليهما طفل عار ، وكان هذا التمثال يزين واجهة بيت من البيوت(٨) .

ولم يبق من القصور اي اثر ، على ان الهمداني كان قد وصف لنا هذه القصور(١).

وفي مارب مازالت بعض الاعمدة تذكرنا بقصر ملوك سبأ وقد يكون هذا القصر احد تلك القصور التي وصف الهمداني اعمدتها(٨) .

ولقد تم رفع بعض بقايا العروش الحجرية ذات القوائم التي تشابه قوائم الوحوش ، واذا اضفنا هذه البقايا لبقايا مازالت محفوظة في متحف اسطنبول ، ذات الزخرفة المماثلة ، مع الارتكاز على شكل العرش الالهي المنقوش تحت احد العروش في اكسوم (الحبشة) ، فاننا نحصل على شكل يتكون من عرش حجري ذي قاعدة . ويقتضي ان نتصوره موضوعا تحت مظلة محمولة على اعمدة كتلك التي وصفها الهمداني. وبعض اجزاء هذه العروش هي من الحجر غير المشذب كما لو انها معدة لكي تكسى بالواح الذهب . ومن المحتمل ان الكسوة المذهبة والتكوينات كانت تزيد العرش روعة . ويصف ديودور الصقلي اثاث القصر فيقول:

« لديهم اسرةومقاعد ذات قوائم ثلاثة من الفضة ، ولديهم منصات على اعمدة عاليةبعضها مذهب وبعضها الآخر مزين بتيجان ذات اشكال مفضضة ».

ولقد ترك لنا الهمداني كما ذكرنا وصفا لقصر ملوك سبأ **وذي ريدان** في صنعاء وهو قصر غمدان وكان مؤلفا من عشرين طابقا غالبا يؤكد براعة السبأيين في العمارة ذلك انهم انجزوا روائع مبنية بالحجارة عدا الطين . وتؤكد بعض الكتابات التي عثر عليها(١٠) ان الملك « ال شرح يحصب » (٨٥ م) قد اضاف الى السطح الاخير غرفة وهي مغطاة ببلاطات مرمرية شفافة حتى ان الملك كان يستطيع ان يرى من سريره انواع الطيور التي كانت تمر . وكانت تعلو هذه الغرفة من زواياها الاربعة اربعة تماثيل لأسود برونزية فاغرة تزار بفعل الريح التي تخترقها . الخ .. وكان لهذه الغرف عدد من النوافذ ذات اطارات من الرخام وابوابها من الابنوس المفرغ تحجبه ستائر

من الحرير . وثمة مرتكز على شكل قبــة كــان قائما على بلاطات يحمل مصباحا حيث كــان يمكن رؤية وميضه من اعالي الجبال المحيطــة ومن هذه الاشياء لدينا بعض البقايا كجزء من أسد برونزي موجود في متحف كمبردج وجزء آخــر في اللوفر ، وثمة بقايا باب مرمري ثقيل مزيــن بعروق منحوتة وبرصائع تحمل رسم رأس خرافي .

ولم يبق أي أثر من الكنائس التي انشئت في القرن الســادس من قبل الحميريين أو من قبــل الاحباش الذين نزحوا هربا من مواطنيهم الذيــن دانوا باليهودية ذلك أن اليهود والفرس كانوا قد احرقوها واتوا عليها جميعا(١١) .

---

١ ــ الهمداني : ابو محمد الحسن بن احمد ــ الجــزء ١ــ٢ــ٨ــ تحقيق محمد بن علي الاكوع ــ المكتبة اليمنية .

٢ ــ تيمور باشا احمد : التصوير عند العرب . زكي محمد حسن ــ القاهرة ١٩٤٢ .

٣ ــ الكلبي : كتاب الاصنام ــ نشــر احمــد زكــي ــ القاهرة ١٩١٤ .

٤ ــ تدمر :
Malcolm A. R. C. : The Art of Palmyra. Thames and Hudson - London 1976.

٥ ــ فؤاد سفر و م. علي مصطفى الحضر ــ بغداد ١٩٧٦ .

٦ ــ المصدر السابق .

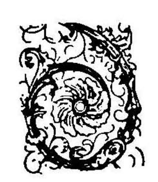
٧ ــ
Fakhry, A. : An Archaeological Journey to Yemen, Service des Antiquités de l'Egypte - Cairo 1951-2.

٨ ــ
Philips W. : Qataban and Sheba - London 1955

٩ ــ بافقيــه ــ م. عبد القادر : تاريخ اليمن القديم ــ بيروت ١٩٧٣ .

١٠ ــ
Jamme A. : Sabaean Inscription from Mahram Bilgis (Màrib).Baltimore. 1962

١١ ــ أنظر مادة
L'Art de l'Arabie Préislamique
؛ موسوعة Les Musées. العدد ١٥ــ١٩٦٩ .



منازل اليمنيين وبيئاتهم

في بلاد الأندلس

د. محمد رضوان الداية

كلية الآداب - جامعة دمشق

١

كان فتح الاندلس في اواخر القرن الهجري الاول امتدادا لحركة الفتوح الاسلامية التي ابتدأت بالطلائع الاولى التي جهزها رسول الله صلى عليه وسلم لنشر الدين الاسلامي وتبليغ الرسالة.

وعلى رغم تخوف الوليد بن عبد الملك الخليفة الاموي الذي تم في عهده فتح الاندلس من الزج بالمسلمين في تلك الاصقاع البعيدة ، وخشيته من التغرير بهم[١] جاء الفتح سريعا ، وانضوى القطر الجديد تحت لواء الدولة . وكان والي الاندلس يأتمر بأمر الخليفة في دمشق ، ويبعث الى بيت مال المسلمين بحصة الدولة من الخراج ، استمر ذلك الى اواخر الدولة الاموية في المشرق.

وكانت مدة عصر الولاة(*) حافلة بالاحداث التي تركت آثارها على الحياة والسكان وعلى الوجود العربي — الاسلامي في القطر الاندلسي ايضا . ففي عصر الولاة تم فتح الاندلس . بل لقد اقتحمت الجيوش الاسلامية جبال الابواب (جباب البرتات او البرت) لتغزو اوربة ، وتواصل احياء شعيرة الجهاد التي دخلوا البر الجديد اصلا في سبيلها ، ولتوفير الحماية لمن استقر منهم في شبه الجزيرة الايبرية.

ومنذ اوائل دخول الاندلس ، وبعد اتمام الفتوح — بل في اثنائها ايضا — بدأ استقرار الداخلين من المسلمين ، من العرب والموالي والبربر . واتخذوا منازل جديدة اختاروها او منحت لهم من قائد الجيش او الوالي اللذين يمثلان سلطة الخليفة وينوبان عنه . وفي كتب التاريخ الاندلسي — والمشرقي — تفاصيل ، واجمال ، عن كيفية انتقاء المنازل ، وعن مسوغات اختيارهم المواضع التي استوطنوها ، وعن دور الولاة والقواد ومستشاريهم في توضعهم. وناقش المؤرخون المعاصرون تلك الاخبار وحاولوا تفسيرها . . .

ولم تكن حملة طارق وموسى من بعده ، وحدهما اللتين جاءتا بالعناصر البشرية الطارئة. بل دخل الاندلس جماعات اخر في طوالع مشهورة، وعلى دفعات مذكورة في كتب التاريخ ، بالاضافة الى توافد الناس فرادى ، مددا لم ينقطع زمانا طويلا .

(*) (عصر الولاة) عبارة عن المدة التي كانت فيها الاندلس ولاية من ولايات الدولة الاموية سواء تبع الوالي الخليفة مباشرة أم تبع والي افريقية ، وهي تحدد عادة : ابتدا ءمن تمام فتح الاندلس وانتهاء بدخول عبد الرحمن ابن معاوية (الداخل) سنة ١٣٨ هـ . وقد يشمل الحديث عن عصر الولاة المدة التي تم فيها الفتح ايام طارق ، وموسى ، وعبد العزيز بن موسى على سبيل التوسع .

لقد جاءت هذه الطوالع في مدة عصر الولاة تثبيتا ومددا ، ولكنها في الوقت ذاته اثرت في احوال الاندلس من حيث التوزع السكاني ، وفي جوانب سياسية واجتماعية واقتصادية . فقد اثيرت بهم قضية توزيع الاراضي ، والتوزيع الديموغرافي ، وكان لذلك التوزيع اثر — اختلف المؤرخون في تقديره اقتصادا ومبالغة — في سياسة الاندلس في عصر الولاة ، وفي فترات أخرى من تاريخ الاندلس . وتحركت في عصر الولاة على وجه الخصوص خصومات داخلية اساسها سياسي او اقتصادي — سياسي ، ثم البست ثوب العصبية واشتطت في آخر عصر الولاة حتى جاء عبد الرحمن الداخل فاطفأ نارها ، وغير وجه التاريخ الاندلسي.

ولقد تحدثت كتب التاريخ الاندلسي الاولى ، والكتب التي نقلت عنها فيما بعد من كتب التاريخ والتراجم والجغرافية والانساب وكتب الادب العامة ، وكتب الفقه ، وسواها ، اقول تحدثت عن الداخلين الى الاندلس من العرب والبربر والموالي ، وذكرت منازلهم وحصونهم وقلاعهم ، وما احدثوه من المدن ، والضياع . وجاءت بكثير من التفاصيل المفيدة في تبيئن كيفية اختيار منازلهم الجديدة وعلاقة ذلك بطبيعة المكان ، ورغبة الولاة ، ومقتضيات الدفاع الخ . ولكن هذه المعلومات التي نجدها في الاصول الاندلسية تتعرض لملاحظتين :

الاولى : ان هذه المعلومات مفرقة ومبعثرة غير ان كتاب جمهرة انساب العرب لابن حزم كان المصدر الرئيسي فيها وان لم يستوف ولم يستغرق.

الثانية : انها معلومات غير كاملة ، لفقدان عدد من المصادر الاولى الهامة ، وان وجدت نقول عن كثير منها في الكتب المتاخرة.

ومن اهم المصادر التي افدت منها في تبين موضوع نزول العرب في الاندلس ، ومن ثم مواطن اليمنيين في الاندلس :

جمهرة انساب العرب لابن حزم ، فتوح المغرب والاندلس لابن عبد الحكم ، وتاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ، واخبار مجموعة (في تاريخ الاندلس ...) لمؤلف مجهول ، ونصوص من (نظام المرجان في المسالك والممالك والبلدان) للعذري ، ونبذ من كتاب فرحة الانفس لابن غالب (في نفح الطيب) ، والبيان المغرب لابن عذاري .

ويلحق بذلك مانقله المقري في (نفح الطيب) من الاصول : مثل كتب ابن حيان ، والرازي ، وسواهم ، ومانجده في الروض المعطار للحميري والمغرب لابن سعيد ، وكتب التراجم مثل قضاة قرطبة وصلة ابن بشكوال ..

وسأمر في مقالتي هذه ، على تتبع حركة فتح الاندلس في نظرة سريعة ، لنتعرف على مسار طارق ، وموسى ، وعبد العزيز . ثم اتحدث عن الطوالع التالية التي دخلت الاندلس ، وما ورد في بيان الداخلين الى الاندلس ، واستقرارهم، واثرهم في التوزع الديمغرافي ، وانتهي الى ملاحظات تتعلق بالتوزع السكاني في الاندلس في عصر الولاة وآثاره القريبة والبعيدة مميزا الحديث عن توضع اليمنيين في الديار الاندلسية.

٢

قبل ان يدخل العقد الاخير من القرن الهجري الاول كان الفتح في افريقية والمغرب قد استقر نهائيا . وكانت قبائل البربر في هذه البلاد على اختلافها وتعددها قد دخلت في الاسلام واستجابت له ، وتمكن منها .

وكان الفتح في المغرب (فيما وراء بلادمصر) بين مد وجزر في نحو نصف قرن (الربع الثاني والثالث من القرن الهجري الاول) فان البلاد لم تستقر في ظل الدولة الجديدة الا في عهد حسان ابن النعمان (٧٣—٨٦) الذي بدأ باستمالة البربر وكسب ثقتهم وضرب المثل لهم بحسن السياسة والرعاية . ثم طرد البيزنطيين من قرطاجنة افريقية ، ولكنه هزم من الكاهنة ملكة جبل اوراس وانسحب الى برقة . وفي سنة ٨١ تلقى

المدد من الخليفة عبد الملك فعاد قويا فطهر افريقية ، وبنى مدينة (تونس) مرقبا ومحرسا خشية عودة البيزنطيين . ثم نازل الكاهنة في معركة حاسمة فقضى عليها وعلى تجمعها المناوىء قضاء نهائيا .

فلما اطمأن حسان الى ثبات الفتح ، وانتهاء جيوب المقاومة والخلاف على الدولة نظم امور الدولة فدون الدواوين ، وقسم البلاد خططا : لكل قبيلة خطة ، ونظم شؤون الجيش وادخل فيه البربر ، وسوى بين العرب والبربر في قسم الفيء ، واقام العمال في الجهات . وعين الخليفة قاضيا للقيروان .

وفي كتاب فتح العرب للمغرب (د. مؤنس ٢٧٥) « ولم يكتف حسان بأن يشرك البربر في حروبه ويجعل لهم نصيبا من الغنائم ، وانما رتب لهم اعطيات تصرف لهم من بيت المال ، وسار على ذلك موسى بن نصير بعده .. »

وجاء بعد حسان وال آخر هو موسى بن نصير ، وعيِّن واليا على افريقية والمغرب مستقلا عن والي مصر ، مرتبطا بالخليفة في دمشق ، فوجد البلاد ولاية اسلامية هادئة مستقلة(٢) . وارسل موسى بعوثا وسرايا الى انحاء البلاد الى حيث دعت الحاجة الى تدعيم الفتح وتثبيته(٣) ، وبعث بعوثا اخرى في فتوح جديدة بعيدة في الجنوب . كما بعث في البحر غزوات سريعة جاءت بالغنائم من صقلية وبعض الجزائر الشرقية (ميورقه).

وفي جملة ماصنعه موسى بن نصير انه فتح مدينة طنجة في اقصى الشمال الغربي وترك فيها حامية من البربر يقدرها بعض المؤرخين بسبعة عشر الفا ، وترك على هذه الحامية طارق بن زياد . وعسكر طارق بمن معه من المسلمين على سواحل بحر الزقاق ، وبدات انظارهم تتجه نحو البر الآخر في العدوة المقابلة(*) .

وليس من غرض هذه المقالة ان اتحدث عن تفاصيل فتوح الاندلس ، ولكنني ساعرض لمراحل الفتح من حيث كونها سبيلا رئيسا من سبل توضع القبائل والجماعات العربية وجنود الجيش الفاتح في الارض الاندلسية ، فان في اخبار الفتح انه « لم يبق في الاندلس بلدة دخلها المسلمون باسيافهم وتصيرت ملكا لهم الا قسم موسى بن نصير بينهم اراضيها الا ثلاثة بلاد وهي شنترين ، وقلنبرية في الغرب ، و : شية في الشرق . وسائر البلاد خمست وقسمت بمحضر التابعين الذين كانوا مع موسى بن نصير »(٤) . ولكن قلة عدد الفاتحين من العرب بالقياس الى اتساع البلاد الجديدة(٥) واتصال الفتوح بارض الفرنجة مما وراء جبال الابواب ، والنزعة المتجددة الى المرابطة والجهاد ... كل اولئك ، وغيره ، جعل الباب مفتوحا امام الوافدين ليدخلوا ارض الاندلس ، ويدعموا من سبقهم ، ويثبتوا الفتوح . فلما استقر بهم المقام تناثروا في تلك البلاد في جماعات او مراكز لقاء واقامة ، لاعتبارات متعددة سنقف عندها .

. . . .

في رمضان سنة ٩١ هـ (تموز ٧١٠ م) ، اختار موسى بن نصير احد قواده وهو طريف بن مالك المعافري(٦) ووجهه في غزوة اختبارية الى مشارف الاندلس ـ بناء على راي الخليفة الوليد ـ ليعرف قوة القوم ومقاومتهم . وارسل معه خمس مئة : اربع مئة من المشاة ومئة فارس . واستعانوا بأربع سفن قدمها لهم (يليان) صاحب سبتة المتعاون مع موسى ، وطارق . وعادت الحملة بأخبار مفيدة ، وغنائم وفيرة . وسميت باسم (طريف) المذكور جزيرة نزل بها مع جنوده ، وكانت اول ارض يطؤونها(٧) .

وفي العام التالي (رجب ٩٢ هـ ، نيسان ٧١١) نزلت حملة الفتح الاولى ارض الاندلس في موضع الجبل المطل على بحر الزقاق الذي عرف فيما

(*) يتردد في مدة الفتح الاولى اسم (يليان) حاكم سبتة الذي حالف العرب واعانهم على فتح الاندلس ، وقد كان من حزب معاد لحزب لذريق صاحب الاندلس ، وكان له ضغينة خاصة (لاعتداء لذريق فيما زعموا على ابنته) ولا شك ان عون يليان ومشورته ساعدا على سرعة الفتح وسهولته .

بعد ، والى اليوم ، باسم جبل طارق . وكان مع طارق سبعة آلاف من المسلمين : جلهم من البربر والموالي ، ليس فيهم عرب الا قليل(٨) كما يروي صاحب (اخبار مجموعة) . وعلى اهمية معرفة عدد الداخلين مع طارق نجد الروايات تختلف . ففي النفح من خبر عن ابن بشكوال ان طارق بن زياد دخل الاندلس في اثني عشر الفا ... ولم يكن فيهم من العرب الا عدد يسير(٩). وفي تاريخ ابن خلدون ان الجيش كان عشرة آلاف من البربر وثلاث مئة من العرب(١٠).

وعلى كل حال فان اخبار جيش الفتح الاول مع طارق تجمع على انه لم يكن مع طارق من الجند العرب الا العدد القليل جدا بالقياس الى عدد افراد ذلك الجيش . ولم يعين احد من المؤرخين عددهم بأكثر من ثلاث مئة كما نقل ابن خلدون. وانتبه المؤرخون الى هذا الامر ، فنقل الدكتور عمر فروخ(١١) ماذكره ابن عبد الحكم ، والحميري في الروض المعطار من ان عددهم ستة عشر رجلا فقط ! وقال الدكتور مؤنس : ومن غريب الامر ان الجيش الذي ارسله موسى كان بربريا صرفا او يكاد .

وهذه هي اول مرة نسمع فيها ان قائدا اسلاميا عهد في عمل حربي خطير كهذا الى قائد غير عربي وجند غير عرب في غالبهم . ولكن موسى — مع ذلك — احترز للامر فارسل مع طارق عددا من كبار الجند من العرب وموالي الامويين مثل عبد الملك بن ابي عامر المعافري ، ومغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك ، وعلقمة اللخمي(١٢). بدا طارق اذن من ادنى جنوب الاندلس : منطقة جبل طارق . ثم استولى على الجزيرة الخضراء ، ولم يلق مقاومة تذكر حتى التقى بجيش (الذريق) الذي تقدره المراجع التاريخية بمئة الف بينما كان طارق في عدد قليل (بالاضافة الى جيش لذريق) — نحو سبعة آلاف او اثني عشر الفا في بعض الروايات — فاستمد موسى واخبره بما وصل اليه من انباء جيش القوط بقيادة لذريق فأمده موسى بخمسة آلاف . ويحل لنا صاحب أخبار مجموعة(١٣) مشكلة عدد جيش طارق . فقد ذكر ان طارقا : اجاز بسبعة آلاف من المسلمين (وجلهم من البربر والموالي وليس فيهم عرب الا قليل)، وكان الملك — يعني لذريق — لما بلغته غارة طريف (الاستطلاعية) اعظم ذلك ، وكان غائبا قد غزا بنبلونة فاقبل منها وقد دخل طارق فجمع له جمعا يقال انه مئة الف او شبه ذلك فلما بلغ الى طارق كتب الى موسى يستمده ويخبره ان قد فتح الله الجزيرة واستولوا عليها وعلى البحيرة وانه قد زحف اليه ملك الاندلس بما لا طاقة له به وكان موسى مذ وجه طارقا اخذ في عمل السفن حتى صارت معه سفن كثيرة فحمل اليه خمسة آلاف فتوافى المسلمون بالاندلس عند طارق اثنا عشر الفا ...»

وكانت المعركة الفاصلة على وادي البرباط قرب شذونة في ٢٨ رمضان ٩٢ هـ استمرت ثمانية ايام ، وكانت حاسمة في تحطيم جيش لذريق ، وفتح طرقات الاندلس امام الجيش الداخل . واستشهد من جيش طارق نحو ثلاثة آلاف ، فبقي طارق في تسعة آلاف . ثم فتح (المدور) و (قرمونة) وصالح (اشبيلية) على الجزية. والتقى في (استجة) بفلول القوط فهزمهم بعد معركة شديدة ، ثم صالح اهلها على الجزية.

واختار طارق ان يواصل السير والا يتوقف اي يرجع الى موسى — كما اوصاه — بل اغتنم الفرصة واخذ براي (يليان) فصمم على الارتفاع الى طليطلة المدينة العظيمة التي التجأ اليها بقية القواد . وفرّق جيشه أربع فرق(*) .

(*) وفي بعض الاخبار ان جيش طارق كبر بما توافد اليه من المغرب ، ولايحددون رقما للوافدين . انظر مثلا تاريخ المسلمين وآثارهم : ٨٢ .

فرقة بقيادة مغيث الرومي الى قرطبة في سبع مئة فارس . وفرقة الى منطقة إلبيرة ، وفرقة الى مالقة وماحولها . وسار هو بسائر الجيش . وكان النصر الحاسم بالجيش القليل العدد قد ادخل الرعب الى قلوب القوط وبعض اهل البلاد ، فارتفعوا عند ذلك الى الحصون والقلاع ، وتهاربوا من السهل ولحقوا بالجبال(١٤).

واستطاع مغيث ان يفتح قرطبة بعد حصار دام ثلاثة اشهر . ومضى طارق الى طليطلة من طريق يمر بجيّان ومنتيسة ودخل طليطلة سنة ٩٣ هـ دون كبير مقاومة . وترك حامية في المدينة، ثم تابع يطارد فلول المقاتلة من القوط ، ويفتح ماوراء طليطلة فادرك (وادي الحجارة) وبليدة تسميها المراجع العربية (المائدة) . وعاد وقد ادركه فصل الخريف الى طليطلة ، وفي بعض الروايات انه دخل (امايا) و (اشترقة) . ويستبعد هذا معظم المؤرخين المعاصرين(١٥) .

واختلف القول في الجيشين اللذين قصدا الى إلبيرة ، ومالقة وجهاتها . فعدد من المؤرخين يذكر نجاح هاتين الحملتين في فتح منطقة إلبيرة، ومنطقة مالقة وماحولها على ساحل المتوسط . كما في (اخبار مجموعة) ، و (البيان المغرب)، وكما اعتمد د. فروخ(١٦) . ونجد من يرد هذه الروايات — على وضوحها — تاركين المهمة لعبد العزيز بن موسى : كالذي قال به ليفي بروفنسال في تاريخه عن الاندلس ، و د. مؤنس في فجر الاندلس ، وسواهما(١٧) .

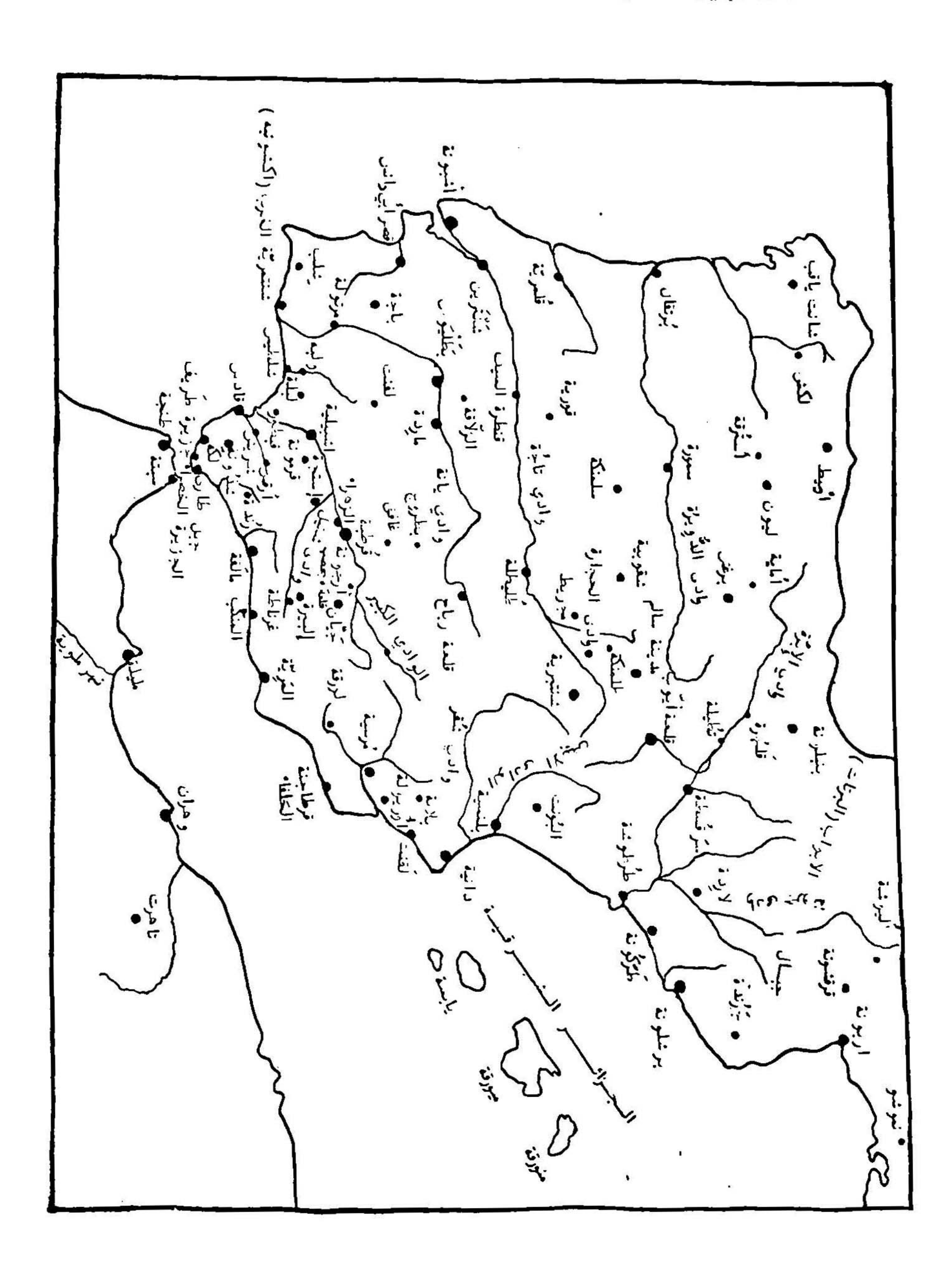
ولعل سرعة حركة الفتح في حملة طارق ، وحملة موسى ، ثم الحملة التي قادها عبد العزيز ابن موسى لاتمام الفتح والقضاء على الجيوب كل أولئك ادى الى هذا الاختلاف والاختلاط احيانا في تفسير فتح بعض المناطق . ولم يستبعد د. مؤنس مثلا ان يكون طارق قد بعث الحملتين الصغيرتين الى إلبيرة ومالقة للاستطلاع.

عبر موسى بن نصير الى الاندلس في رمضان سنة ٩٣ هـ (حزيران ٧١٢) في نحو ثمانية عشر الفا من الجند (جلهم من العرب ، وفيهم عدد عظيم من القيسية واليمنية ومعهم اتباعهم ومواليهم . وكان فيهم ايضا عدد من التابعين وكبار العرب ، جعلهم موسى في فرقة واحدة عليها محمد بن اوس ، من التابعين(١٨) . وفي الرسالة الشريفية : دخل موسى (الاندلس) ودخل معه ثمانية عشر الفا من قريش والعرب ووجوه الناس(١٩) . وفي نفح الطيب نقلا عن تاريخ ابن حيان (٢٠) : « واقبل موسى نحو الاندلس ومعه جماعة الناس واعلامهم . وقيل انهم كانوا ثمانية عشر الفا . وقيل اكثر » .وفي رواية في النفح عن الرازي ان موسى دخل الاندلس بعشرة آلاف(٢١) .

ويظهر من خلال المقارنات ، ومراجعة الاخبار ان رقم (ثمانية عشر الفا) هو الارجح. فقد كانت فتوحات طارق ، وحاجته الى المدد حافزا لموسى على القدوم بوجوه العرب وقوادهم ، ويضيف اليهم ما استطاع من البربر ، ولا غرابة في غلبة العرب في جيش موسى لان جيش طارق — في ذلك الظرف — كان قد استنفد المحاربين الجاهزين من البربر .

وتوافدت جموع المسلمين تباعا الى الجزيرة الخضراء ، ومع كل جماعة رايتها ، والتام شملهم عند مسجد بناه موسى هناك ، واجتمعت عنده الرايات ، فعرف بمسجد الرايات.

وكان (يليان) في الجزيرة الخضراء ينتظر قدوم موسى لدعم قوات طارق واحكام فتح الاندلس(٢٢) وتشاوروا في الامر ، كما يذكر الادريسي في نزهة المشتاق(٢٣) .



واتخذ موسى طريقا اخرى . فسار الى شذونة ، ثم الى قرمونة ، ورعواق ، فاستولى عليهما ثم اتجه الى اشبيلية – كبرى مدن الاندلس بعد طليطلة – فافتتحها ، وترك فيها حامية معظمها من البربر ومن اهل المدينة. واستولى في طريقه على بلد يدعى لقنت: (عين كانتوس) وهي غير لقنت (اليكانتي) على شاطىء المتوسط(٢٤). ووصل الى (ماردة) وطال حصارها حتى فتحها في حزيران ٧١٣ اول شوال ٩٤ هـ واقام فيها مدة . وبعث ابنه عبد العزيز ينظر في امر الغدر بعدد من جند الحامية باشبيلية ومن غيرهم من سكانها المسلمين . ولما هدّأ عبد العزيز بن موسى احوال اشبيلية الى لبلة وباجة في حملة تطهير للمنطقة من فلول القوط ، وترك في المدن جميعا حاميات اسلامية قوية.

ثم التقى موسى بطارق بن زياد . واكثر الروايات على أن طارقا وفد على موسى ،وبعض المؤرخين يستظهر ان موسى استقدم طارقا(*). قال في نفح الطيب : « وتوجه الامير موسى بن نصير من ماردة في عقب شوال من العام المؤرخ يريد طليطلة ، وبلغ طارقا خبره ، فاستقبله في وجوه الناس فلقيه في موضع من كورة طلبيرة . . » والمقري ينقل عن ابن حيان.

ثم خرج القائدان ، الامير موسى ، وطارق الى طليطلة . وتلتقي جيوش المسلمين بتجمع مهيّأ من قوات القوط وفلول المنهزمين منهم تحت راية لذريق الذي كان فرّ من معركة البرباط . وانتهت معركة (السواقي) بهزيمة قاضية ، وبمقتل لذريق . ونفهم من د. مؤنس ان المعركة كانت مع جيش موسى ، بينما نجد في كلام د. سالم مايدل على مقاتلة موسى وطارق معا لذريق(٢٥).

ودخل موسى – ومعه طارق – مدينة طليطلة، وقضى شتاء ٧١٣–٧١٤ م (ربيع الاول – جمادى الاولى سنة ٩٥ هـ) . وارسل بخبر الفتوح والغنائم الى الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق . وسكّ موسى عملة : دراهم ودنانير. ثم سار موسى وطارق نحو سرقسطة ففتحت لهم .وفتحت ايضا وشقة ولاردة وطركونة ، واراد موسى الصعود الى جبال البرتات ثم غلب الراي بالاكتفاء الى حدودها . وفي هذه الاثناء وصل مغيث رسولا من الخليفة يطلب العودة الى دمشق وعدم التوغل . وكان الخليفة الاموي يخشى من التغرير بالجند في مجاهل بعيدة منقطعة . ومطل موسى الرسول ليتم فتح مابقي في الشمال شرقا وغربا . وقسم الجيش قسمين: سار طارق بجيش منهما غربي نهر الابره ، وهاجم بلاد البشكنس (الباسك) واعتنق فرتون صاحب الناحية الاسلام ... ثم استولى طارق على اماية ، وليون ، واشترقة.

وسار موسى على الضفة الاخرى لنهر الابره في اقليم قشتاله ، واستمر شمالا حتى وصل اوبيط (ابيط) فهدمها ، وسار الى خيخون ، فاقام فيها حامية ، وترك حاميات في المناطق المفتوحة ووصلت سراياه الى البحر المحيط . وظن انه لم يبق من القوط الا نفر يسير.

والتقى موسى وطارق في نواحي ليون .وكان مغيث يتعجل موسى بالعودة الى الشام ، فقصد موسى وطارق الى طليطلة ، فقرطبة ، فاشبيلية وعاد بصحبة مغيث الى دمشق.

وترك موسى ابنه عبد العزيز على الاندلس واليا ، وكانت حاضرته مدينة اشبيلية ، واوصاه

(*) في كتب التاريخ كلام طويل عن لقاء موسى وطارق : خلاصته المقبولة : ان موسى كان مغيظا لان طارقا (توغل في الفتح) دون اذنه ، ووبخه في اول لقاء لهما . والثابت ان الامر لم يتطور ولم يتعد ذلك . لاننا سنرى سيرهما بعد ذلك في فتوحات واسعة شمالا . ويزول سوء التفاهم .

بمتابعة فتح ماتبقى من الاندلس ، ومواصلة الجهاد ، وترك معه نخبة من القواد ووجوه العرب مثل حبيب بن أبي عبده حفيد عقبة بن نافع.

وكانت مهمة عبد العزيز : اتمام الفتوح ، وتوطيد امور البلد وتنظيمها . وينقسم المؤرخون المعاصرون فريقين واكثرهم يرى ان غرب الاندلس فتح في اثناء ولاية موسى على يد ابنه عبد العزيز. وبعضهم يرى ان الفتح تم على يد عبد العزيز في ايامه .ويتفقون على ان فتح الغرب الاندلسي كان على يده . ففتح باجة ويابرة وشنترين وقلمرية(٢٧).

ويبدو ان تمام فتح الاندلس كان في ولاية عبد العزيز بن موسى ، فقد فتح مالقة ، وغرناطة، واتجه نحو اقليم مرسيه وصالح صاحبه (تدمير) ودخل في الصلح مدن : اوريولة ، وبلنتلة ، ولقنت وموله ، وبقسره ، وانئه ، ولورقه.

ثم عمل عبد العزيز بوصية ابيه فارسل الغزوات الى طركونه وجرونه على الشاطىء الشمالي الشرقي ، والى بنبلونه في الشمال الشرقي ، والى اربونه على خليج ليون من ساحل فرنسة الجنوبي(٢٨) . وفي بعض النصوص ان في عهد المسلمين الى صاحب بنبلونة شهادة التابعيين علي بن رباح ، وحنش الصنعاني .

٣

واستمر عبد العزيز بن موسى واليا حتى قتل (رجب ٩٧ هـ) فولى الاندلسيون عليهم أيوب بن حبيب اللخمي حتى جاء الحر بن عبد الرحمن الثقفي واليا على الاندلس من قبل محمد بن يزيد والي افريقية والمغرب ، وهو الذي نقل العاصمة من اشبيلية الى قرطبة . ونقل المقري عن الرازي ان الحر قدم واليا على الاندلس في ذي حجة ٩٧ هـ ومعه اربع مئة رجل من وجوه افريقية، فمنهم اول طوالع الاندلس المعدودين(٢٩) . ولا شك في ان افراد هذه الطالعة قد استقروا في الاندلس مع من سبقهم . وناخذ باستنتاج الدكتور مؤنس ، فانه : لما كان معظم عرب افريقية من اليمنيين فاننا نستطيع القول ان معظم هذه الطالعة كانوا من اليمنيين ... ولما كان الحر قدم بهم ليشدوا ازره فقد اقاموا في قرطبة وما حولها(٣٠).

وولى عمر بن عبد العزيز بعد الحر ، السمح ابن مالك الخولاني ، واوصاه ان يخمس الاندلس ماكان (فتح) عنوة ، ويكتب اليه بصفتها ، وانهارها وبحارها(٣١) . وفي تاريخ افتتاح الاندلس لابن القوطية ان عمر بن عبد العزيز كان قد عهد الى السمح باجلاء الاندلس من الاسلام (وفي النفح : وكان من رايه أن ينقل المسلمين عنها لانقطاعهم وبعدهم عن اهل كلمتهم) فكتب اليه السمح يعرفه بقوة الاسلام وكثرة مدائنهم وشرف معاقلهم ، فوجه حينئذ جابرا مولاه ليخمس الاندلس فنزل بقرطبة ...(٣٢) وقد استشهد السمح سنة ١٠٢ هـ على مشارف مدينة طولوشه (تولوز الحالية) .

وساعود الى قضية تخميس الارض في الاندلس لعلاقتها باستقرار السكان وعمارة الاندلس ، والخلاف بين بعض الاندلسيين وبعضهم الآخر.

وقبل ان نصل الى طالعة بلج بن بشر القشيري التي دخلت الاندلس ، نذكر انه تناوب على ولاية الاندلس عدد من الولاة كان اهم ماقدموه الجهاد في الشمال ، ومجاوزة جبال الابواب (البرتات) للجهاد والفتوح ، من جهة ، والعناية بأمور السكان، وترتيب احوال الاندلس في الداخل من جهة اخرى .

وقد ولي بعد السمح : عبد الرحمن الغافقي (ولايته الاولى حتى صفر ١٠٣ هـ) وعنبسة ابن سحيم الكلبي ، وقد توغل عنبسة في فتوحاته الى ابعد نقطة وصل اليها العرب(٢٢) ، واستشهد في عودته (شعبان ١٠٧ هـ) . فاقام اهل الاندلس عذرة بن عبد الله الفهري مؤقتا الى ان جاء يحيى

ابن سلمة الكلبي واليا عليها من قبل بشر بن صفوان والي افريقية والمغرب.

ثم تولى افريقية والمغرب : عبيدة بن عبد الرحمن السلمي ، وارسل في اثناء ولايته اربعة ولاة على الاندلس(٢٤) : عثمان بن ابي نسعة ، وحذيفة بن الاحوص ، والهيثم بن عبيد . فلما توفي اقام الاندلسيون عليهم : محمد بن عبد الله الاشجعي الى ان ارسل عبيدة اليهم : عبدالرحمن الغافقي (للمرة الثانية) فاستمر واليا الى ان استشهد (رمضان ١١٤ هـ) فولي الاندلس عبد الملك بن قطن الفهري.

وتولى أمر افريقية والمغرب عبيد الله بن الحبحاب ، فولى على الاندلس عقبة بن الحجاج بدلا من عبد الملك بن قطن ، فقضى ولايته على الاندلس في الجهاد(٢٥) ، فتح اربونة ، وبنبلونة ، ومقاطعة البَـة واسكن فيها جماعات من المسلمين.

في هذه المدة قامت في المغرب فتنة بين العرب والبربر لاسباب مختلفة : اقتصادية وسياسية، وكان عمر بن عبد الله المرادي صاحب طنجة سببا مباشرا لغضبة البربر فانه كان « اساء السيرة واشتط في جمع الضرائب.. » ويبدو انه لم يكن وحده من ولاة ابن الحبحاب اثار النقمة وحرك الضغائن . وكان من نتيجة ذلك ان استغل خوارج المغرب ، وجملتهم من البربر هذه الظروف، وقاموا بأكثر من حملة ، احداها معركة الاشراف التي قتلوا فيها مقتلة عظيمة ذهب فيها عدد كبير من كماة العرب وفرسانهم ، وكانت حركة البربر سنة ١٢٢ هـ .

ولما بلغ نبأ الانتقاض على ابن الحبحاب في المغرب تحرك بربر الاندلس وغيرهم وعزلوا عنهم عقبة بن الحجاج واعادوا عبد الملك بن قَطَن.

وبادر هشام بن عبد الملك الخليفة الاموي ، فعزل عبيد الله بن الحبحاب ، وولى كلثوم بن عياض وارسل معه جيشا كثيفا من ٢٧ الفا انضم اليه في مصر ثلاثة آلاف فبلغ ثلاثين . وجعل هشام امر الولاية بعده لابن اخيه بلج بن بشر — فقد كان كلثوم متقدما في السن — وجعل الامر بعد بلج الى ثعلبة بن سلامة الجذامي . قال في «اخبار مجموعة» في صفة الجيش : واخرج ثعلبة على جند اهل الاردن . وندب من اجناد الشام من كل جند ستة آلاف . ومن اهل قنسرين ثلاثة آلاف ، فاخرجه من الشام في سبعة وعشرين الفا »(٢٦) .. فأخرج كل شاب يرجى صبره وجلده ثم اقبل الى مصر فأخرج من اهلها ثلاثة آلاف من اهل الديوان سوى من تبعهم من الناس(٢٧) .

ولم يوفق هذا الجيش على وفرته في تهدئة امور المغرب ، بل لقي هزيمة ، وتشتت امره وقتل كلثوم بن عياض وحبيب بن ابي عبدة وغيرهما من وجوه العرب . وانحاز بلج بن بشر القشيري بمن بقي معه الى نواحي سبتة ، في ظروف سيئة، وانحصروا في مكان نفد منه الطعام ومايُغار عليه حتى اكلوا دوابهم وساءت احوالهم.

وارسل بلج الى ابن قطن في الاندلس يطلب اليه الدخول او الميرة فمنعه من الامرين معا ، وخشي على سلطانه من دخول بلج . ولكن ظروفا طارئة غيرت الظروف القائمة . فقد راع عبد الملك ابن قطن فلول العرب تقدم عليه بعد تحرك البربر في الشمال والشمال الغربي الاندلسي . قال في الاخبار المجموعة : « فقضي أن بربر الاندلس لما بلغهم ظهور بربر العَدوة على عربها واهل الطاعة، وثبوا في اقطار الاندلس فأخرجوا عرب جيلقية وقتلوهم واخرجوا عرب استرقة ، والمدائن التي خلف الدروب فلم يرع ابن قطن الا فلُهم قد قدم عليه ، وانضم عرب الاطراف كلها الى وسط

الاندلس الا ماكان من عرب سرقسطة وثغرهم، فانهم كانوا اكثر من البربر ، فأخرج اليهم عبد الملك جيوشا فهزموها وقتلوا العرب في الآفاق . فلما راى ذلك وخاف ان يلقى مالقي اهل طنجة، وبلغه اعداد البربر له لم ير شيئا اعز له من الاستمداد باهل الشام ، فبعث اليهم السفن فادخلهم ارسالا ...(٣٨)» . واشترط ابن قطن على بلج والجيش الشامي شروطا خلاصتها ان يخرجوا من الاندلس بعد انتهاء مهمتهم في قتال الثوار من البربر ، واخذ رهائن من الشاميين وضعهم في جزيرة ابن حكيم لانفاذ الشروط .

واستطاع عبد الملك بن قطن والي الاندلس ، بمساعدة بلج وجيشه ان يقضي على فتنة البربر، ويهزمهم في وقعة وادي سليط احد روافد نهر التاجه . واقطع ابن قطن الشاميين ارضا في نواحي قرطبة ريثما يرتب لهم مغادرة الاندلس. ومنذ ذلك الوقت عرفت الطوالع التي سبقت بلجا واستقرت في الاندلس باسم (البلديين)(*) تمييزا لهم عن طالعة بلج الذين عرفوا منذ ذلك الحين بـ (الشاميين) .

ولما حال الحول سأل عبد الملك بن قطن بلجا واصحابه الخروج عن الاندلس فتعللوا بعلل مختلفة — وكانوا قد تمكنوا من انفسهم — فأبوا الخروج ، ووثبوا على ابن قطن وولوا بلج بن بشر الاندلس . ووجد بلج سندا شرعيا لنفسه من قول هشام انه يلي اصحابه بعد كلثوم ابن عياض . وقامت حوادث بين عبد الملك وبلج انتهت بمقتل عبد الملك في حديث طويل ... ومات بلج نفسهمن اثر جراحات اصابته في معركة له منتصرة على ابني عبد الملك بن قطن (سنة ١٢٥هـ) .

وضبط ثعلبة بن سلامة الجذامي الاندلس بعد وفاة بلج بالعهد الذي قرره هشام من قبل . ولم يطل به العهد ، حتى طلب الاندلسيون من والي افريقية حنظلة بن صفوان ان يبعث اليهم واليا(٣٩) بدلا من ثعلبة فأرسل اليهم ابا الخطار حسام بن ضرار الكلبي .وفي تاريخ ابن القوطية(٤٠) ان هشاما ولى حنظلة بن صفوان الكلبي افريقية والمغرب ، وامره ان يولي ابا الخطار الكلبي على الاندلس (وهو ابن عمه) فبعثه « ومعه ثلاثون رجلا ، وهي الطالعة الثانية من الشاميين » .

وكانت أمام ابي الخطار مهمات جسام من اصلاح امر الفتنة بين العرب والبربر ، وبين البلديين والشاميين . ومن ايقاف رؤوس الفتنة ومثيري الشغب . ودانت له الاندلس ، وهدات ثائرة الناس . وجمع بضعة عشر من مثيري الشغب من رؤوسهم وغربهم الى طنجة ، ثم فرق جند الشام على كور الاندلس . وكان تفريق الشاميين في الاندلس لاسباب اقتصادية،ولاسباب سياسية ايضا . وكانت خطوة حكيمة . وسيرجع الحديث الى هذه القضية في موضعه.

٤

وتدخل الاندلس في القسم الاخير من عهد ابي الخطار الكلبي في فتنة داخلية : سياسية متلبسة بلبوس قبلي ، وللمصالح والاهواء فيها نصيب. فحين يشتط ابو الخطار في تقريبه لليمنية يثور الصميل بن حاتم الكلابي (القيسي) ويجمع حوله الغاضبين من قيس ويمن على السواء (لأن ابا الخطار يمني ، والعصبية في الاندلس له فأكثر العرب من اليمن) . وولى الاندلسيون — بتقديم الصميل — يمنيا عليهم هو ثوابة بن سلامة الجذامي (حتى وفاته) ووضعوا ابا الخطار في السجن .

واقترح الصميل ان يكون والي الاندلس عاما

(*) اهل البلد (الاندلس) ، لتبلدهم (لطول مكثهم في الاندلس) .

من القيسيين وعاما من اليمانيين ، وبدؤوا (الوالي الاول) برجل من قريش،وولوا يوسف ابن عبد الرحمن الفهري .

واستمر يوسف الفهري واليا في ظروف مضطربة نسبيا ، لاضطراب امر المشرق بدعوة المسوّدة (العباسية) وانشغال الامويين بهم . ولعدم انطفاء الفتن الداخلية في الاندلس ... ولم يلبث امر عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ان قام في الاندلس ، وتم له الامر سنة ١٣٨ هـ في خبر طويل ، لامجال له في هذا الموضوع .

والذي يعنينا هو ان نسجل دخول اعداد مذكورة من العرب في أيام عبد الرحمن الداخل ، وابنه هشام الرّضى ، من الامويين الفارين ، ومن غيرهم الذين لجأوا الى الاندلس او قصدوا اليها بعد الهدوء والاستقرار الذي نعمت به البلاد «وكان الداخلون ايام الامارة الاموية يفدون فرادى او في جماعات صغيرة ، وكانوا في الغالب ينزلون قرطبة او يقصدون اهل قبائلهم في النواحي ...»(٤١).

ولم ينقطع الوافدون على الاندلس ، بعد ذلك ، بل استمرت الاندلس تستقبل الوافدين من اهل العلم والتجارة ، ومن الذين استهوتهم بلاد الاندلس فقصدوا اليها من المشرق ومن اقطار المغرب . ونستطيع ان نقول ان الحركة كانت مستمرة ايام دولة بنيْ امية ، وفيما وراء ذلك من الاندلس واليه . وفي كتب التراجم اعداد كبيرة من الوافدين الذين استقروا في الاندلس وما لم تدركه كتب التواريخ والرجال لايقع تحت احصاء .

واذا تحدثنا عن سكنى العرب ، وغيرهم ، بلاد الاندلس ، فان الحديث يتناول القسم الاسلامي من الجزيرة ، كما استقر عليه الحال في ايام عبد الرحمن الداخل (ابتداء من ١٣٨ هـ) ومابعده . ذلك ان الفتح استغرق جزيرة الاندلس الا قبسا يسيرا من الشمال الغربي الذي تسميه المراجع العربية « الصخرة » ، بل ان الروايات تتساهل في عدد القوطيين الذين اووا الى الصخرة فتجعلهم نحو ثلاثين رجلا ! وذكر صاحب اخبار مجموعة في حديث عقبة بن الحجاج انه احيى الجهاد في الاندلس « وافتتح الارض حتى بلغ اربونة وافتتح جيليقية والبة وبنبلونة ولم تبق بجيليقية قرية لم تفتتح غير الصخرة فانه لاذ بها ملك يقال له « بلاي »فدخلها في ثلاث مئة راجل فلم يزل يقاتلونه ويغاورونه حتى مات اصحابه جوعا وترامت طائفة منهم الى الطاعة فلم يزالوا ينقصون حتى بقي في ثلاثين رجلا ...(٤٢)».

ومختصر الحال انه بعد الفتوح الاولى تقدم (بلاي) في جزء من جيليقية وناحيتي اشتريس وكنتبرية ايام عنبسة بن سحيم الكلبي . غير ان حملة عقبة بن الحجاج التي سبقت الاشارة اليها في الفقرة السابقة ردت بلاي الى الصخرة في الجبال العليا . غير ان الظروف خدمت (بلاي) ومن جاء بعده في الاعوام التي سبقت مجيء عبد الرحمن بن معاوية . واهم هذه الظروف كانت من جهة المسلمين انفسهم :

ا ــ فقد تفاقمت الفتنة بين القيسية واليمنية مما اضعف قواهم جميعا.

ب ــ وانتقلت الفتنة البربرية من المغرب الى الاندلس ، فأفسدت الحياة السياسية ، والحياة الاقتصادية ، بل كان لها على الصعيد الاقتصادي تأثير مدمر .

ج ــ وعاد الى المغرب وافريقية قسم من المسلمين ، وخصوصا البربر منهم . علما بأن

البربر في جهات الشمال الغربي من الاندلس كانوا الاغلبية .

د ـ اصاب القحط الاندلس فزاد في «انجفال المسلمين » عن تلك المناطق ، وخلت بلاد واسعة

هـ ـ وانشغل المسلمون بأحوالهم الداخلية القاسية عن الجهاد ، وعرفوا الدفاع سريعا بعد ان كانوا فاتحين ، مهاجمين.

ويحدد بعض المؤرخين المعاصرين حدود الاندلس بعد ضياع قسم منها ، وخلوه من السكان،واحتلاله احتلالا سهلا دون معارك فاصلة من قبل دويلة الشمال الناشئة على انقاض الاندلسيين فيقول(٤٣) : واصبحت حدود الاسلام الشمالي قبل مجيء عبد الرحمن الداخل تبدأ من ناحية الشرق عند بنبلونةفي اقصى الشمال الشرقي ثم تنحدر الى تطيلة على نهر الآبره ، ومنهاالى وادي الحجارة الى الشمال من طليطلة بين حوض الابره والتاجه،ثم طليطلةوطلبيرةفي حوض التاجه، ثم قورية ، وتنتهي الحدود عند قلمرية على ساحل المحيط الاخضر (الاطلسي) . اي أن الاندلس الاسلامي فقد ربع شبه الجزيرة على وجه التقريب قبيل مقدم عبد الرحمن الداخل (١٣٨ هـ ـ ٧٥٦ م) .

. . . .

كان من الطبيعي أن يستقر قسم كبير من جند الفتح في الاندلس . ونجد في اخبار الاندلس الاولى اشارات الى قسمة الاراضي ، واستيطان العرب والبربر في الاراضي المفتوحة . ففي رحلة الوزير : « وحين تم افتتاح المسلمين [الاندلس] قسمها موسى بن نصير البكري التابعي بين الجيوش الذين دخلوها كما قسم بينهم سبيها ومتاعها وسائر مغانمها واخرج من ارضها ورباعها الخمس ... الخ ».

وتحدث في نفح الطيب عن عودة موسى وطارق، ثم قال : ومضيا جميعا ومعهما من الناس من اختار القفول ، واقام من آثر السكنى في مواضعهم التي كانوا اختطوها واستوطنوها .» وفيه أيضا: وكان العرب والبربر كلما مر قوم منهم بموضع استحسنوه حطوا به ونزلوه قاطنين فاتسع نطاق الاسلام بالاندلس(٤٤) ...

كان العرب في جيش طارق قلة ، ولهذا فانهم لاينفردون بأخبار عن منازلهم وسكناهم ، ولاشك في انهم كانوا في جملة من اندرج مع جماعة موسى بعد ان آلت القيادة اليه ، ثم نالوا حظهم من الارض وغيرها مع طالعة موسى بن نصير . ومن المعقول ان يكون العرب قد استقروا « في كل ناحية على طول الطريق الذي سار فيه موسى اي في نواحي الجزيرة الخضراء ، واشبيلية ، وسرقسطة ، وبعض نواح متفرقة في الشمال والشمال الغربي»...

وفي اخبار مجموعة ان الثغر لليمن(٤٥) اي سرقسطة وماحولها ، وقد سكن اليمنيون في هذا الثغر الاعلى (الشمال الشرقي) وانتشروا في قرطبة واقليمها ، واقاليم اشبيلية ومُرسيه وكان اليمنيون في جيش موسى بن نصير اكثرية ، لان صلب الجيش من افريقية ، وغالب العرب في افريقية والمغرب من اليمن.

وحين قدم الحر بن عبد الرحمن الثقفي واليا على الاندلس (سنة ٩٧ هـ ـ ٧١٦ م) كان معه « اربع مئة من وجوه اهل افريقية ، فمنهم اول طوالع الاندلس المعدودين»(٤٦) ويغلب ان يكون معظمهم من اليمنية لانهم من عرب افريقية . وأن يكونوا في قرطبة او في ماحولها ، لانهم جاؤوا ليشدوا ازره وليكونوا عونا له(٤٧).

ولما استقر الجند الشامي من طالعة بلج بن بشر في قرطبة ضاقت بهم . وكان من الطبيعي

ان يزاحم هؤلاء الوافدون الجدد (اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وديمغرافيا) السكان القدامى . ومن هنا نشأ النزاع بين البلديين (واكثرهم من اليمنيين) وبين الشاميين (جند بلج) واكثرهم من القيسيين . وانحلت هذه المشكلة بعد مجيء ابي الخطار الكلبي واليا على الاندلس .

ولجأ ابو الخطار الى تفريق الشاميين — وقد كثروا ولم تحملهم قرطبة كما يقول ابن خلدون — وانزل كل قوم بناحية تشبه مواطنهم في المشرق (الشام) :

— فأنزل اهل حمص في اشبيلية لشبه اقليم اشبيلية بحمص . وسميت اشبيلية منذ ذلك الحين : حمص .

— وانزل اهل قنسرين في كورة جيان ، وسماها قنسرين .

— وانزل اهل الاردن في كورة ريه (في ارشذونة ومالقة) وسماها الاردن .

— وانزل اهل مصر (لكثرتهم) فيكورة باجه، وكورة تدمير (مرسيه) ، واكشونبة .

— وانزل اهل دمشق في كورة إلبيره .

وكسب أبو الخطار بهذا التوزيع رضا البلديين، لانه لم يمس مصالحهم ، وارضى الشاميين الذين نزلوا في بلاد تشبه بلادهم في توسعة ، ويظهر ان ابا الخطار اقطع الشاميين في الاماكن التي انزلهم فيها أراضي مما كان يملك عجم الاندلس ، واعطاهم من انعام هؤلاء مايستطيعون ان يتعيشوا به .. (العرب والاسلام : ١٥٣) وينقل في (فجر الاندلس ٢٢١) أ ن ابا الخطار اقترح على الشاميين ان ينتقلوا الى الارياف في الكوَر على ان يجعل لهم ثلث مايُجبى من اهل الذمة في نواحيهم تلك(٤٨).

. . . .

وقد تحدث المؤرخون والفقهاء قديما وحديثا ، في امر اراضي الاندلس وقسمتها وبيان ما فتح عنوة ومافتح صلحاً ، ومايترتب على ذلك من احكام مالية وجبائية ، واطالوا الحديث فيه لنقص الاخبار حينا ، ولورود بعضها غير واف حينا آخر . وقد مر من قبل ان السمح بن مالك وجابرا بدآ في تخميس الاراضي . ولعل السمح انشغل بالفتوح (ثم استشهد) ، فشغل عن اتمام التخميس ، وفي الاخبار مايدل على اقرار الوليد بن عبد الملك لاصحاب الاراضي على ما بأيديهم(٤٩) .

اذن .. كيف توزع المسلمون في الاندلس ؟ ان تتبع مجرى الاحداث : الفتوح وماتلاها ومراجعة ماكتبه المؤرخون والجغرافيون الاندلسيون وغيرهم تقود الى الراي الغالب عند القدماء والمحدثين من أن استقرار العرب والبربر حيث نزلوا واستقروا كان برغبة الفاتحين او برضاهم . واختار كل من العرب والبربر المناطق الملائمة لهم او المشابهة لبلادهم ، فتجمهر اكثر العرب فيا لسهول والمناطق القليلة الارتفاع ، البعيدة عن الجو البارد ، بينما انحاز البربر الى مايألفون في بلادهم الجبلية (الاطلس في بلاد المغرب وسواها) فزرعوا الاشجار وربوا الماشية ... في الاكثر الاعم . ولاتحمل المقالة ان نستطرد في هذا المجال فنكتفي بهذه الاشارة (٥٠) .

ويكثر في كتب الجغرافية الاندلسية ان تجد اسماء حصون وضياع وقرى خاصة ببعض القبائل من يمن أو قيس . فكان العرب يتخذون هذه الاماكن ، اذا كانوا بعيدين عن المدن الكبرى (في الاكثر) مثل قلعة بني يحصب (في اقليم

(*) وقد استفاد المؤرخون المعاصرون مما ذكره ابن حزم من انساب عرب الاندلس وذكر منازلهم ، في اجمال وايجاز كما نجد في الحلل السندسية ، وفي فجر الاندلس ، وغيرهما من الكتب التي عرضت لفتوح الاندلس وتاريخها .

غرناطة) وقلعة خولان (بين الجزيرة الخضراء واشبيلية) وقلعة جابر (شمال اشبيلية) وقلعة ايوب (في الثغر الاعلى) وقلعة رباح (بين طليطلة وقرطبة) وهناك قرى كثيرة تحمل اسماء اصحابها مثل كنتش معافر ، ومنزل همدان ، وارش اليمن الى غير ذلك من الضيع والقرى والمنازل والقلاع والحصون والابراج .. التي تدل على توطـــن اصحابها ونزولهم بها ، والتي توارثوها جيل عن جيــل .

وقد ذكر العذري في كتابه مجموعة من اسماء المواضع مما يخص اهل اليمن ويدل علىتوضعهم في (اقليم) أو (جزء) أو (قلعة) . فمن ذلك : اقليم ربع اليمن (صفحة ٩٠) واقليم اليمانيين (٩٢) وجزء أرش اليمن (ص٩٢) وجزء زغيبة بن قطبة العذري (ص ٩٠) وجزء ياسين بن يحيىالعذري (ص٩٠) وربع اليمن (ص ١٧١) وقصبــة تلعة ايوب (٥١—٥٢) وقلعة بني خطاب ؟ (ص ١٥٢) ومنزل حسان ؟ (ص ٢٤).

وفي الروض المعطار في مادة (بجانة) قال: (٥١) مدينة كانت في قديم الدهر من أشرف قرى ارش اليمن ، وانما سمي الاقليم أرش اليمن لان بني امية لما دخلوا الاندلس انزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الاقليم ، وجعلوا اليهم حراسة مايليهم من البحر وحراسة الساحل .. ومعنى ارش اليمن: عطيتهم ونحلتهم.

5

قبل ان يتحدث المقري عن فروع جذمي العرب من قحطان وعدنان قال : والقحطانية المعروفون باليمانية .. وهم الاكثر بالاندلس ، والملك فيهم ارسخ الا ماكان من خلفاء بني امية فان القرشية (انتماءهم في قريش) قدمتهم على الفرقتين ، واسم الخلافة لهم بالمشرق . وكان عرب الاندلس يتميزون بالقبائل والعمائر والبطون والافخاذ ، الى ان قطع ذلك المنصور بن أبي عامر الداهية الذي ملك سلطنة الاندلس ، وقصد تشتيتهموقطع التحامهم ، وتعصبهم في الاعتزاء . وقدم القواد على الاجناد ، فيكون في جند الواحد فرق من كل قبيل ، فانحسمتمادة الفتنبالاعتزاء بالاندلس، الا ماجاءت على غير هذه الجهة(٥٢) . وقد كان اليمنية والعدنانية فيكل مكان من الاندلس تقريبا الا مواضع قليلة كالذي كان لليمنية في سرقسطة، ومنازل معروفة محدودة.

وحين ذكر ابن حزم فروع القحطانية ، قال عن كهلان وحمير ان فيهما العدد والجمهرة ، يعني من اليمنية القحطانية(٥٢) .

فمن المناطق التي كان اغلب اهلها من قبــائل اليمن : الثغر الاعلى (سرقسطة واقاليمها) فقد كان فيهـــا من الانصـــار ، وعذرة ، وقضاعة ، وتجيب ، وكنــدة ، وجذام . وكــورة تدمــير (مرسية)❋ وكان فيها من اليمنيين من جُذام ودوس ، وغافق ، ومن اهل حضرموت . وبكورة رَيّه (وتعرف فيما بعد بكورة مالقة) من الخزرج وذي رُعين ومن جزيلة بن لخم ومن الحضرميّين . وبكورة شذونة من جذام ، وجزيلة ، وعرمرم بن جميل من الخزرج ينتمون الى ســعد بن عبــادة الانصاري ، وفي استجه مورور من لخم وخثعم وفي الجـــزيرة الخضراء من خولان وبني عــذرة ، ولخم وجذام . وفي وادي آش : من بني حسان وبني عمر الغسانيين وفي جيّان بنو ميسرة وقحطبة الطائيون ..

وهذه طوائف قبائل اليمن ، وما تفرع منها ، على النسق الذي ذكره ابن حزم في جمهرة انساب العرب(٥٢مكرر) . فانه لـمـا فرغ من ذكر القبائل

(❋) اما مدينة مرسيه فمن بناء عبد الرحمن بن الحكم المرواني المعروف بالاوسط . ولكن الكورة (كورة تدمير) كثيرا ماتنسب اليها .

العدنانية ، التفت الى اليمانيـــة فذكر انسابهم ، وجاء على ذكر المشهورين فيهم . وكان يذكر منازل القـــوم في الاندلس بحسب ما وصـــل اليـــه من معلومات . وهـــو على كل حـــال ، لم يلتـــزم الاستقصاء والتتبع لمواطن اليمنيـــة في الاندلس ، ولكن ما أورده يمثل اهم ما بين ايدينا ــ اليوم ــ من الوثائق في هذا الباب . وساضيف الى ما في الجمهرة ماوجدته في بعض المظان ، مما سبقت الاشارة اليه في صدر المقال ، وانبه على ذلك في مواضعه ، او في إحالات اضـــع تفاسيرها في الحواشي .

فمن الأوس : بنو ربيع بن محمد .. بن حنظلة غسيل الملائكـــة (رض) كانوا بقرطبـــة يتـــولون الأهراء ، وسكناهم بمقبرة بني العباس في الجانب الشرقي(٥٣)مكرر.

ومنهم بـــ (باجـّة) آل حفص بن احمد بن عمـّار .. ابن حمي الدّبْر عاصم بن ثابت (رض).

وبقلعة رباح من ولد محمد بن مسلمة .. بن الاوس بن حارثة ، محمد بن احمد بن حزم بن تمام .. محدّث . ومن ولد ابي عيسى بن جبر بن عتيك المذكور بيته : قاسم بن موسى بن احمد .. بن أبي عيسى (او ابن ابي عبس) بقرطبة . (الجمهرة ٣٤١) .

وبقرية شوش الانصار (من إشبيلية) رهط عبد الله بن عمر .. بن قتادة بن النعمان من بني ظفر من الأوس (الجمهرة ٣٤٣) .

نقل المقرّي في النفح : ومن اهل الاندلس من ينتسب الى غافق بن عك بن عدثان بن هزان بن الازد . قال : وقد يقال : عك بن عدنان (بالنون) فيكون اخا معدّ بن عدنان وليس بصحيح(٥٤) .

وفي جمهرة انساب العرب ذكر بني عك بن عدنان أو بني عك بن الديّث بن عـــدنان في القبـــائل العدنانية . وفي ذكر أولاد عبد الله بن الازد قال : فمن نسب عكاً الى اليمن قال عكّ بن عدنان بن عبد الله بن الازد . (الجمهرة ٣٢٩) .

وفي عجالة المبتدي للهمذاني(٥٥) في ترجمة (العكي) : « منسوب الى عكّ بن عدثان بن عبد الله بن الازد . وقال الزبير بن بكار ولد أدُ معدّاً والحارث وهو عك . ثم قال فأما عك بن عدنان فكل من كان منهم بالمشرق نعم ينسبون في الازد . وكل مـــن كان منهـــم باليمـــن والشـــام ومصـــر والمغـــرب فانهـــم مقيمـــون عـــلى انسابهم في عدثان .. (وانظر مادة الغافقي)(٥٦) .

ونقل المقـــري عن ابن غالب قال : من غافق ابو عبد الله بن ابي الخصال الكاتب . واكثر جهات شقورة ينتسبون الى غافق .

وفي جمهرة انســـاب العرب (٣٢٨) في ذكـــر المنتمين الى غافق بن الشاهد بن علقمة بن عكّ ان دارهم بالاندلس معروفة باسمهم في الجوف* في شمال قرطبة ، منهم بنو اسلَم (بضم اللام) بن القِيانة بن غافق . ومنهم كان أمير الاندلس عبد الرحمن بن عبد الله بن مخشى بن زيد بن جبلة بن ظهير بن العائذ بن عائذ بن غافق بن الشاهد .. (عبد الرحمن الغافقي) . وله عقب قد خَمَل بمرنيانـــة الغافقيّين بقرب اشـــبيلية على النـــهر الاكبر(٥٧) (اي الوادي الكبير) .

ومن الخزرج :

ــ من بني مالك بن النجار :

بـــ (ريّه) بنو عثيم بن سفيان بن عبد الله .. بن مالك بـ ن النجار ، وهم بِقَرْطَمَة كانوا يحملون الألوية لخلفاء بني مروان .

ومن بني عنز (قوقل) بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج بن حارثة :

(*) الجوف في اصطلاح الاندلسين جهة الشمال ،وخلافها القبلة . وانظر في ذلك ماكتبه امير البيان شـــكيب ارسلان في الحلل السندسية : ١٦٤ .

وكان من ولد عبادة بن الصامت قوم يسكنون بالمدينة عندنا بباب العطارين بقرطبة يعرفون ببني هارون . (الجمهرة ٣٥٤) .

بنو عوف بن الحارث بن الخزرج :

ومن ولد شبيب بن يزيد بن النعمان بن بشير الانصاري قوم بقرية شوش الأنصار من اشبيلية (الجمهرة ٣٦٤) .

وبنو كعب بن الخزرج بن حارثة ، منهم:

سعيد بن سعد بن عبادة : له عقب بالاندلس بقرية يقال لها قربلان من عمل سرقسطة من قبل الحسين بن يحيى بن سعيد (الجمهرة ٣٦٥) . وفي النفح (١ : ٢٩٤) ومن الخزرج بالاندلس . وابو بكر عبادة بن ماء السماء من ولد سعد بن عبادة رسول الله (ص) وهو المشهور بالموشحات .

والى قيس بن سعد بن عبادة ينتسب بنو الاحمر سلاطين غرناطة .

وبشذونة : بنو عرمرم بن جميل بن عصام بن قتادة بن وتاد بن قيس بن سعيد بن سعد بن عبادة .

ومن ولد مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحارث بن الخزرج: بنو خبيب ، وبنو قطنين البيازون الساكنون بقرية إختيانة من قبْره (الجمهرة ٣٦٣) .

وبنو بجيلة من كهلان :

دارهم بالاندلس بجهة اربونة (الجمهرة ٣٨٧) .

بنو خثعم بن انمار (وهو أقيل) :

منهم نفيل بن حبيب بن عبد الله : من ولده بالاندلس (بالبيرة) آل عنطيف بن شعيب بن عنطيف بن معاذ . . بن نفيل . (الجمهرة ٣٩١) .

ومن (خثعم) كان عثمان بن ابي نسعة ، والي الاندلس ، وولده بشذونة ، وهي دار خثعم بالاندلس (الجمهرة ٣٩٢) .

ومن ولد الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ : (بنو بشتفير) ، و (بنو كريم) وغيرهم ، ودارهم بالاندلس : اشبيلية . (الجمهرة ٣٩٢) .

ودار همدان (بن الخيار بن كهلان) بالاندلس : إلبيرة (الجمهرة ٣٩٧) ومنزل همدان مشهور على ستة أميال من غرناطة(٥٨) . وهناك قرية همدان الى الجنوب من غرناطة(٥٩) ومنهم اصحاب غرناطة بنو اضحى .

و في تاريخ ابن القوطية(٦٠) ان باقليم إلبيرة بنو اضحى الهمدانيون ، وفي وادي آش منهم : بنو حسان وبنو عمر الغسانيون . وفي كورة جيان بنو ميسرة وبنو قحطبة الطائيون .

ودار بني الاشعر (بن كهلان) بالاندلس : ريّه (الجمهرة ٣٩٨) .

ودار (طيىء) بالاندلس : بسطة ، وتاجلة وغليار : (الجمهرة ٤٠٤) .

قال ابن غالب : ومنزل طيىء بقبلي مرسية ، ومنهم من ينتسب الى مراد بن مالك بن أدد . وحصن مراد بين اشبيلية وقرطبة مشهور (٦١) .

ودار عنس بالاندلس جهة قلعة يحصب (الجمهرة ٤٠٦) .

(راجع المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ٢ : ١٦١) كتاب الطالع السعيد في حلى اعمال قلعة بني سعيد . ونقل عن المسهب ان اول من حل بهذه القلعة من ولد عمار بن ياسر (رض) عبد الله بن سعد بن عمار ، وكان حينئذ أميراً على اليمانية من جند دمشق .

ولما كانت الفتنة (بعد سقوط الدولة المروانية) وثار ملوك الطوائف كان أول من ظهر

منهم بالقلعة واستبدّ (اي استقل بدويلة) خلف ابن سعيد ...(٦٢)

قال المقري : وقلعة بني سعيد مشهورة في مملكة غرناطة . (٦٣)

قال ابن غالب : بنو سِراج الاعيان من اهل قرطبة ينتسبون الى مذحج (٦٤)

قال ابن غالب : ومن كهلان من ينتسبُ الى مرة بن ادد بن زيد بن كهلان ، ومنهم بنو المنتصر العلماء من أهل غرناطة(٦٥) ومنهم من ينتسب الى (عاملة) منهم بنو سماك القضاة من اهل غرناطة(٦٥).

ومن كهلان : خَولان بن عمرو . قال ابن حزم (ص ٤١٨) كان منهم اسحاق بن قاسم بن سمرة .. بن السمح بن مالك الخولاني ، من اهل قرطبة اصله من الجزيرة . وترجم له ابن الفرضي (برقم ٢٣٤)

وقال ابن غالب : وقلعة خولان مشهورة بين الجزيرة الخضراء واشبيلية ، ومنهم بنو عبد السلام اعيان غرناطة .

قال ابن حزم : ومنهم بقرطبة اهل بيت ، منهم المحدث المشهور : عمر بن عبد الملك ... بن ابي مسلم الخولاني ، وترجم له ابن الفرضي (برقم ٣٦٨)

ومنهم بإلبيرة : بنو تجيح بن سالم بن ابي مسلم المذكور (ابن الفرضي برقم ١٤٩٧)

ومنهم من ينتسب الى المعافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرّة : ومنهم المنصور بن ابي عامر صاحب الاندلس (٦٦) ، وولي الاندلس هو وابناه عبد الملك ، وعبد الرحمن (الجمهرة ٤١٨) .

وقال ابن حزم : وآل جحاف ببلنسية ، وبنو مفوز بينبه ، وبنو منخل بجيان ، وهم بيوت متفرقة بالاندلس، ليستلهم دار جامعة .(الجمهرة ٤١٩)

وفي المغرب لابن سعيد(٦٧) ان من اعمال كورة شاطبة حصن (يانبه)

ومن بني عاملة : ثعلبة بن سلامة العاملي : ولي الأردن (بالشام) والاندلس ، ـ قتل مع مروان بن محمد ـ وله عقب بـ «بلّة» العامليين من ريّه .(الجمهرة ٤١٩)

ومنهم من ينتمي الى جذام . ودار جذام بالاندلس : شذونة، والجزيرة وتدمير واشبيلية .

ومن الجذاميين : ثوابة بن سلامة الجذامي ، وبنو هود ملوك شرقي الاندلس ومنهم المتوكل بن هود الثائر على الموحدين ، وبنو مردنيش اصحاب شرق الاندلس (بعد الموحدين) . قال ابن غالب وكان لجذام جزء من قلعة رباح (الجمهرة ٤٢٨)

ومنهم من ينتسب الى لخم بن عدي فهم بنو عباد اصحاب اشبيلية وغيرها ، وهم من ولد النعمان بن المنذر صاحب الحيرة . ومنهم بنو الباجي اعيان اشبيلية ، وبنو وافد الأعيان (٦٨) .

قال ابن حزم : ومن لخم : ثوابة بن عدي . ودار ثوابه بالاندلس : اشبيلية . وله قرية بالشرف يقال لها آش ، منزل ، وعقبة بها الى اليوم (الجمرة ٤٢٣).

ومن ولد ثوابه المذكور عمر تحزب عن اهل بيته ، فلحق بقرية يقال لها لبص من اقليم البصل فاتخذها دارا ، فبقي عقبة بها الى اليوم . وللقاطنين منهم بإشبيلية بيت قديم . وسلف مشهور .

قال ابن حزم : ودار لخم بالشام حوالي العريش : ودارهم بالاندلس : شذونة ، والجزيرة واشبيلية . ومنهم آل عبّاد وآل نماره .

ومنهم بنو حجاج المتزون باشبيلية وقرمونة ، ثم ولاة بني امية عليهما(٦٨)مكرر.

قال ابو محمد : وقرية البحريّين بشرقي اشبيلية انما تنسب الى بني بحر ، وهم فخذ من لخم (الجمهرة ٤٢٤)

وقال ابن القوطية في تاريخه (٦٩) « ولايوب ابن حبيب اللخمي ابن اخت موسى بن نصير عقب بجانب بنة مـن كورة ريـة .» وكان الاندلسيون قدموا على انفسهم بعدمقتل عبد العزيز بن موسى: ايوب بن حبيب الى ان جاء الحر بن عبد الرحمن الثقفي ، على مثال ما سبق في فقرة سابقة من البحث .

ومن كهلان مَن ينتسب الى كنده ، ومنهم يوسف بن هارون الرمادي الشاعر الوشاح .

ومنهم من ينتسب الـى تجيب . قال ابو محمـد : ودار تجيب بالاندلـس : سرقسطـة ودروقة ، وقلعة ايوب (الجمهرة ٤٣٠)

وذكر جماعة من التجيبيين . منهم عميره بن المهاجر الذي تولى برشلونة لبعض امراء الاندلس سنتين .

قال « ولعبد العزيز بن عبد الرحمن صاحب دروقة اخ اسمه صمادح : اظن بني صمـادح يخرجون اليه . » (الجمهرة ٤٣١)

وقال ابن سعيد في المغرب(٧٠) : انه قد ولي امور المرية في شرق الاندلس بعد زهـير العامري صهره ووزيره : معن بن ابي يحيى بن صمـادح التجيبي .

وقال العذري في ترصيع الاخبار(٧١) انه لما ثار بنو قسي على الامام محمد بثغر سرقسطة نوه باولاد عبـد العزيز التجيبي وبنى لهم قلعة ايوب (اعاد بناءها) وادخل فيها عبد الرحمن بن عبد العزيز ، وبني شميط ودروقة وفورتش ، ونصبهم لمحاربة بني قسي .

وبمدينـة وشقة (تقع في شـرق مدينـة سرقسطة) كان بنو اسلم من تجيب(٧٢).

ومنهم من ينتسب الى حمير بن سبأ.

ومن حمير ابين بن زهير . قال ابومحمد ،ومن ولده كان قاضي قرطبة يحيى بن معمر . وكان من عقبه باشبيلية عبد الله بن محمد بن زكريا بن القاضي يحيى .(الجمهرة : ٤٣٣).

ومن شعبان بن عمرو بن الهميسع بـن حمير جماعة . ومن كان من اهل هذه الفصيلة بالكوفة انتسبوا شعبيين ، ومن كان منهم باليمن انتسبوا آل ذي شعبين . ومن كان منهم بالشام والاندلس انتسبوا شعبانيين الا رجلا بمالقة ينتسب شعبيا. ومن كان منهم بمصر والقيروان سموا الاشعوب (الجمهرة ٤٣٣) .

وفي المدونة التي تؤرخ عهد عبد الرحمن الناصر .. ان من بني شعبان : بنو معاذ في قرطبـة وجيان ، وانهم عائلة قضاة(٧٣).

ومنهم ذو رعين . ودار ذي رعين بالاندلس : الفحص المنسوب اليهم بريّه.(الجمهرة٤٣٤) .

وفي نفح الطيب : ومنهم ابو عبد الله الحناط الاعمى الشاعر(٧٤).

ومن حمير من ينتسـب الى ذي اصبح . والاصبحيون من اعيان قرطبة(٧٥).

ومنهم بنو هوزن وبنو حراز ، ودار بني هوزن بالاندلس : القريتان المذكورتان بهما باشبيلية ، ودار بني حراز بـ لبله .(الجمهرة٤٣٤).

وقال ابن غالب : ودار بني هوزن : بشرق اشبيلية ، والهوزنيون اعيان اشبيلية .

وجرَشْ من ولد اسلم بن زيد بن اخي ذي رُعين . قال ابو محمد بن حزم : ولجرش بقية في وادي بنّجانه .

... ...

قضاعة بن مالك بن حمير .

منهم بنو مهره بن حميدان . واليهم ينتسب

الوزير الشاعر ابو بكر بن عمار المهري الذي وثب على ملك مرسيه(٧٦) ، ايام دول الطوائف ، وقتل فيما بعد على يد المعتمد بن عباد .

ومن قضاعة : بنو بليّ بن عمرو بن الحافي بن قضاعة . ومنهم البلويون باشبيلية(٧٦) . قال ابو محمد بن حزم : ودار بلي بالاندلس : الموضع المعروف باسمهم بشمالي قرطبة . وهم هنالك الى اليوم على انسابهم ، لا يحسنون الكلام باللطينية (اللاتينية : القشتالية القديمة) لكن بالعربية فقط نساؤهم ورجالهم يقرون الضيف ، ولاياكلون الية الشاة الى اليوم. وكانت لهم دار اخرى بكورة مورور ايضا.

وقال ابن الفرضي(٧٧) : اقليم بلي من كورة فحص البلوط من عمل قرطبة.

ومنهم من ينتسب الى جهينة بن سود .. بن قضاعة . قال ابن غالب : وبقرطبة منهم جماعة(٧٨) .

وذكر ابو محمد عقبة بن عامر .. بن جهينة، قال : كان له بالاندلس عقب ، لم يبق منهم احد نعلمه الا هبة الله بن عبد الله بن محمد .. بن عقبة ، واخ له ، مات اخوه ولم يعقب . ولا لهبة الله ولد ايضا.

ومنهم بنو عذرة بن سعد بن هذيم .

قال ابو محمد : ودار بني عذرة بالاندلس دلايه، وبجيَّان منهم ، وبالثغر منهم بنو فوارتش . ولهم عدد بسرقسطة.

والى عذرة ينتسب احمد بن عمر بن انس العذري صاحب : ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ... وكان بعض اجداده قد نزل دلاية ايام عبد الرحمن الداخل(٧٩).

وقال ابن غالب : ومنهم اعيان الجزيرة الخضراء بنو عذرة .

ومنهم بنو القَين وهو النعمان بن جسر بن قضاعة .

قال ابو محمد : ودار بني قين بالاندلس : ريُّه، فمنهم بها عدد عظيم .

ومنهم بنو خُشين بن النمر بن وبره .

قال ابو محمد : ودار خُشَين بالاندلس ، جَيان ، واعمال البيره ، ومنهم بلبلة عدد.

ومنهم بنو كلب بن وبره .. بن قضاعة:

من ولدي عدي بن جناب من بني كلب ..بن قضاعة :

ابو الخطار الحسام بن ضرار : امير الاندلس كان بنوه باشبيلية ، منهم كان العريف سعيد بن وارث بن ابي الخطار .(الجمهرة ٤٥٦).

و عنبسة بن سُحيم بن منجاس .. بن عدي بن جناب ، ولي الاندلس من الشام .

ومنهم بنو ابي عبده الذين منهم بنو جهور ملوك قرطبة ووزراؤها (٨٠).

وقال ابن الابار نقلا عن الرازي في كتاب الاستيعاب الذي الفه في الانساب : في ترجمة الوزير جهور ، انه أبو الحزم جهور بن عبيد الله ابن ابي عبدة ... بن عبد الله بن جابر.

قال والداخل من اجداد هذا الوزير حسان ابن مالك ، وهو ابو عبدة ، وكان دخوله سنة ثلاث عشرة ومئة قبل دخول عبد الرحمن بن معاوية بخمس وعشرين سنة(٨١).

ومن الاندلسيين من ينتسب الى حضرموت.

فمنهم بنو خلدون الاشبيليون ، فيقال انهم من ولد عبد الجبار بن علقمة بن وائل . وكان من اكابرهم ابو هانىء كريب ، وابو عثمان خالد القائمان باشبيلية (قتلهما ابراهيم بن حجاج غيلة) وهما ابنا عثمان بن بكر ... بن خالد المعروف بخلدون الداخل من المشرق . وذكر

ابن حزم جماعة من فضلائهم ومشهوريهم. (الجمرة ٤٦٠) . قال : ومنهم بقية من اشبيلية: بنو عصفور ، وهو لقب لهم.

والى هؤلاء الحضرميين ينتمي العلامة ابن خلدون صاحب التاريخ المشهور .

قال في النفح : ومن اهل الاندلس من ينتسب الى حضرموت ، منهم الحضرميون بمرسية وغرناطة واشبيلية وبطليوس وقرطبة.

قال ابن غالب : وهم كثير بالاندلس(٨٢).

ومن اهل الاندلس من ينتسب الى سلامان، ومنهم الوزير لسان الدين بن الخطيب.

. . . .

فهذه جملة من اسماء القبائل العربية من الجذم القحطاني ، ومن اتصل بهم من خلفهم من سكان اهل الاندلس ، وذكر منازلهم وبيئاتهم . ذكرتهم على وسع الامكان . ولاشك في ان ظهور نصوص جديدة ، واستقصاء كتب اخرى ذات صلة بالتاريخ والتراجم والجغرافية ستزيد الموضوع غنى ، وتضيف جديدا.

٦

●● ان دراسة توضع القبائل العربية (قيسها ويمنها) وتوضع بقية الفاتحين ، والداخلين الى الاندلس جميعا (الموالي والبربر وسواهم) يساعد بلاشك في تبين اثر التوزع الديمغرافي في عدد كبير من الشؤون الاجتماعية ، والثقافية . والسياسية . فان نشوب الفتنة بين جذمي العرب في مدة غير قليلة من اول ثلث القرن الهجري الثاني هو في اصله مشكلة سياسية ــ اقتصادية ، لعبت العصبية القبلية فيها دورا، واثرت تاثيرا واضحا.

كما ان دخول عبد الرحمن بن معاوية الاندلس كان بتاييد أطراف من العرب الذين وجدوا فيه مخلصا من الفتنة التي استشرت ، وكان لليمنية الاثر القوي في دخوله وقبوله ، واحلاله محل المتولين على السلطة في الاندلس.

ولما قامت دول الطوائف (الفرق) على اشلاء الدولة المروانية ، كان لبعض اليمنية دول مستقلة كدولة بني هود في سرقسطة ودولة بني عباد في اشبيلية وسواهم . ولاشك في ان قيام هذه الدويلات لايتصل بالعصبية القبلية على التحديد، ولكنه ظاهرة لابد من اعتبارها في دراسة تاريخ الفترة .

ودراسة هذه القبائل في منازلها وبيئاتها يفيد ايضا في دراسة قضايا اجتماعية ، وثقافية ، كالذي نجده من دراسة اللغة العربية ، واللغة اللطينية المحلية . وعلاقة ذلك بالادب العربي، وبنشاة الموشحات الاندلسية والازجال ، وغير ذلك مما يعزى ولو جزئيا الى الاختلاط بين الاجناس، وتداخل اللغات . ونقرا نصاً في جمهرة ابن حزم فيه : « **ودار بليّ ، بالاندلس الموضع المعروف باسمهم بشمالي قرطبة ، وهم هنالك الى اليوم على أنسابهم لايحسنون الكلام باللطينية ، لكن بالعربية فقط ، نساؤهم ورجالهم . ولا يأكلون ألية الشاة الى اليوم » . فهذا نص واضح على استمرار هذا الفرع اليمني من البلويين على عادات قديمة ، وحفاظهم على الفصحى ، وعدم اختلاط لغتهم الفصيحة بلغة أهل البلاد القدامى..**

ويحس دارس التاريخ الاندلسي رغبة الاندلسيين في الاحتفاظ بالانتماء العربي، كما يلاحظ استمرارهم على نمط من العروبية الى آخر وجود العرب في الاندلس . ولاننسى ان امراء آخر دولة بقيت للاسلام في الاندلس كانت دولة بني الاحمر المعروفين ببني نصر وهم اسرة تتصل نسبتها بسعد بن عبادة الصحابي ، الانصاري ، الخزرجي.

وقد جمع ابن الخطيب في الاحاطة قدرا كبيرا

من الانساب التي ينمي اليها اهل غرناطةفيزمانه. وهنا موضع آخر يصلح البحث فيه : فانه بعد التدهور الكبير في اواخر ايام الموحدين (اوائل القرن السابع) وسقوط قسم كبير من الاندلس ، انضم قسم كبير من الاندلسيين الى المناطق الباقية من الاندلس في ايدي بني الاحمر (دولة غرناطة) ومن ههنا ازدحمت غرناطة ومملكتها ... وازدحمت بالانساب العربية التي هبطت اليها من بلادها الضائعة .. وعلق لسان الدين بن الخطيب ، بعد ذكره الانساب العربية في غرناطة فقال : « وكفى بهذا شاهدا على الاصالة ودليلا على العروبية ».

....

وبعد : اذا كانت اعادة النظر في التاريخ الاندلسي — بعامة ، او في مواطن منه — مفيدة في تحقيق ذلك التاريخ ، واغنائه ، وتدقيق بعض قضاياه ، فانها مفيدة ايضا في استلهام دروسه ، والنظر في عبره ، وما اكثر عبر التاريخ!

حواش واحالات :

(١) اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم . لمؤلف مجهول . انظر صفحة ٥—٦ . والبيان المغرب لابن عذاري ج٢ص٦ .

(٢) فجر الاندلس : ٤٥

(٣) يذهب بعض المؤرخين الى ان السرايا التي بعثها موسى بن نصير الى قبائل البربر لتثبيت الفتوح كانت مسرفة ومبالغا في مخاوفها ، لان حسان بن النعمان كان قد أنهى الاسلام الى افئدتهم .(راجع في الاندلس د. مؤنس : ٤٦).

(٤) الرسالة الشريفية : ٢٠٤—٢٠٥ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) يظهر انه معافري يمني ، وان ذكر بعض المؤرخين انه بربري (النفح ١:٢٢٩ ، والبيان المغرب ٢ : ٥). وقال ابن الكردبوس انه : ابو زرعة طريف بن مالك المعافري. (صحيفة معهد الدراسات الاسلامية في مدريد — المجلد الثالث عشر : ٤٥) . وانظر تاريخ ابن خلدون ٤:١١٧ .

(٧) الروض المعطار للحميري : ٣٩٢ .

(٨) اخبار مجموعة : ٦ .

(٩) نفح الطيب ١ : ٢٢١ .

(١٠) تاريخ ابن خلدون ٤ : ١١٧ .

(١١) العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الابيض المتوسط (بيروت ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م) صفحة ٨٣ .

(١٢) فجر الاندلس : ٦٨ .

(١٣) صفحة ٦—٧ .

(١٤) نفح الطيب ١ : ٤٥٩ .

(١٥) رواه ابن حيان ونقله في النفح ١ : ٢٦٥ . وانظر: العرب والاسلام د. فروخ : ٩٦ ، وفجر الاندلس د. مؤنس: ٧٩ وتاريخ المسلمين د. سالم : ٨٤ .

(١٦) اخبار مجموعة : ١٢ ، والبيان المغرب ٢ : ١١ . والعرب والاسلام : ٨٩ .

(١٧)
Histoire de L'espagne Mus lumane Tome Premiere, 1 : P 23.

وفجر الاندلس : ٧٩ .

(١٨) العبارة في فجر الاندلس ٩١ . وترجمة محمد بن اوس في بغية الملتمس للضبي : ٥١ وفيه انه غزا المغرب والاندلس مع موسى بن نصير .

(١٩) الرسالة الشريفية : ١٩٨ .

(٢٠) نفح الطيب ١ : ٦٢٩ .

(٢١) نفح الطيب ١ : ٢٧٧ .

(٢٢) فجر الاندلس : ٨٩ .

(٢٣) المرجع نفسه : ٩٠ .

(٢٤) في نفح الطيب ١ : ٢٧٠ لفنت (بفاء موحدة) مصححة على دوزي . وتتفق الاراء على انها :
Fuente de Cantos
وتقابل : عين كانتوس كما قراها سافدرا . (انظر فجر الاندلس : ٩٢) .

(٢٥) فجر الاندلس ٩٨—٩٩ . وتاريخ المسلمين ٩٨—٩٩ ايضا .

(٢٦) فجر الاندلس : ١١١ .

(٢٧) تاريخ المسلمين وآثارهم : ١١٠ والحواشي فيها . و : العرب والاسلام : ١٠٣ وفجر الاندلس : ١١٠—١١١ .

(٢٨) العرب والاسلام : ١٠٣ وراجع ايضا تاريخ المسلمين ١١١ .

(٢٩) نفح الطيب ٤ : ١٣ .

(٣٠) فجر الاندلس : ٣٥٦ ، وانظر مثل هذا الراي في : تاريخ المسلمين : ١٢٠ .

(٣١) نفح الطيب ٣ : ١٥ .

(٣٢) تاريخ ابن القوطية : ٣٩ .

(٣٣) العرب والاسلام : ١٢٠ .

(٣٤) المرجع السابق : ١٢٣ .

(٣٥) : ١٣٧ .

(٣٦) اخبار مجموعة : ٣٠ .
(٣٧) المصدر نفسه : ٣١ .
(٣٨) اخبار مجموعة : ٣٨ .
(٣٩) العرب والاسلام : ١٥٢ .
(٤٠) تاريخ افتتاح الاندلس : ٤٠ .
(٤١) فجر الاندلس : ٣٦٨ .
(٤٢) اخبار مجموعة : ٣٨ .
(٤٣) فجر الاندلس : ٣٤٩ــ٣٥٠ .
(٤٤) نفح الطيب : ٢٧٦ .
(٤٥) اخبار مجموعة : ٦٢ .
(٤٦) نفح الطيب ٣ : ١٤ .
(٤٧) فجر الاندلس : ٣٥٧ .
(٤٨) انظر مثلا : تاريخ ابن خلدون ٤ : ١١٩ــ١٢٠ ، والبيان المغرب ٢ : ٣٣ ، والعرب والاسلام : ١٥٣ .
(٤٩) انظر : اخبار مجموعة : ٢٢ ، الرسالة الشريفية ٢٠٤ــ٢٠٦ ، البيان المغرب ٢ : ٢٦ و : فجر الاندلس ١٣٨، والعرب والاسلام : ١١٤ وتاريخ الاندلس د. احمد بدر:٣٤ .
(٥٠) فجر الاندلس ٢٨٤ ، وتاريخ المسلمين : ١٢٠ .
(٥١) الروض المعطار : ٧٩ .
(٥٢) نفح الطيب ١ : ٢٩٣ .
(٥٣) جمهرة انساب العرب : ٣٢٩
(٥٣ مكرر) وراجع مجلة الاندلس ودراسة توزع العدنانيين بحسب الجمهرة العدد ٢٢ الجزء ١+٢ .
(٥٣ مكررتان) الاهراء جمع هرى وهو بيت ضخم يجمع فيه طعام السلطان . (القاموس) .
(٥٤) نفح الطيب ١ : ٢٩٤ .
(٥٥) عجالة المبتدي : ٩٣ .
(٥٦) المصدر نفسه : ٩٧ .
(٥٧) وانظر ايضا تاريخ ابن القوطية : ٤٠ .
(٥٨) نفح الطيب ١ : ٢٩٥ .
(٥٩) الاحاطة : ١ : ١١٨ .
(٦٠) ابن القوطية : ٦٠ .
(٦١) نفح الطيب ١ : ٢٩٤ .
(٦٢) المغرب في حلى المغرب ٢ : ١٦١ .
(٦٣) نفح الطيب ١ : ٢٩٥ .
(٦٤) المصدر نفسه .
(٦٥) نفح الطيب ١ : ٢٩٥ .
(٦٦) المصدر نفسه .
(٦٧) المغرب ٢ : ٢٩٣ .
(٦٨) نفح الطيب ١ : ٢٩٥ .
(٦٨ مكررة) وهم الذين مدحهم ابن عبد ربه بعد اعتمادهم ولاة من قبل الناصر لدين الله عبد الرحمن(الثالث).
(٦٩) تاريخ ابن القوطية : ٣٨ .
(٧٠) المغرب ٢ : ١٩٥ .
(٧١) ترصيع الاخبار ... (نصوص عن الاندلس): ٤١ .
(٧٢) المصدر نفسه : ٥٦ .
(٧٣) مدونة من عهد عبد الرحمن الناصر : ١٢٨ .
(٧٤) نفح الطيب ١ : ٢٩٦ .
(٧٥) نفح الطيب : ١ : ٢٩٧ .
(٧٦) نفح الطيب ١ : ٢٩٧ .
(٧٧) ابن الفرضي : ٤٥٤ .
(٧٨) نفح الطيب ١ : ٢٩٨ .
(٧٩) البيان المغرب ٢ : ٦١ .
(٨٠) نفح الطيب ١ : ٢٩٨ .
(٨١) الحلة السيراء ١ : ٢٤٦ .
(٨٢) نفح الطيب ١ : ٢٩٨ .



عمرو بن معدي كرب الزبيدي

** بين الحقيقة والأسطورة

مطاع الطرابيشي

لاريب في أن عمراً كان رجلاً جسيماً ، اتصف بمواهب جسدية خارقة • كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا نظر اليه قال : « الحمد لله الذي خلقنا وخاق عمراً تعجّباً » من عظم خلقه •

رُوي عنه يوم القادسية أن فرسه كانت ضعيفةً فطلب غيرها فأتي بفرسٍ ، فأخذ بعكوة ذنبه وأخلد به الى الارض فأقعى الفرسُ فردّه ، ثم انغمس في الأعاجم فلحق به أبناء عشيرته من زُبَيد ، فانتهوا اليه وقد أخذ برجلِ فرسِ رجلٍ من العجم فأمسكها ، وان الفارس ليضرب الفرس فما تقدر أن تتحرك من يده •

هذا بعض ما كان من أمر خَلقه وبسطة جسمه ، أما فروسيته فكانت مضرب الامثال فقالوا : « فارس" ولا كعمرو » وقد تمثّل باقدامه أبو تمام فقال يمدح المعتصم :

إقدام عمروٍ في سماحة حاتمٍ في حِلم أحنفَ في ذكاء إياسٍ

ويكاد يكون من المسلّم به أن عمراً فارس اليمن ، لكنَّ بعضهم عدّه في جملة فرسان العرب التسعة أو الأربعة ، وارتفع به آخرون فجعلوه فارس العرب الأوحد • وفي كتاب الخليفة عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص شهادة تُعلن أن عمراً كان يعدُّ بألف فارس •

تلك كانت أقوال الآخرين فيه ، ولو نظرنا الى الأمر من الزاوية المقابلة ، أي من وجهة نظر عمروٍ الى أقرانه الفرسان الأعلام لوجدناه يقول : « لو سرتُ بظعينةٍ وحدي على مياه معدٍّ كلها ما خفت أن أغلبَ عليها ، مالم يلقني حُرّاها أو عبداها » أراد بالحُرّين عامر ابن الطفيل وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وأراد بالعبدَين أسود بني عبس ، يعني عنترة ، والسُّليك بن السُّلكة •

أما وقائعه فمشهورة في الجاهلية ، متألقة في الإسلام ، ومن خلال اخباره نقرأ قصصاً طريفة عن حملته العجيبة على خثعم ، فقد رماهم بنفسه حتى خرج من بين أظهرهم ، ثم كرّ عليهم وفعل ذلك مراراً ، فانقلبت هزيمة زُبيد بفضله الى نصر وقُهرت خثعم ، فقيل له يومئذٍ : « فارسُ زُبَيـد » .

وفي شعر عمرٍو صور كثيرة مشرقة ، تكشف لنا عن قوة نفس هذا الفارس ومبلغ جرأته ، منها مثلاً ما رواه القاضي التنوخي في كتاب « الفرَج بعد الشدّة » قال : خرج عمرو في خيلٍ من زُبيد ، فبينا هويسير إذ سمع رجلاً ينشد مستغيثاً به ، فعلم أنه أسير في بني مازن ابن صعصعة ، فاقتحم على القوم وحده ولم يزل يُقاتلهم حتى افتكّ الأسرى ، وقال في ذلك :

الم ترني إذ ضمّني البلد القفرُ
سمعتُ نداءً يصدح القلبَ ياعمرو

اغثنا فإنا عصبةٌ مذحجيةٌ
تُناطُ على وَفْرٍ وليس لنا وفر

تكلفنا يا عمرو ما ليس عندنا
هوازنُ فانظر ما الذي فعل الدهرُ

فقلتُ لخيلي انظروني فإنني
سريعٌ إليكم حين ينصدع الفجر

واقحمتُ مُهري حين صادفت غرةً
على الطف حتى قيل قد عُقر المهرُ

فانجيتُ اسرى مذحجٍ من هوزانٍ
ولم يُنجهم إلاّ السكينة والصبرُ

هذا بعض ما كان من أمره في الجاهلية ، أما في الإسلام فقد كان حظّ هذا الفارس أعلى وأكبر إذ أتاحت وقائع الفتوح في اليرموك والقادسية ونهاوند المجال واسعاً لفروسية عمرو أن تظهر وتظفر ، ففي معركة اليرموك أبلى عمرو بلاءً حسناً وذهبت عينه يومئذٍ . ثم إن عمر بن الخطاب كتب الى أبي عُبيدة بن الجراح وهو بالشام يحارب الروم أن يُمدّ سعداً في العراق بخيلٍ ، فأمده بألف فارسٍ من زُبيد ومراد وغيرهما ، وكان فيهم تسعة عشر رجلاً من أبطال اليرموك منهم عمرو ، فساروا حتى قدموا على سعدٍ بالقادسية . وهنالك كان كتابٌ من الخليفة الى سعد بن أبي وقاص يأمره فيه أن يصدر في الحرب عن مشورة عمروٍ «فإن كل صانعٍ هو أعلم بصناعته » ، وإنها لشهادة حقٍ بشأن هذا الفارس البطل ، بل هي وسام تزهو به فروسيته وتختال .

وفي القادسية تألقت بطولة عمرو فأصبحت مادة قصصٍ ملحميّ : روي أنه حمل يومذاك على مرزبانٍ ، وهو يرى أنه رستم فقتله فقال في ذلك :

ألمْ بسلمى قبل ان تظعنا
إن بنا من حبها ديدنا

قد علمتْ سلمى وجاراتها
ما قطّر الفارسَ إلا أنا

شككتُ بالرمحِ حيازيمه
والخيلُ تعدو زيماً بيننا

وروي أنه حضر الناس وهم يقاتلون في القادسية ، فرماه رجل « من العجم بنُشابةٍ فوقعت في كتفه ، وكانت عليه درع حصينة فلم تنفذ ، وحمل على العلج فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرو وسلبهُ ، ورجع بسَلَبه وهو يقول :

انا ابو ثورٍ وسيفي ذو النونْ

اضربهم ضربَ غـلامٍ مجنون
يال زُبَيدٍ ، إنهـم يموتـون

وقد شهد عمروٌ فتح نهاوند مع النعمان بن مقرن المزني ، وأبلى في ذلك اليوم بلاءً محموداً حتى فتح الله على المسلمين ، واجتمعت العـرب فتفاخروا ، فأنشد عمرو قصيدةً طويلة في ثلاثين بيتا ، مطلعها :

لمنِ الديـارُ بروضـة السلاّنِ
فالرَّقمتَينِ فجانبِ الصَمّـانِ

وفيها يقول مفتخراً ببني زُبيد :

والقادسيةُ حيثُ زاحم رُستَمٌ
كنا الحُماةَ نهزُّ كالأشطـانِ

الضـاربين بكل أبيضَ مِخْـذَمٍ
والطاعنـين مجامـع الأضغـانِ

وكذلك كان عمرو فارساً عظيماً ، مذكوراً في أيام العرب في الجاهلية ، مشهورا في أيامهم في الإسلام ، بل لقد أكسبته الفتوحات الاسلامية ما لـم يكسبه أقرانـه من فرسان الجاهليـة وصناديدهم .

وفوق ذلك كلّه ، فـإن عمراً لم يكن فارسـاً فحسب ، كان له من ظروف حياته ما يرفع مـن شأن فروسيته ، كان سيدا من سادات قومـه بني زُبيد ، رأسَ فيهم بعد مقتل أخيه عبد الله، وكان سيدا من سادات اليمن تعتز به اليمانيـة وتفاخـر .

وهكذا نرى أن سيرة هذا الفارس الكبير كانت مؤهلة ــ بحـكم أحوال بيئته وشمائلـه ووقائعه التي أسلفنا الحديث عنها ــ لتصبـح حديثاً في أفواه الناس ، بل لتستحيل الى ما يشبه الأسطورة على مرّ الزمان .

من ذلك مثلاً قصة الصمصامة سيف عمرو، ونكاد لا نعرف سيفاً حظي بما نال هذا السيف من شهرةٍ في كتب الأدب والتاريخ ، ويأبـى القُصّاص إلاّ أن يُصوروا مَضاء هذا السيف العجيب ، خلال مشهد مهيب في مجلس الخليفة هارون الرشيد ، وقد حضر سفراء ملك الهنـد ومعهم الهدايا والتحف ومن جملتها سيوف هندية لا نظير لها ، فدعا الخليفة بالصمصامة فقطعت به السيوف بين يديه سيفاً سيفاً ، كما يُقطّ الفجل من غير أن تنثني له شفرة ثم عرض عليهم حـد السيف فاذا لا فلّ فيه . أما معدنه فقيل : إنه كان من حديدةٍ وجدت مدفونة عند الكعبة . وزعم بعض الرواة أن بلقيس أهدت الى سليمان عليه السلام خمسة أسيافٍ ، منها ذو النـون والصمصامة .

ومن هذا الباب أيضاً ما رواه ابن الكلبي ــ وتابعه فيه الأصمعي ــ من خبر عمرو مع ابنه المزعوم الخُزز ، وسنورد ملخصاً من تاريخ ابن عساكر : « قال ابن الكلبي : تزوج عمرو بـن معد يكرب امرأة من كنده ، فلما دخل بهـا أقام عندها ثلاثاً ، وخاف أن يغتال فخرج من عندها فقال : إن ولدت غلاما فسميه خززاً ، وإن ولدت جارية فسمها عكرشة ، ثم رحل عنها .

فولدت غلاما فسمته خززاً ، فنشأ الغلام في كندة حتى أدرك ، فنادى فيهم بالغزو فخرج حتى أغار على بني زبيد ، فإذا هو بعمروٍ في خيل عظيمـة وهو لا يعرفه ، فالتفت الخيلان فشدّ خزز على أبيه فأخذه ، فسأله أن يعتقه فقال : لوكنت عمرو بن معدي كرب ما فعلت ، فقال أنا عمرو ، قال :

وإنك لعمرو ؟ قال نعم . فخلى سبيله ، فقال عمرو : ياخزز ما تسعني وإياك أرض ، فإن شئت فارتحل وأقيم أنا في هذه البلاد ، وان شئت ارتحلت أنا وأقمت أنت ، فقال أنا أحق بالرحلة منك ، فرحل خُزز حتى لحق بصنعاء فمكث فيها دهراً من دهره ، ثم خرج في بعض غاراته فلقي أباه في خيلٍ عظيمة وهو رئيسها ، فشد عمرو على رئيس القوم فقتله ، فلما انكشفوا عرفه ، فأهوى بسيفه ليقطع يده ، فأمسك عن ذلك فقال :

امرتك يوم ذي صنعا
ء امراً باديا رَشَدَهْ

بامر الحزم تعمله
وتاتيه وتعتمدهْ

فلما ان ملكت الملـ
ك جئت اباك تقتصدهْ

كمن زلت به النعلا
نِ فاندقت به عضدهْ

وقال أيضا :

يا اسفا على خُزز بن عمرو
ويا ندما عليه ولهفَ نفسي

بُنيّ كان لي عضداً وذكراً
إذا غيّبتَ في كفني ورمسي

به فخر الفوارس من زُبيدٍ
كان جبينه لألاء شمسِ

وما تغني الندامة والمراثي
وقدأصبحت مثل حديث امسِ

. . . .

وزعم نشوان الحميري أن عمراً أسر عنترة العبسي ودريد بن الصمة الجشمي والحارث ابن ظالم المرّي وعامر بن طفيل والعباس بن مرداس ، وقد منّ عليهم جميعاً فأطلقهم ، فقال كلٌ منهم شعراً في مدحه وتمجيده ، بينما جزم ابن الجراح بأنه « لا يعلم له في الجاهلية أسير » .

هذا الزعم الذي قال به نشوان نجد صداه يتردّد في كتاب « الفاصل بين الحقّ والباطل في مفاخر قحطان واليمن » ولهذا الكتاب قصةٌ يحسن الوقوف عندها قليلاً : انه مخطوط في مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت تحت عنوان : (الجزء الثالث من الإكليل للهمداني) يقع في نحوٍ من مائة ورقة،في نسخة أمشاجٍ حديثة العهد، لا مقدمة لها ولا خاتمة ، وقد قسمت الى أقسام بدأ بعضها بأرقام جديدة . هذه النسخة مكتوبة في ٧ جمادى الآخرة من عام (١٣٦٦ هـ) بقلم علي بن علي الأنسي بصنعاء . ومع أنّا لا نثق بهذه المخطوطة ، ولا بالأخبار والأشعار الواردة فيها فإنا لا نستطيع في الوقت نفسه أن نقطع صلة ما بينها وبين الهمداني تماماً ، فقد ثبت في الورقة ١٤ من هذه المخطوطة العبارة التالية : « أخبرني بعض أصحابنا عن محمد بن الحسن الكلاعي قال: قرأت في الجزء الخامس من الإكليل ، مما رواه أبو محمد الحسن بن يعقوب بن محمد الهمداني » .

ونرجع فنقول : إن قصة أسر عمرو بن معدي كرب لهؤلاء الفرسان مبسوطة بإطنابٍ في هذا الكتاب ، وقد زيد فيها من الأخبار والأشعار ما خرج بها من ميدان الحقائق الى عالم الخيال، وسنكتفي بإيراد مثلين مما اشتمل عليه هذا الكتاب ، مع بعض الاختصار :

قال : وأسرَ عمرو عامر بن الطفيل ومعه

أخته ، حتى أتى بهما منازل زُبيد ، وقال في ذلك :

قل للعدوّ الذي يغتابني سَفهاً
إنّي على أنفه إنْ طار أو وَقَعا

لقد تناولتَ ليثاً ضيغماً هَصِراً
لم يلْفَ ذا نَبوةٍ يوماً ولا وَرَعا

الى آخر الأبيات .. وهي خمسة . فأجابه عامر ابن طفيل مستعطفا فقال :

أبا ثور إنْ تمنن عليَّ فعادةٌ
وإنْ تبغِ من نفسٍ فناها فقادرْ

فلمّا سمعه عمرو جزَّ ناصيته وأطلقه وأخته ، فقالت في ذلك :

لقد قلّدتنا منك عامرُ خزيةٌ
مُجلِّلةٌ يبقى على الدهر عارُها

فأجابها عامر بقوله :

تعيّرني إذ ضمَّ بالأمس ساعدي
بنجرانَ من حَلْيِ الأسارى سِوارُها

في خمسة أبياتٍ من الإقرار الذليل بقوة عمروٍ وبأسه .

والقصة الطريفة الثانية هي التي سمّاها صاحب الكتاب « غزوة تثليث » وكان سببها — في زعمه — أبياتا بعث بها عمرو الى عنترة ، ومطلعها :

لمن طللٌ بتيماءٍ فجندِ
يلوح كأنه بحناء وردِ

قال : فلما سمعها عنترة احتمى فقام لنزال عمروٍ ، فأخذه عمرو أسيراً ذليلاً ، فقال عنترة :

فما أبكي لما امسيت فيه
من الغلّ الثقيل وطولِ حبسِ

مقطوعة في ستة أبيات من الاستعطاف الباكي ، أطلقه عمرو على أثرها بعدما جزَّ ناصيته ، وقال:

لقد ايقنتَ عنترَ أنّ حربي
على الأعداء ملحاحٌ ثقيلهْ

غداة تركتَ في قيدٍ أسيراً
لدى عمروٍ ولم تنفعكَ حيلهْ

تنادي يا لعبس فما اجابوا
ولم تثني صدورهمُ الوسيلهْ

وعبسٌ فوقها طير المنايا
ومعضلةٌ تحفّ بها جليلهْ

هذا بعض ما أضيف الى فارس زُبيد بل الى فارس اليمن وشاعرها مما يدخل في باب علاقاته بأقرانه من فرسان معدٍّ في الجاهلية ، على أن الأمر لم يقف عند هذا الحدّ من التزيد والمبالغة ، فقد كان جهاد عمرو في اليرموك والقادسية ونهاوند، وبطولاته التي ذاعت أخبارها في كتب الفتوح مرتعا خصباً لقصص الملاحم وأشعارها ، وقد ضمَّ ديوان الشاعر شعراً مما قاله في تلك المناسبات ، أشرنا اليه آنفاً .

على أن شعراً آخر خرج عن نطاق الديوان، كان يزيد — فيما يظهر — على ألسنة القصاص على العصور ليشكل ظاهرة في شعر عمرو ، وقد بدت واضحة في كتاب « فتوح الاسلام في بلاد العجم وخراسان » المنسوب الى الواقدي ، اذ ضمَّ سبع قطع من الشعر حَوَت (٣٥) بيتا زُعم أن عمراً قالها في تلك الأيام .

وقد أشار بروكلمان الى أن « كتباً كثيرة في الفتوح نسبت الى الواقدي ، وكثر انتشارها خصوصا في أيام الحروب الصليبية لبثّ الشجاعة والحمية في نفوس المجاهدين » ، وسواء صحت نسبة الكتاب الى الواقدي أم لم تصح فإن نسبة

الشعر الى عمرو تبقى ضعيفة منقطعة ، إذ ان المؤرخين ، ومن بعدهم القصاص لا يبغون من رواية الشعر الا تزيين أخبارهم ، أو بث الحمية في نفوس السامعين ، لكن هذه الظاهرة أفادت ديوان الشاعر الموسع ـ ان صح التعبير ـ حياة أنشط على ألسنة الناس ، وخلدت ذكر عمرو فارس الملحمة . ونحب ـ بهذه المناسبة ـ أن نجتزىء بنص من الشعر المنسوب الى عمرو في كتاب (فتوح الإسلام) تتعرف به الى شكل هذا الشعر ومضمونه ، قال :

رأيتُ رجالاً ناكسين رؤوسهم ... ولم يكُ راسي للرجال بناكسِ

راوا فارساً كالصقر يخطفُ عندما ... أمرَّ عليهم كلَّ رطبٍ ويابسِ

ينادي باعلى الصوت من دعوةٍ له ... فقلتُ : ومَن ذا ؟ قيل : جمرةُ فارس

وانتَ ابو ثورٍ ؟ فقلتُ : أجل أنا ... همامٌ وإني قاتلٌ للفوارسِ

ولكنني شيخٌ وفيَّ بقيةٌ ... هي اليوم خيرٌ من شبابِ ابن حابسِ

ذروني وذاك الفارسيَّ فإنني ... ساخطفه خطفَ العقاب المخالسِ

فإنْ بدرتْ كفي إليه بضربةٍ ... فتلك وربِّ البيتِ إحدى الدهارسِ

وإنْ بَدَرَتْ كفاه كفيَّ شرعةً ... فخلوا عن الشيخ الكبير الممارسِ

والآن وقد استعرضنا بإيجاز ملامح من سيرة هذا الفارس اليمني الكبير بشقيها الواقعي والخيالي ، فماذا عسانا نجد في دراستها ؟

إنها أولاً مجموعة أخبار وليست قصة ، ولعل أول ما يسبق الى الذهن في هذا المجال هو المقارنة بين سيرة عمرو وسيرة عنترة .

إن سيرة عمرو تقدم نموذجاً للإنسان المارد ، الكبير في نفسه ، الكبير في قومه ، الإنسان الذي لم يمل به ضعف الهوى ولم تكبله أغلال المجتمع ، حتى الردة التي شارك فيها حينا من الدهر بدافع الحرص على الزعامة ، سرعان ماخلص منها ليعود الى الجماعة سائراً في نهجها مخلصا لأهدافها ، وبذلك أصبحت سيرته خالصة لتجسيد الفروسية . على حين كانت سيرة عنترة نموذجاً آخر ، لسنا الآن في مجال درسه وتحليله ، لكنه على كل حال يفترق عن النموذج الأول افتراقاً غير يسير ، وأول هذه الفروق فيما نرى هو أن سيرة عنترة تحمل في أثنائها بذور قصة فنية رائعة خلت منها سيرة عمرو ، وليس معنى هذا أن ترتفع شهرة عنترة على أجنحة قصته لتهبط شهرة عمرو تحت ركام أخباره ، فإن لكل من الفارسين حظاً من الذكر ، وهذا ما كان أشار اليه الجاحظ في حديثه عن أثر الحظ في نباهة الفرسان اذ قال : « وقد عرفت شهرة عنترة في العامة ونباهة عمرو بن معدي كرب » فهذا ما يبين عن تغلغل شهرة عمرو في وجدان العامة خلال عصر الجاحظ وبلوغها الرتبة التي بلغتها شهرة عنترة العبسي .

ثانيا : كان في سيرة عمرو وأخبار جهاده مادة صالحة للنمو والاتساع ومرتعا خصبا للخيال والقصص ، تغنت بها اليمانية حيناً من الدهر لتمجيد بطل من أبطالها ، ووجد فيها القصاص بغيتهم لتزيين أسمارهم ، فزاد هؤلاء وأولئك في أخبارها ومدوا من أطرافها حتى غدت خلقا آخر امتزج فيه الحقيقة بالخيال .

وحين نظر في المنبع الأول لهذا التزيد ، وهو العصبية اليمنية يظهر لنا – أول ما يظهر – ثلاثة أسماء : ابن الكلبي ، والهمداني ، ونشوان الحميري .

أما هشام بن محمد الكلبي (المتوفى سنة ٢٠٤ هـ) فقد صنع كتاباً في أخبار عمرو ، ويظهر أنه كان يشتمل على غير قليل من الشعر ، لذلك كانت لابن الكلبي مشاركة ملحوظة في رواية شعر عمرو ، لكنه حين ينفرد برواية نص من النصوص نلمح أثر الوضع والنحل ظاهراً لا ريب فيه .

وأما الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (المتوفى سنة ٣٣٤ هـ) فقد كان أجل خطراً من سابقه وأبعد أثراً ، كان أديبا شاعراً ونسابة مؤرخا وفيلسوفا عالماً ، وكان فيما يظهر – حسن التحري في بحوثه العلمية ، لكنه في أخبار اليمن وتمجيد اليمانية يتساهل فلا يحقق ، وقد لاحظت من خلال النصوص التي شارك في روايتها أنه يقع في السهو والتلفيق ، وقد يتزيّد في الرواية .

وأما نشوان الحميري (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ) فقد كان صنيعه متمثلاً في تثبيت روايات سلفه الهمداني ، اذ ينقلها دون نقد أو تمحيص .

وحين ننظر في المنبع الثاني لهذا التزيد وهو قرائح القصاص نلحظ ظاهرة لطيفة حقاً ، وهي تسخير هذه الاساطير في خدمة الأغراض الاسلامية : فقد اضحى الصمصامة في مجلس هارون الرشيد – كما مر آنفاً – مثلا للتفوق الحربي في ميدان التسلح للدولة الاسلامية ، وصار عمرو – على منبر القاص في (فتوح الإسلام) – شاعراً شعبياً ، يحمس الناس بهذا النشيد العاتي الطريف :

فاتنا بدر واحد	**وشهدنا القادسيه**
فاثبتوا للقوم ضربا	**بسيوف حارثيه**
وارشقوا للقوم رشقا	**بسهام فارسيه**
إنما الفضل وربي	**في نقيص الناشبيه**
إذ يرون الطعن منا	**برماح داعصيه**
فاحملوا حملا وشيكا	**ثم شيلوا المرهفيه**
واخطبوا الحور الى الله	**بقتال القادسيه**
كي تنالوا الفوز قدما	**في غدو وعشيه**

وفي هذا الباب – باب القصص الهادف – نستطيع أن ندخل أيضا هذا الخبر في (فضل بسم الله الرحمن الرحيم) وقد أخرجه ابن عساكر في التاريخ عن الخرائطي في « مكارم الأخلاق » وخلاصته :

كنت في مجلس عمر بن الخطاب وعنده جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذكرون فضائل القرآن ، فقال بعضهم : خواتيم سورة النحل ، وقال بعضهم : سورة ياسين ، وقال علي بن أبي طالب : فأين أنتم عن فضيلة آية الكرسي ؟ وفي القوم عمرو بن معدي كرب فقال : فأين أنتم عن (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ فقال له عمر : حدثنا يا أبا ثور ، فقال :

بينا أنا في الجاهلية إذ جهر بي الجوع فأقحمت فرسي البرية فما أصبت إلا بيض النعام ، فبينا أنا أسير اذا أنا بشيخ في خيمة ، والى جانبه جارية كأنها شمس طالعة ، ومعه غنيمات له ، فقلت استأسر ثكلتك أمك ، فرفع رأسه اليّ وقال :

يا فتى ، إن اردت قرى فانزل ، وإن أردت معونة أعناك ، فقلت له استأسر ، فنهض نهوض شيخ لا يقدر على القيام فدنا مني وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم جذبني اليه ، فاذا أنا تحته وهو فوقي ، فقال لي : أقتلك أو أخلي عنك ؟ فقلت : بل خلّ عني ، فنهض وهو يقول :

عرضنا عليك النزْلَ منّا تفضلاً
فلم ترعوي جهلاً كفعل الاشائمِ
وجئتَ بعدوانٍ وظلمٍ ودون ما
تمنيته في البيض حَزُّ الغلاصمِ

فقلت في نفسي : ياعمرو ، أنت فارس العرب ؛ للموت أهون من الهرب من هذا الشيخ الضعيف ، فدعتني نفسي الى معاودته ، وأنشأت أقول :

رويدك لا تعجلْ بُليتَ بصارمٍ
سليل المعالي هِزَبْريٍ قُماقمِ
فما دون ما تهواه للنفس مطمعٌ
سوى أن احزّ الراسَ منك بصارمِ

ثم قلت : استأسر ثكلتك أمك . فدنا مني وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم جذبني جذبة فمثلت تحته ، فاستوى على صدري فقال : أقتلك أم أخلي عنك ؟ فقلت : بل خلّ عني فنهض وهو يقول :

ببسمِ الله والرحمنِ فزْنا
قديماً والرحيم به قَهرْنا
وهل تغني جَلادة ذي حفاظٍ
إذا يوماً بمعركةٍ نزلنا ؟

فانطلقت غير بعيدٍ ثم قلت في نفسي : يا عمرو ، أيقهرك مثل هذا الشيخ ؟ ! فرجعت فقلت : استأسر فوثب اليّ وهو يقول : بسم الله الرحمن الرحيم ، فملئت منه رعبا يا أمير المؤمنين ، فقلت: خلّ عني فقال هيهات ، ثم جزّ ناصيتي ، فكنت معه أخدمه مدة ، ثم إنه قال : يا عمرو أريد أن تركب معي الى البرية .. حتى اذا أمعنّا قال : التمس لي شيئا نأكله .. فأتيته وهو نائم قد توسد احدى يديه وتحته سيفه ، فاستخرجت سيفه فلم أزل أضربه حتى قطعته اربا اربا . ثم اني أتيت الخيمة ، فلما رأتني الجارية قالت : ما فعل الشيخ ؟ قلت : قتله الجني ، قالت : كذبت ، بل قتلته أنت بغدرك ، فدخلت الخيمة لاقتلها ، فلم أجد أحدا ، كأن الارض ابتلعتها ، فاستقت الماشية وجئت بها الى أهلي .

وبعد :

لئن كانت سيرة عمرو بن معدي كرب بشطريها الحقيقي والخيالي قد استوت حينا من الدهر مثلا للفارس العربي المسلم ، فأفادت منها جماهير الامة حماسة وقوة ، فما أحوج هذه الامة المجاهدة الصابرة ـ في هذه الايام العصيبة ـ أن تعود الى معين تراثها تستمد منه معاني العزة والغلبة والنصر ، وكم في سيرة عمرو وأصحاب عمرو من صور مشرقة تصلح لاحياء المثل الاعلى للفارس العربي المسلم .

تنبيه : مصادر هذا البحث مذكورة بالتفصيل في كتابنا : « شعر عمرو بن معد يكرب الزُبيدي » من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، عام ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م .

●✻●

حول:
الكلمات اليمنيّة الخاصّة

مطهر علي الارياني

قبل اعوام كثيرة قرأت في كتاب من كتب التاريخ ، خبر وفادة ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ولقد أورد مؤلف الكتاب الكلمة التي قالها الرسول مرحبا بأبي موسى ومن كان معه من قومه ، وكان منها قوله (ص) : « أتاكم أهل اليمن هم ألين قلوبا وأرق أفئدة الايمان يمان والحكمة يمانية » ٠

وزاد المؤلف فأضاف ، أن أبا موسى ، قد أجاب بكلمة جاء فيها قوله وهو يشير الى من جاء معه من قومه : « ٠٠ وهؤلاء قوم أفضى بهم اليك يارسول الله سيرَ ددّ وزمع ٠٠ » ٠

واهتم المؤلف ، بتفسير عبارة « سير دد وزمع » فقال : السير الدد هو : السير الحثيث ، وان الزمع هو : شدة الشوق ٠

وشعرت بأن التفسير ، معتسف متكلف ، فأعدت النظر في عبارة أبي موسى ، فاتضح لي أنه انما قال : « هؤلاء قوم أفضى بهم اليك يارسول الله (سردد) (ورمع)٠٠»

أي أنه ذكر الواديين : « وادي سردد) و (وادي رمع) وهما معروفان باسميهما اليوم ، وكلاهما يقطعان تهامة في أراضي قبيلة الاشاعر قوم أبي موسى ، والاول يصب شمال (الحديدة) بقليل ، والثاني يمر بمدينة (الحسينية) ويصب عند مكان يسمى (الجاح) ٠

فأبو موسى ، شبه نفسه وقومه ، بسيل دفع به الواديان (سردد) و (رمع) حتى أفضى الى الرسول الكريم ٠

ولكن الجهل بأسماء الاماكن اليمنية ، قد جر النساخ الى التصحيف ، فصار اسم الذات (سردد) جملة مؤلفة من مصدر

ونعته ، وصار اسم الذات الثاني بالزاي المعجمة المفتوحة بدلا من الراء المهملة المكسورة ٠

وبعد ذلك بفترة من الزمن ، كنت أقرأ في طبعة من طبعات لزوميات أبي العلاء المعري ، بشرح أحد العرب المعاصرين ، وعند بيت لأبي العلاء يقول فيه :

حسبي من بلسن يمارس لي
فان تكن لي حلاوة فبلس

توقفت لأقرأ الشرح في الهامش ، فاذا بي اجد أن (البلسن) هو نوع من البقوليات ، فقلت : قارب ولم يكد ٠ أما عبارة (فبلس) فانه بعد ان قال ان الفاء داخلة في جواب الشرط ، فاجأنا بقوله ان الباء حرف جر واللس هو : الغض الطري من النبات ٠ يا ألله ! كيف لايعرف كاتب عربي يتصدى لشرح لزوميات أبي العلاء أن (البلسن) هو العدس ، وأن (البلس) هو التين وهما على ألسنة أهل اليمن حتى ساعة الناس هذه ، لا يسمي عامة الناس العدس الا (البلسن) ولا يسمون التين الا (البلس) ٠

★

هاتان الحادثتان ، وحوادث أخرى شبيهة بهما[1] ، جعلتني أشعر منذ ردح من الزمن، أن الاهتمام بالتراث اليمني عامة هو من الواجبات الوطنية بل والقومية٠

ولكن اطلاعي على المنشور من مؤلفات أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني ، جعلني أقتنع بأن أمر اسماء البقاع والاماكن في اليمن قد أعطي حقه كاملا وخاصة في كتابه الرائع (صفة جزيرة العرب) ، بحيث أصبحت المسألة هيمسألة نشر وتعميم لكتب الهمداني ، لا مسألة تدوين وتحقيق اسماء البقاع والاماكن في اليمن ، فقد كفانا ذلك ابو محمد رحمه الله ، وزادنا اكتفاء (المعجم) للقاضي محمد بن احمد الحجري ، رحمه الله ، وان كان لم يطبع حتى الان ٠

أما الناحية اللغوية في التراث اليمني ، فان ماكتب وصدر فيها ، ليس الا شيئا يسيرا ، لايتكافأ مع اللهجات اليمنية ، ومافيها من الثراء اللغوي الكبير ٠

ولهذا فانني في عام ١٩٧٤ عكفت على تسجيل كل ما أعرفه من المفردات التي أعتقد انها خاصة باللهجة اليمنية ، وقد بدأت أولا فسجلتها تسجيلا تدوينيا أو قيديا ، أي دون تفصيلات ، ودون استطراد الى الاستشهاد بالامثال والحكم والاشعار الملحونة المختلفة ، فكان هذا التدوين لغويا بحتا على النمط التالي في هذا المثال :

ب ت ل : بتل ـ بفتحتين ـ الارض يبتلها: حرثها وآثارها ٠ والمصدر او اسم المعنى بتلة ـ بكسر الباء ـ وكذلك اسم الذات فهذا العمل يسمى بتلة ٠

---

١ ـ من ذلك مثلا قراءتي لكتاب (غاية الاماني في اخبار القطر اليماني) لـ (يحيى بن الحسين بن القاسم) تحقيق (سعيد عاشور) ، واتمنى على كل يمني ان يطلع على هذا الكتاب ، فسيجد فيه متعتين ، المتعة الاولى هي : جودة هذا الكتاب وموضوعية ونزاهة مؤلفه ، والمتعة الثانية هي التسلي بالهوامش والشروح التي وضعها المحقق ، فسيجد القارىء نفسه وهو يضحك حتى انقطاع النفس لهذه الهوامش العجيبة والغريبة ، وخاصة في اسماء الاماكن وتحديد مواقعها . جزى الله المحقق خيرا في اصدار الكتاب ، وسامحه الله لظنه ان اليمن في المريخ بحيث لايمكن التحقق من اسماء الاماكن فيها .

أما اسم المرة فهو : بتلة - بفتح الباء -، والارض متبولة أي : محروثة ٠

والبتول - بفتح فضم فسكون - هو : الحارث ، والواقع انه ليس كل حارث بتولا: فقد تخصص اسم البتول على من يعمل أجيرا عند احد الملاك ، فيقوم بخدمة الثيران والعمل عليها في البتلة ، اي حرث الارض خدمة لها ، وفي التَّلام ، أي حرث الارض وبذرها في وقت واحد ، وجمع البتول : أبتال٠

هذا مثل للطريقة التي اتبعتها فيتدوين ما أعرفه من الكمات الخاصةباللهجةاليمنية وذلك في عام ١٩٧٤ ٠

وفي العام التالي ١٩٧٥ راجعت ماسبق لي تدوينه ، فوجدت انه جاف جامد ، لايمكن أن يثير اهتماما ، الا لدى قلة من الناس ؛ وهم المتخصصون في الدراسات اللغوية البحتة ، وفكرت في الامر ، فوجدت ان لدي مندوحة من الوقت ، وقلت لنفسي : لماذا لا أضيف - عند كل كلمة تتيح لي فرصة الاضافة ، كل ما أحفظه من التراث الشعبي؛ سواء كان (مثلا شعبيا) أو (حكمة سائرة) أو (حكما من الاحكام الزراعية والاجتماعية) أو (شعرا حمينيا - منسوبا الى قائليه من الشعراء المختصين بهذا الفن الرفيع-) أو (شعرا شعبيا - مما هو منسوب الى قائليه من عامة الشعب -) أو (شعرا فولكلوريا - مما ينبع من الشعب غير منسوب الى أحد -) ٠

وذلك هو ماكان ، فعكفت من جديد على اعادة كتابة تلك الكلمات مغتنما كلفرصة تتيحها لي الكلمة نفسها مع الذاكرةوشيء من السؤال والاستقصاء لاورد ما أحفظه من الامثال والحكم والاحكام والاشعار الحمينية والشعبية والفولكلورية٠

وتم لي في ذلك العام انجاز العمل ، مرتبا حسب الحروف الابجدية من الالف الىالياء٠

ورغم انني لم أجد في حرف (الياء) شيئا يذكر - وذلك أمر غريب - الا انني وجدت في كثير من الحروف من الكلمات مايثير الاهتمام وخاصة في مجالي الزراعةوالعمارة، لان اليمن دون سائر انحاء الجزيرة العربية لها خصوصية في هذين المجالين - وكذلك في مجالي الصناعة والتجارة - أكثر مما لغيرها، بينما اللغويون الذين ألفوا القواميس ، كان اهتمامهم منصبا على شمال الجزيرة العربية ، فلم يهتموا باليمن أي جنوب الجزيرة العربية - الا اهتماما ثانويا ، بل كان مصدرهم اللغوي الاول ، هو : البدوي وكلما كان مغرقا في البداوة ، كان عندهم هو المطلوب ٠

بالطبع قد يسأل عن المصادر التياعتمدت عليها ، والجواب بالطبع ان المصدر الرئيسي في هذا المجال هو الذاكرةوالمعلومات الخاصة ، وقد ساعدني اهتمامي بالشعر الحميني وبنقوش المسند على أن أظل على صلة جيدة بكلام الناس ومعاني الكلمات في اللهجات المختلفة ، كما انالفكرة عاشت في رأسي منذ أعوام طويلة ظللت خلالها أختزن ما أسمع وأسألعن كل كلمة أسمعها - من غير لهجتي الخاصة - وأسأل عن استعمالها ومعناها ، والى جانب ذلك استندت على بعض دواوين الحميني في الاستشهاد وخاصة ديوان الآنسي ، وأكثر من ذلك ديوان الخفنجي والجزء الاول من الامثال اليمانية للقاضي اسماعيل بن علي

الاكوع ، لان الشعر الحميني الهازل والامثال الشعبية يستعملان الكمات الخاصة بشكل أوسع ، كما قمت ببعض الاستقصاءات الميدانية في منطقة (اريان) في الاوقات القصيرة التي أزورها فيها ، ويدخل ضمن هذا العمل الميداني على نحو ما إلحافي بالاسئلة على كثيرين ممن يردون دمشق وهم من مناطق مختلفة من اليمن ٠

أما الاسلوب العملي الذي اتبعته ، فقد اخترت اسلوب الخليل ، وهو أن أركب كل حرف من حروف الهجاء مع بقيةحروفالهجاء على صيغة (فعل) أي صيغة فعل ماض وسأعلم او أشعر أن لها استعمالا بمجرد نطقها بيني وبين نفسي الا ما أجهله من اللهجة الخاصة التي أتكلمها ، وهي احدى لهجات المنطقة الوسطى - وهو فيما أظن قليل - أو ماأجهله من اللهجات الاخرى ، وهو بلا شك كثير وخاصة لهجات تهامة التي أجهلها للاسف الشديد جهلا كبيرا٠

غير أن طريقتي تختلف عن طريقةالخليل بأمرين أولهما : أنني لم استعمل طريقة المخارج لترتيبالحروف بحسبعمق مخرجها من جهاز النطق فأبدأ بـ (العين) ٠ كما فعل ، وانما اخترت الترتيب الابجدي للحروف من الالف الى الياء ٠ وثانيهما : أنني لم أثبت بالتدوين الصيغ التي لم أجد منها كلمة خاصة فيما أعرفه من اللهجات اليمنية وانما ألفيتها في ذهني بعد أن قلبتها على مختلف الوجوه من الزيادات علئي أجد لها استعمالا ٠

ولاضرب مثالا على هذه الطريقة التي اتبعتها سأختار كمثال حروف الجيم مع الباء ثم أثلثه بالالف والباء والتاء ٠٠ الخ

فتاتي أولا (جبأ) وليس منها شيء وقد يكون منها (الجبا) بمعنى الهدية ولكنني فضلت ذكرها في (جبى) ، ثم (جبب) فان ضعفناها كانت (جب) وليس منه في اللهجة اليمنية شيء ، واذا حللناها فمنها (الجبب)- بضم ففتح - وهي : الزنابير ، ثم تأتي (جبت) وليس منها شيء ، ثم (جبث) مهملة أيضا ، ثم (جبح) ومنه (الجبح) وهو خلية النحل ، ثم (جبخ) و (جبد) (حبذ) مهملات ، ثم (جبر) ومنه (الجبر) - بفتحتين - وهو منالاشياء: السليم المصون الذي لم يستعمل ، ومن الناس : المعفى من التبعات والالتزامات٠٠ الخ ٠ وهكذا كانت تدور الاحرففي ذهني حسب الترتيب والتسلسل وكلما وجدت الكلمة ذات الاستعمال الخاص فيما أعرفه من لهجات اليمن بادرت الى تسجيلها٠

وقد ظللت أياما كثيرة بل أشهرا وذهني يعمل في ترتيب الحروف ولايكف عن ذلك الا أثناء الانشغال الشديد او أثناء النوم، وكثيرا ما كنت آوي الى فراشي ، وأنا أدير هذه العملية ، فاذا وجدت كلمة ، فكثيرا ما كنت أشعل المصباح لأدونها٠

وفي هذا المقال ، أرغب في ايراد بعض النماذج ، من المفردات الخاصة وذلك بعد أن أضفت اليها من التراث الشعبي،معتمدا على الحفظ والذاكرة ، مع بعض المراجع الحمينية ٠

فمثلا مادة (بتل) التي سبق أنأوردت في هذا المقال معناها وتصريفاتها اللغوية ٠ فعند الصيغة (بتلة) وهي كما سبق اسم المعنى (المصدر) واسم الذات أوردت مثلا شعبيا اجتماعيا ، اعتقد ان أصله

للحكيم علي بن زايد ، لأن وزنه الشعري هو من الوزن الشعري الخاص بهذا الحكيم الزراعي والاجتماعي ، ولان كل أقواله وأحكامه تبدأ بعبارة (يقول علي ولد زايد) ووزنها هو (مستفعلن فاعلاتن) فقد جاء مايليها من أقواله على وزنها ٠ وهذا المثل يقـول :ـ

بتـله على ثور زاحف ولا تجداي الاعجال

والزاحف هو : الثور المسن الضعيف الذي لا تكاد قوائمـه تحمله ٠ والتجـداي هو : الاستجداء ٠ والاعجال يراد بها الثـيران الفتية وليس الصغير من البقر ٠ والمعنى: لان تحرث ارضك بثورك وان كان ضعيفا كالا ، خير من ان تتجشـم ذل استـجداء الثيران الفتية من غيرك ٠ والحالة التـي يضرب فيها المثل واضحة ، وهي الحـث على نفسك وما تملك ولو كان أقل مما عند الاخرين تجنبا لذل السؤال ٠

أما عند الصيغة (بتول) وهو اسم الذات للحارث الذي يعمل على الثيران في البتلة والتلام ايضا ، فأوردت حكما زراعيا أحفظه لعلي بن زايد ، وهو على نفس الوزن المشار اليه ويقول :

يقول علي ولد زايد نخس البتول ينفع الثور

والنخس هو ـ بفتح فسكون ـ وهو المرادف اليمني للنفـس ـ بفتحتين ـ ، والمـراد بالنخس هنا ليس مجرد النفس المتردد في الصدر ، بل النخس الطيب الخير الصادر عن حب البتول للثور ، وهذا البيت مـن الناحية الزراعية يسجل حكما زراعيا ،وهي أن صاحب الثور يحرص على جعل العلاقة ودية بين البتـول والثور حتى يعتنى بـه وتنفعه هذه العناية ٠ ولكن هذا القول يضرب أيضا كمثل في الحياة الاجتماعية ، تقوله تقريعا لمن يتولى ـ مثلا ـ العناية بشخص دون محبة ، وتقوله اطراء اذا رأيت عكس ذلـك ٠

وفي صيغة الجمع للبتول (أبتال) أضفت شطرة غير متداولة كثيرا ولكني سمعتهم يضيفونها الى مثل كثير الاستعمال ، وهو على الوزن الشعري السابق ويقول :

خبر البقر تحت الاهجاج ماخبرها في الحوية

الاهجاج : جمع هج ـ بكسر فتضعيف ـ وهو : النير ، والحوية : الزيبة ٠ وبعضهم يضيف (وابتالها في عباصر) وعباصر هذه اسم مكان فيه اراضي زراعية صلبة قاسية لايحرثها الا البتول القوي فتختبر مـدى قوة وضعف الابتال٠

ثم أوردت حكما زراعيا يردده المزارعون عن الذرة البلدية وهو في فقرة مسجوعة تقول عن الذرة :

اذا هي كيَّمت وظلمت،ومن جوارح الثور سلمت، فابتالها غنمت ٠

أي اذا هي أمطرت في (نجم الكيمة) و (نجم الظلم) وسلمت من الآفات الزراعية في (نجم الثور) فان زراعها قد غنموا ٠

كما أضفت حكما زراعيا لعلي بن زايد بوزنه الشعري يقول :

يا تلمة الظلـم الاول يا محرشه بين الابتال

والتلمة ـ ستأتي ـ والمعنى ان المزارعين الابتال يتبارون ويتنافسون على السبق في بذر اراضيهم في (نجم الظلم) لان وقتها قصير فيختلفون وكأن هـذه التلمة تحرش بينهـم ٠

وختمت بايراد بيتين من (الحميني - الملحون -) الهازل ، لعلي حسن الخفنجي

ثور الهوى من خارشه نطح
وينكر الساني مع البتول

فهو يتخيل ان للهوى ثورا ، وان تحرش به (خارشه) نطحه ، ويتنكر حتى لمن يقوم على خدمته ٠وله :

ومن آل الرسول ظاهر ومجهول
وشي حده بتول فوق المشي

وأنبه على أن ما أوردته هنا حول كلمة (بتل) ليس بالسياق الذي هو عليه في الكتاب ، وانما أوردته كشرح لطريقة عملي هناك ، اما الان فأورد نماذج بوضعها التي هي عليه في المجموعة ٠

ت ل م

التلام - بكسر التاء هو : البذار ، أو شق الارض وبذرها معا ، أما شق الارض دون بذر بل خدمة واعدادا لها فهو (البتلة) وقد سبقت ٠ والتلام : اسم ذات لانك تقول - مثلا - : هذا موسم التلام ، أو : الناس هذه الايام مشغولون بالتلام ، كما أن الكلمة اسم معنى أي مصدر لانك تقول : تلم فلان أرضه يتلمها تلاما ، ولا تقول تلما ٠ والماضي كما رأينا : تلم - بفتحتين - وقد جاء في الامثال قولهم :

يا من تلم بر جابر ومن تلم حنذره جات[٢]

أي : ان من بذر أرضه بُرّاً جاءه بُرٌ أو يحصد بُرّاً ، ومن يبذر الحنذرة يحصد الحنذرة - بفتح فسكون ففتحتين - وهي نبات سيء الطعم يشبه البر ويتطفل على مزارعه ، والفعل (جا) في (جابر) مسهل من جاء وكذلك (جات) مسهل من (جاءت)

والمثل يشبه قولهم : من زرع الشرحصده، او على الاصح مثل قوله تعالى (ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ٠

والتلمة -

بفتح فسكون ففتح - هي : المرة من فعل التلام ، تقول : تلمت تلمة واحدة ، كما أنها تطلق أيضا على موسم التلام فتقول: هذه تلمة نيسان وهذه تلمة مبكر ٠٠ الخ، وفي أحكام علي بن زائد قوله :

يقول علي ولد زايد ياتلمة الظلم الاول
يامحرشة بين الابتال

وقوله ايضا :

يقول علي ولد زايد تلمة طاوع الثريا
تسابق النجم الاحمر

ومعنى الاول ان موسم (الظلم الاول)- وهو نجم عدة أيامه ثلاثة عشر يوماوالبذار يكون في أيام معدودة من أوله - هو أنسب موسم لبذر بعض أنواع الغلال ، ولهذا يتسابق الباذرون (الابتال جمع بتول وقد سبقت) اليه ويتنافسون عليه فكأنه يحرش بينهم مثيرا للخلاف والفتنة٠

ومعنى الثاني ان المزارع الذي يفوته بذر أرضه في الايام الاولى من نجم نيسان ويسمى النجم الاحمر ، فان عليه ان يهمل بقية أيام هذا النجم وينتظر مطلع النجم الثاني وهو مبكر ويسمى نجم طلوع الثريا فيبذر أرضه فيه والزرع المبذور في هذا النجم يسابق المبذور في النجم السابق فيدركه

---

٢ - هو مثل في بيت من الشعر وزنه من مجزوء البسيط : اي الوزن الذي اشرت اليه في مادة (بتل) :

مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

ويتساوى معه ويينعان معا رغم أن بينهما نحو عشرة أيام ، وهذا في الذرة البلدية خاصة ٠

والمتلم ايضا الوقت المناسب للتلام او البذار، ومن احكام بن زايد :

يقول علي ولد زايد الدهر كله متالم
غير المتالم لها اوقات

أي أن الزمن كله مواسم مناسبة للبذار غير التوقيت يكون للنوع فهذا متلم الذرة وهذا متلم البر وهذا متلم المعلاة ـ أنظر علو ـ ٠٠٠ الخ ٠

والتلم ــ

ـ بكسر فسكون ـ هو : مشق الكراب في الارض ، ذكره في اللسان ولكنه قال انه بفتحتين على التاء واللام ، ونسبه الى اهل اليمن والغور ، ولكنني لم أسمعه في أي مكان أعرفه من اليمن الا بكسر التاء وسكون اللام ، وفي الامثال :

تلم بجربه ولاعشرة أقسام .

والاقسام هي قطع الارض الصغيرة ٠ وجمع التلم اتلام ، وجاء في الحميني الهازل للخفنجي :

واحزق شراكك وادهن القدامه
وانذر بتلمين لاحمد بن علوان
(وزنه من الرجز)

وأخيرا جاء في أحكام ابن زايد قوله:

يقول علي ولد زايد اذا اليهودي تحنى
في يوم عيد الخضيري فاتلم ولا عاد تانى

أي اذا رأيت احدا من اليهود وقد حنى يديه بمناسبة حلول عيدهم المسمى عيد الخضيري فبادر أيها المزارع واتلم أرضك بدون تأني ، وكان هذا العيد يصادف في نيسان أهم مواسم البذار ٠

جـبى : الجبْا ــ

بضم فباء خفيفة آخره ألف وقد تكون مقصورة أي الجبى ـ هو : السطح ، أي سطح المنزل من ظاهره اما اذا كنت داخل المنزل ولو في الطابق الاخير فان مافوقك هو سقف أما ظاهره فهو الجبى أي السطح ٠

ومن الفولكلور الشعبي يغني البتول ـ انظر بتل ـ معتزا بثوريه وعمله فيقول :

يامحجرة من جبا الدار ايش اعجبش ياصبية؟
أعجبني الضمد الاثوار يشق طين المضية(٣)

والمحجرة ــ

ـ بضم فسكون فكسر ـ هي المرأة المزغردة اعجابا وطربا ، فهذا البتول يحرث الارض وهو معجب بثوريه فيتخيل أن فتاة قد زغردت له تحية واعجابا فهو يسألها : ما هو الذي أعجبك أيتها الفتاة المزغردة في سطح الدار ؟ ثم يتخيل أنها أجابته قائلة: لقد أعجبني هذا الضمد من الثيران وهو يشق الطين في هذه المضية ، والضمد ـ بكسر فسكون ـ هو الثوران المقرونان بالنير ـ أنظر ضمد ـ والمضية هي الارض التي تحرث لاول مرة بعد ان تركت مدة من الزمن لتكون مرتعا للانعام ، ولا يشق طينها بالمحرات الا ثوران قويان وبتول ماهر ٠ وفي الاغاني الشعبية العامة يغنون من الفولكلور :

حمحمه بالجبا والقاطفي باللويه(٤)

والحمحمه ــ

هي غصن الريحان المرع ، والقاطفي

---

٣ ــ هذان من مجزوء البسيط له في كل شطر هذه التفعيلات : (مستفعلن فاعلاتن فاعلن).
٤ ــ هذا من وزن المعينه وقد سبق .

هو : القاطف والياء تزاد في الاسم المفرد كثيرا في اللهجة اليمنية ، وربما أتطرق الى ذكر مدلولاتها عند ورود كلمة خاصة،فيها هذه الياء ، واللوية هي : المنعطف في النقيل أو الطريق الصاعد في الجبل نحو هذه الدار الذي على جباه هذه الحمحمة التي ترمز هنا الى الفتاة الجميلة ...

وجمع الجبى :أجبى- بفتح فسكون فكسر آخره ياء - وفي الامثال :

اجبي (شبام) كلها ملاجه
ما حالي الا جبا (سعيد) (٥)

وهو على لسان امرأة تحب رجلا اسمه (سعيد) فهي لحبها له ترى أن كل ما يخصه ويتعلق به هو أحلى وأجمل مما عند الآخرين ولو كان متماثلا معها تماما ، فهذه سطوح منازل مدينة شبام كلها مملوجة ملاجة أي مطينة بالطين المخلوط بالتبن أو السرجين ولكن الاحلى والاجمل هو سطح منزل حبيب القلب (سعيد) . وهو - كما قال القاضي اسماعيل الاكوع - يشبه قول عمر بن أبي ربيعة (حسن في كل عين من تود) ويضرب المثل في المحاباة والتفضيل بلا موجب وانما نزوعا مع هوى النفس وعواطفها .

وفي الحميني الهازل ترد كلمة جبى وأجبى كثيرا فللخفنجي قوله :

الهوى طلوع
والمعشقة ما احد يصل جباها
والزم الخضوع
فمن جباها يا حبيب حماها

ولأحمد بن زيد الى الخفنجي في قصيدة يمازحه فيها عن كيفية ترويض حماره :

فكن طلعه يترع في الجبا ... وكن لبسه شمله

وفي الامثال قولهم :

مجنون تلم في الجبا

قال : مجنون من ضاواه .

جبى : الجبا -

- بفتحتين خفيفتين-هو العطاء او الهدية تعطى في المناسبات كالاعراس وهي هنا واجب اجتماعي متعارف عليه تقدم كجبا أي هدية بدون مقابل ولكن الواقع ان العريس ملزم عند ما يتزوج أحد ممن جبوه أن يجبيه بنفس المبلغ الذي جباه به ، وهي عادة حسنة لانه يجتمع للعريس مبلغ جيد من المال يعينه على عرسه بينما لايعيده الا أقساطا لان الذين جبوه لايتزوجون في يوم واحد أو يتزوج أقارب لهم على مراحل . فتراهم في العرس وقد انصرفوا من الغداء الى مقيلهم في الديوان (وهو اطول غرفة في الدار) وبعد ان يستقروا على متاكئهم يأخذ(المزين) في الذهاب والاياب بين الجالسين والعروس وهو يحمل منهم المال معلنا بصوت عال عن المبلغ وصاحبه وذلك بعبارة « جبالك يا حريو بمبلغ كذا وكذا من فلان بن فلان » - والحريو العروس وستأتي - .

فالجبا أساسا هو : الهدية التي تهدى احتراما وتقديرا او ايثارا وهي لاتقتصر على المال بل هي في الاشياء النفيسة أكثر .ومن غريب ماكانوا يجبون به ريشات ذيل طائر يسمى (الاخيل) سمي كذلك لانه يختال بذيله الطويل ذي الالوان الزاهية - ولا أظنه

---

٥ - هذا مثل في بيت من الشعر وزنه
(مستفعلن فاعلن فعولن ... مستفعلن فاعلن فعو)

المذكور في لسان العرب - وكان أحدهم اذا عثر عليه حرص علـى اصـطياده فاذا اصطاده نتف ريشات ذيله وحزمها بخيط او نحوه ، فاذا اجتمع الناس في مقيلهم أو سمرهم قام المجبى برمـي الريشات الـى حجر كبير القوم وهو يقول:هذا جباك ياشيخ - مثلا - فتطيب نفس المجبى له ويشعر بالامتنان نحو المجبى،ويتشقر بالريشات - - أي يزين عمامته ، انظر شقر -.

وفي الحميني المغنى - أظنه للاستاذ علي صبره -.

يا من لقي قلبي المضنى يرده اليـا
ولا يشله جباه(٦)

ويشله بمعنى يأخذه ، وفي الفولكلـور المغنـى : -

قلبـي مولـع بريحـان الجبـا
لا شقروني ولا قالـوا : جبـا(٧)

وفي الامثال :

جيتي بغير مربط جبالش بذي الشتره(٨)

وقصته ان أحدهم شردت له بقرة فبحث عنها حتى يئس فعاد الى منزله وهو نـادم لانه لم يربطها فبينما هو جالس اذ بهـا تهل مقبلة فقام الى الحبل (الشترة) وقال ساخرا وهو يربطها :

جيتي بغير مربط جبالك بذي الشتره

ويضرب في الحالات التي يسوق فيها المرء نفسه الى ورطة ونحوها . أو التي تسوق فيها الاقدار غريمك اليك.

وفي الامثال أيضا : جبالك يا ابن علوان بذي شلّه السيل . وقصته أن السيل دهـم الوادي فأخذ لاحدهم بقرة فلما رآها والسيل يتقاذفها ويئس من انقاذها طمـع في أن يستفيد منها بوجه من الوجوه فنذرها وأعلنها جبا لابن علوان . ويضرب المثل لمن يعطى ما لايملك أو ما لم يعد في ملكه .

---

٦ - هو من وزن خاص : مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلاتن ★ مستفعلن فاعلن

٧ - وهذا خاص :
مستفعلن فاعلن مستفعلن ★ مستفعلن فاعلن مستفعلن

٨ - هذا المثل على وزن شعري هو :
مستفعلن فاعـل مستفعلن فاعـل



التعريف: بكتاب «تسهيل المنافع في الطب والحكمة» لابن الأزرق



د. نوال بخلاوي
كلية الطب - جامعة دمشق

في عام ١٩٧٨ صدر في بيروت كتاب بعنوان **« تسهيل المنافع في الطب والحكمة** المشتمل على شفاء الاجسام وكتاب الرحمة » تأليف علامة من اليمن اسمه : ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابي بكر الازرق . ورغم هذه الطبعة التي لم يمض عليها عامان الا ان المرء مازال على استغرابه من « الاوراق الصفراء » التي طبعت عليها مواد الكتاب(١) . وبهامش الكتاب المذكور لابن الازرق طبع كتاب آخر هو كتاب « الطب النبوي » للامام الحافظ ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي . ويقع كتاب ابن الازرق بمادته وهوامشه في ثلاث ومائتين من القطع الكبير . بينما طبعة ١٩٤٨ بمصر في سبع ومئتين . والغريب ان الطبعة القديمة تميزت بأوراق افضل واكثر بياضا من طبعة ١٩٧٨ !

وفي الصفحة الثالثة من الطبعة المذكورة صرح ابن الازرق بانه في مادته وتبويبه يعتمد على كتابين للكمراني والصنبري ، وهما الكتابان المذكوران في العنوان .

فمن هو ابن الازرق اولا ؟ ومن هو الكمراني ثانيا ؟ ومن هو الصنبري ثالثا ؟

ابن الازرق :

اتفق الزركلي في الاعلام مع ماهو مكتوب على غلاف الكتاب المذكور فقال انه :

ابراهيم بن عبد الرحمن(٢) بن ابي بكر بن الازرق — (الاعلام ، المجلد الاول(٣) ، الصفحة ٤٦) : عالم بالطب . يماني . اشتهر بكتابه « تسهيل المنافع في الطب والحكمة ط » وله « مغني اللبيب حيث لايوجد طبيب » .

واضاف الاستاذ الحبشي ان « تسهيل المنافع .. » طبع عدة طبعات شعبية .خ ١١٥٦ جامع تريم اهـ .

ولكن متى عاش ؟

اختلف المصدران . ذكر صاحب الاعلام انه مات بعد ٨٩٠هـ/١٤٨٥م وذكر صاحب المصادر انه لم يقف على ترجمته غير انه بتحفظ يقول : « ولعله من اهل القرن التاسع » الهجري . ولم يحدد الزركلي المصدر الذي استند اليه في

تحديد سنة الوفاة ، وأما الهامش في الصفحة ٤٦ من المجلد المذكور للاعلام فلا يعكس شيئا من هذا التحديد — ونعتقد أن ماورد في كتاب ابن الازرق من تتلمذه على « شيخه الكمراني» هو البداية لمناقشة الزمن الذي عاش فيه .

الكمـــراني :

لم يترجم صاحب الاعلام للكمراني . ولقد كان مفترضا ان ينزل الاسم في المجلد السادس . الصفحة ٣٢٤ .

واما الاستاذ عبد الله الحبشي في « مصادر .. اليمن »(٤) ، فانه يقول : هو:

محمد بن أبي الغيث بن علي الكمراني ولـد بأبيات حسين بالقرب من زبيد واخذ على جماعة من علمائها ، حيث اصبح احد الفقهاء البارزين وفي آخر حياته تحول الى علم الطب واشتغل بالنظر في كتبها . توفي سنة ٨٥٧ هـ .

له شفاء الاجسام في الطب ..

نقل اكثره صاحب كتاب تسهيل المنافع. اهـ .

وأما الصنبري :

فقد اخطأ صاحب الاعلام(٥) مرتين في كتابة اسمه فذكر انه الصبنري. ولعل الخطأ مطبعي. رغم انه يذكر انه توفي ٨١٥هـ/١٤١٢ م . واتفق معه صاحب المصادر . واورد الحبشي انه :

مهدي بن علـي بن ابراهيم الصنبري . بـرع في علم القراءات والفقه والطب . توفي بالمهجم سنة ٨١٥ هـ .

له الرحمة في الطب والحكمة .. خ ١٠٣٢ جامع ١١ طب ، طبع.

ولم نجد في المصدرين ما اورده صاحب تسهيل المنافع . فهو يطلق عليه **الحكيـم المقري مهدي الصنبري** — (وردت في ص ٣ الصبري وهو خطأ مطبعي .) . وتكرر ذلك في صفحات الكتاب . وشاع الكتاب المطبوع بنسخه المتعددة انه الحكم المقري .

وهكذا نجد :

ان ابن الازرق عاش في زمان لايبعد كثيرا عن الفترة الواقعة بين الربع الثاني من القـرن التاسع الهجري والسنوات العشرين الاخيرة من القـرن المذكور . واذا اعتمـدنا على تحديد صـاحب المصـادر للسنة التي توفـي فيها الكمراني (ت:٨٥٧ هـ) فهذا يشير الى نقطة هامة وهي ان ابن الازرق ربما كتب كتابـه قبل هذه السنة والا لما فاته (الترجم) على شيخه في الصفحة الثالثة او غيرها حين اتى على ذكره وذكر مؤلفاته . وهذا الاستنتاج يقودنا الـى اعتبار وفاة ابن الازرق قبل ٨٩٠هـ/١٤٨٥ م او عندها بالتقريب وليس بعدها كما ارخ صاحب الاعـلام .

وبشكل عام لانجرؤ على القول الفاصل غير ان ابن الازرق : ولد في النصف الاول من القرن التاسع الهجري وتوفي في النصف الثاني مـن القرن المذكور .

اقسام الكتاب :

قسم ابن الازرق كتاب تسهيل المنافع الـى خمسة اقسام :

القسم الاول : في اشياء من علم الطبيعـة والامر بالتداوي .

القسم الثاني : في طبائع الاغذية والادويـة ومنافعها .

القسم الثالث : فيما يصلح للبدن في حال الصحة .

القسم الرابع : في علاج العلل الخاصة بكل عضو من أعضاء الجسم (الامراض الخاصة).

القسم الخامس : في الامراض العامة .

وتفرعت عن كل قسم ابواب وفصول .

وسأذكر باختصار مايحتوي عليه كل قسـم من الاقسام الخمسة بينما سأفصل في القسـم الثالث «فيما يصلح للبـدن في حال الصـحة » لعلاقته الكبيرة بفرع هام يعتبر الان اهم فـروع الطب : وهو الطب الوقائي والصحة العامة ، **كما اعتبره ابن الازرق من اهم ابواب الطب « لان الاحتماء في حالة الصحة خير من شرب الدواء في المرض » صفحة ٥٥ .**

القسم الاول : في اشياء من علم الطبيعة والامر بالتداوي . ويحتوي على ثلاثة ابواب .

الباب الاول يحتوي على سبعة فصول . ففي الاول★ ذكر الاخلاط الاربعة وهي « خلط الصفراء — خلط الدم — خلط البلغم — خلط السوداء » صفحة — ٤ — . وذكر ان اصلها على الترتيب من عنصر : النار — عنصر الهواء — عنصر الماء — عنصر الارض . وفسر ماذا تعني كل منها ثم رد اليها صلاح البدن وفساده .

الفصل الثاني : في معرفة الغذاء المنصرف في الانسان وكيف يتم الهضم . وفي هذا الفصل نلاحظ ان فكرة هضم المواد الغذائية لم تكن واضحة لديه .

الفصل الثالث : في علامات غلبة الصفراء . فيذكر الاعراض التي تتجلى بها زيادة خلط الدم

الفصل الرابع : في علامات غلبة الدم فيذكر الاعرض التي يتجلى بها وزيادة خلط البلغم

الفصل الخامس : في علامات غلبة البلغم . فيذكر الاعراض التي تتجلى بها ، وزيادة خلط السوداء .

الفصل السادس : في علامات غلبة السوداء فيذكر الاعراض التي يتجلى بها.

الفصل السابع والاخير : في كون الذكر احر من الانثى وايبس مزاجا.

الباب الثاني : في الحمية :

وعرفها بقوله : « هي كف مايزيد به المرض، اويؤذي ، فاذا احتمى الانسان وقف مرضه واخذت القوة في دفع المرض » ص ٧ .

وفيه يذكر بعض الاحاديث الشريفة واقوال الحكماء عن فوائد الحمية . ويضم الباب المذكور الفصول التالية :

فصل اذا اشتهى المريض شيئا يسيرا مما لا يصلح رخص له فيه : اي في اليسير منه .

وفصل انه لاينبغي انيكره المريض على الطعام.

الباب الثالث : في تدبير الناقه .

ويعرف فيه الناقه « المراد به المتناشل من المرض » ص٨ . وفيه بعض النصائح للناقه حول الغذاء — الحمية — الجماع ..الخ. ويضم فصلا في الافراط في الحمية.

الباب الرابع : في الامر بالتداوي .

ويذكر فيه بعض الاحاديث النبوية عن ضرورة التداوي في حال المرض وان لكل داء دواء وعن استفحال المرض اذا لم يعالج.

القسم الثاني :وهو في طبائع الاغذية والادوية ومنافعهماويضمعدة ابواب،الباب الاول: وفيه عدة فصول يذكر فيها طبائع الاغذية فيبدأ بالحبوب ثم اللحوم ثم الفواكه ويذكر في كل غذاء طبيعته وفوائده واضراره على الجسم وما يتوافق مع احد الاخلاط الاربعة او يعاكسها . اما بالنسبة الى اللحوم فيضيف لما سبق افضلها من حيث النوع والجنس والسن وافضل ناحية من الذبيحة .. وكذلك بالنسبة للفواكه اذ يبدأ بأجودها فيذكر طبيعتها وفوائدها ولاي الاعمار تصلح وكم مرة في الاسبوع يجب ان يتناولها المرء حسب العمر.

وافرد فصلا خاصا لقصب السكر وفوائدهومنه انتقل الى السكر والعنب والزبيب والتمر ... والعسل .

ثم ذكر فصلا خاصا في طبائع الادوية فيذكر ايها يقوي القلب وايها يفيد المعدة والدم وايها يفيد في البواسير . فيذكر في كل دواء طبيعته وفوائده الدوائية والامراض التي يمكن ان ينفع فيها اما لوحده او بالمشاركة مع دواء آخر . ثم يذكر اضراره ايضا .

★ نظرية يونانية سيطرت على اذهان اطباء العصر الوسيط ولانعرف احدا خرج عليها . وتاريخيا نشات مع ظهور المدرسة الايونية والفلاسفة الطبيعيين اليونانيين . ثم امتدت الى فروع مختلفة من المعرفة وخاصة الطب . ورغم ان مقدماتها خاطئة ، الا ان هذه المقدمات الخاطئة لم تمنع الاطباء العرب من الوصول الى نتائج طبية سليمة وعظيمة . والسبب في ذلك يعود الى مناهجهم التجريبية واعتمادهم على دراسة العينات والفحوص المباشرة .

ووضع فصلاخاصا للادهان ونفعها وتأثيرها كما افرد فصلا للسعوط وذكر ان معناه « صب الدواء في الانف » ص٤٤ وذكر فوائده العديدة وطريقة الحصول عليه واستعماله .

الباب الثاني : في ذكر المياه .

فيقول : « ان افضل المياه هي المياه الجارية الباردة » . ويضم هذا الباب عدة فصول تكلم عن فوائد الماء العديدة وعن افضل المياه بحسب مصدرها كما يتكلم عن الماء الكدر ومضاره . ويذكر ان افضل المياه هي ماء المطر وبعده ماء الانهار الجارية البعيدة المجرى التي لا يخالطها ماء يفسدها ، ثم ماء الابار . ويذكر فائدة طبخ المياه لاصلاح الماء الفاسد . ويضم هذا الباب ايضا فصلافي معجون الثوم وفوائده وطريقة استحصاله واستعماله. كما يفرد في ذلك القسم بابا للمراهم يذكر فيه فائدة المراهم في تنقية القروح ونزع مافيها من المادة والرطوبة الفاسدة ويذكر عددا من المراهم وفوائدها وطرق استحصالها وكيفية استخدامها.

والباب الاخير في هذا القسم للمسهلات .

يتكلم في بداية هذا الباب عن طريقة استحصال المسهل وفوائده ولكنه لاينسى ان ينبه الى ان كثرة استعماله ضار فيقول « ان جميع المسهلات والاستفراغات للبدن مثل الصابون للثوب اذا كثر استعماله أبلى الثوب وابلاه سريعا واكثر المسهلات سمية قاتلة اذا لم يعرف القدر المستعمل .. فترك المسهل والاستفراغات جميعا اولى وأوفر ماوجد الانسان سبيلا الى السلامة الا عند الضرورة الملجئة فيستعمل منها القدر اليسير » ص٤٩ .

وهذا الكلام سليم من الناحية الطبية اذ ينصح الآن بعدم استخدام المسهلات الا عند الضرورة القصوى وعدم الاعتياد عليها.

ويضم هذا الباب فصلا جميلا وهادفا هو «من وصايا أهل الطب انهم قالوا » ص ٥١ : « متى أمكنك ان تعالج المريض بالغذاء فلا تعطه شيئا من الادوية ومتى قدرت ان تعالجه بدواء خفيف مفرد فلا تعالجه بدواء مركب ولا قوي ولاتستعمل الادوية الغريبة المجهولة ان امكنك الا ان يصح لك منها بالتجربة واذا مالت شهوته الى(٦) غذاء لايوافقه فاعطه منه اليسير » وهو كلام صحيح من الناحية العلمية .

ثم يتكلم عن الفصادة والحجامة وفي اي الامراض تستخدمان وفائدتهما ومتى وكيف تستعمل كل منهما .

القسم الرابع : وهو في علاج العلل الخاصة بكل عضو من اعضاء الجسم مبتدئا من الراس نزولا الى القدم فيصف المرض واعراضه والتشخيص التفريقي ان وجد وفي اي قسم من البدن يتظاهر المرض وسببه ، ثم يصف علاج ذلك المرض وسأذكر مثالا على ذلك «داء الثعلب » ص ٨٨ (باب داء الحية والثعلب).

● يقول ابن الازرق « قال صاحب كتاب الرحمة داء الثعلب هوالذي يتمرط(٧) شعره حتى يصير جلده كالبصلة . وهو ان يزول فوضع في الراس فيختلف مثل قدر درهم او اقل او اكثر ولكن الفرق بينهما ان داء الحية تكون بشرة الراس منه خشنة وداء الثعلب تكون بشرة الراس ملساء . وهاتان العلتان تحدثان في جميع البدن الا ان اكثر حدوثهما يكون في الراس واللحية والحاجبين . وسببه خلط سوداوي» ثم يصف العلاج اولا بمسهل السوداء ثم بحلق الراس بموسى ثم بطلي الراس بالبصل والعسل او بزبل الفار او بالخل او بالزفت الى آخر ما هنالك من علاجات اتى عليها .

نلاحظ انه يتبع خطة علمية اذ راح يصف الداء ومسبباته ثم استدار الى العلاج المناسب ذاكرا التشخيص التفريقي ان وجد . وهذا التدرج غاية مايبلغه طبيب منهجي متمكن.

ومن العلل التي يذكرها في هذا القسم امراض العين ــ امراض الاذن ــ العلل الهضمية ــ الزكام والنزلة ــ وجع الضرس واللثة . القلاع ــ صرير الاسنان ــ تشقق الشفتين ــ اللقوة ــ السعال ــ نزف الدم ــ نفث الدم ــ داء الفيل

ـ ادوية الحمل والولادة ـ حصر البول ـ بول الدم ـ باب لمعالجة الامساك وباب لمعالجة الاسهال وباب للزحير واخر للديدان ثم باب ثم باب الداحس واخر في اصلاح الاظفار وتشقق الكعبين ثم يتناول البواسير والنواسير وعرق النساء والنقرس وادواء المفاصل والجدري والحصبة والثآليل والحمرة والصفار واليرقان والقوباء والبهق الاسود والابيض وعلاج الحروق.

اما القسم الخامس : فهو في الامراض العامة اذ يتعرض الى الحميات والماليخوليا والجنون والصرع والجرب والجذام والبرص والكلب ثم يتناول التسممات المختلفة ان كانت بسبب لدغ الافعى او العقارب او الزنابير او بسبب بعض المواد المعدنية كالاسفيداج او الزرنيخ او الزاج والشب او الصابون او المواد الطعامية . ويذكر كيفية علاجها .

ويتناول في هذا القسم بابا في (قطع الافيون) فيذكر بانه يسبب اعتيادا وان تركه من غير تدريج يسبب ظهور اعراض الانقطاع وربما الموت ويذكر الطريقة المثلى في قطع الافيون وذلك بانقاص الكمية المتناولة بشكل تدريجي .

ويذكر ايضا ان« اكثر التائبين من اكل الافيون يعودون الى اكله ولو بعد حين فمن اراد السلامة من الرجوع الى اكله فليجانب الآكلين له ولايصحبهم ولايدنو منهم والا اوقعوه في اكله لا محالة » ص١٨٨ .

وفي نهاية القسم الخامس نجد بابا خاصا في الرقا للمريض والدعاء له وبابا في اصابة العين وآخر في مايكتب ويحمى والاوجاع ـ ومع انه احسن الاحاطة في الابواب السابقة الا انه وقع كغيره في هذا الباب الذي تم هجره «تنسيقه» في باب علل الطب المعاصر .

ويجب ان لايفوتني ذكر فصل هام في صفحة ١٨٠أ : « وينبغي للانسان اجتناب الامراض المعدية بواسطة الهواء الى مجالسة اصحابها كالجذام والجرب والجدري والرمد والسل .. فليحذر القرب من اصحابها وليتباعد عنهم» .

وهذا قسم من الطب الوقائي ، عكس اهتمام ابن الازرق بالاساس النظري السليم لطب المجتمع .

ورغم الوقائيات الموجودة بشكل مفرد في أجزاء الكتاب افرد ابن الازرق قسما خاصا سماه « فيما يصلح للبدن في حالة الصحة » . وهو القسم الثالث . ويحوي على قسم وقائي وقسم علاجي ايضا . ويعتمد في كتابته « للوقائيات » على الطب النبوي والاحاديث الشريفة وعلى وصايا الحكماء وخبرة الاجيال .

فنجده يقسم الطب الى قسمين احدهما في (حفظ الصحة الموجودة) وهو مايتضمنه القسم الثالث والثاني في (رد صحة مفقودة) وقد ذكر في بقية الاقسام .

ويعتبر ابن الازرق هذا القسم من اهم ابواب الطب فيقول في ص ٥٥ « اعلم ان هذا القسم اهم ابواب الطب لان الاحتماء في حال الصحة خير من شرب الدواء في المرض، والعاقل طبيب نفسه وهو الذي يدير الاشياء قبل وقوعها ليفوز بالسلامة من عواقبها » . ويذكر في نفس الصفحة « ان البدن لابد من ملاقاة اشياء ضرورية اهمها عشرة اشياء ينبغي تدبيرها وتعاهدها لاجل صحة البدن فيستعمل القدر الاصح من كل واحد منها. وهي : **الاكل ـ الشرب ـ الحركة ، والسكون والنوم ، واليقظة، والجماع ، والاهوية ، والعوارض النفسانية ، والعاشر : تدبير الاعضاء أي اعضاء البدن الصحيح »** .

ويبدا بالاكل فيقول ص٥٥ « اعلم ان القدر الاصح من الاكل دون الشبع » وهذه من الوصايا الصحية المعتمدة في الطب الحديث وتدرس الان في جامعاتنا . لذلك سأذكر الوصايا الصحية الواردة في (كتاب تسهيل المنافع) ثم سأقارنها بالوصايا الصحية التي تدرس حاليا في كليات الطب المختلفة .

اذن يبدا ابن الازرق وصاياه في تدبير الاكل

فيقول ص٥٥« ان القدر الاصح من الاكل دون الشبع وان لايملأ انسان بطنه البتة » ويستشهد بحديث نبوي : « ما ملأ آدمي وعاء شرا من البطن ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لابد فالثلث للطعام والثلث للشراب والثلث للنفس) واحاديث أخرى .

ويتابع وصاياه فيقول في ص٥٥ : فاحذر كل الحذر من اكل نيء او ماتعافه النفس ومن ادخال الطعام قبل ان يهضم ومن ان يشبع فهذا مما يسرع بالعلل ويكون سببا للهلاك) .
ويستشهد باقوال للحكماء والشعراء .

ويصرح بانه ينبغي ان لايجمع الانسان بين طعامين متفقين على طبيعة واحدة وان لايأكل شيئا صلبا شديد اللزوجة وان لايشرب على الطعام بسرعة . ويذكر فائدة الحركة قبل الطعام ويستشهد بحديث نبوي في ص٥٦ « قال صلعم: الحركة قبل الطعام محمودة لانها توقد نار المعدة فتنهضم فضول الاطعمة المتقدمة » . ثم يذكر في نفس الصفحة ان بعضهم قالوا « اذا شرع في الاكل فليجوّد المضغ وينعم السحق وان كان مطبوخا فليكن جيدا طبخه ولا يأكل لبنا مع الحموضات ولا سمكا مع لبن لانهما يورثان امراضا كالجذام ... » .

ويذكر ايضا في ص٥٦ : « وينبغي ان يتناول ماتشتهيه النفس أو كان لابأس به فانها تميل الى الموافقة لها ويتجنب ماتعافه النفس » وبانه ينبغي ان لايكثر من تعدد الوان الطعام في الوجبة الواحدة فيقول في صفحتي ٥٦ـ٥٧ عن احد علماء الطب قال « الا احذر(٨) من الالوان(٩) الكثيرة فان المعدة تتحير من الالوان المختلفة والقوة تعجز عن احالتها ولا تأكل الا وانت تشتهيه . وما يفسده الشبع يصلح(١٠) بمائة درهم ولاتاكل لحما(١١) حتى يتم نضجه ولا تبلعن(١٢) لقمة حتى يتم مضغها مضغا شديدا حتى لايكون على المعدة منها مؤونة ولاتاكل ماتعجز اسنانك عن مضغه فتعجز معدتك عن هضمه ولايتحرك قليلا » .

وقد افرد فصلا ناقش فيه رايا يقول بان الاكل الكثير يفسد المعدة ويطفيء نارها ويضعف الجسم ويرقه ويجلب الرياح في البطن ويصفر اللون ويضيق الانفاس ويبقى الطعام في قاع المعدة . وان من قلل الغذاء زاد نشاطه . وبانه يجب ان لاياكل الانسان الا بعد جوع ويقوم قبل الشبع ويحذر من شرب الماء اثناء الطعام والنوم بعد الاكل مباشرة فيقول في صفحتي ٥٧ـ٥٨ : « اعلم ان العشاء في الليل يضعف البصر ويضر في غير البصر الا من جمع في الاكل بالليل ثلاثة اشياء لم يضره . وهو ان يأكل على جوع ويخفف(١٢) من الاكل ويمشي عقب الاكل مشيا خفيفا احترازا من الحركة الشديدة فقد سبق أن الحركة بعد الطعام رديئة » ثم يذكر في فصل آخر كيف تعالج التخمة ان وقعت .

مما سبق يمكن أن نلخص وصاياه الصحية في الطعام على النحو التالي :

١ ــ ان لاياكل الانسان الا على جوع او اشتهاء .
٢ ــ ان لايكثر من الطعام .
٣ ــ اجتناب الحركة الشديدة بعد الطعام .
٤ ــ اجتناب النوم بعد الطعام .
٥ ــ عدم تناول الوان عديدة في وجبة واحدة .
٦ ــ عدم شرب الماء اثناء الاكل.
٧ ــ مضغ الطعام جيدا قبل بلعه.
٨ ــ عدم اكل الطعام النيء غير المطبوخ بشكل جيد .
٩ ــ عدم أكل الاشياء القاسية التي لاتتمكن الاسنان من سحقها ومضغها .
١٠ ــ اجتناب الطعام الذي تعافه النفس .
١١ ــ الحركة قبل الطعام جيدة .
١٢ ــ عدم ادخال طعام على طعام .

وسأذكر الان الوصايا الصحية حول نفس الموضوع في كتابين احدهما املية جامعية تدرس حاليا لطالبات التمريض سنة ثانية تحت عنوان « الصحة العامة والطب الوقائي » للدكتور احمد ديب دشاش والثاني كان يدرس قبل

بضع سنوات لطلاب كلية الطب — جامعة دمشق واسمه « فن الصحة والطب الوقائي » للدكتور احمد حمدي الخياط . الجزء الثاني — الصحة البدنية والاجتماعية .

ورد في الكتاب الاول اي الصحة العامة والطب الوقائي في الصفحة ٧ وتحت عنوان صحة المعدة ما يلي :

« يجب الا يجلس للطعام الا على جوع او اشتهاء . وان تمضغ اللقمة جيدا لان ذلك مما يسهل الهضم في المعدة ومن الواجب اجتناب كل ما من شانه ان يشوش الهضم او يربكه او يعيقه كتقريب اوقات الطعام بعضها من بعض او اخذ شيء من الطعام بفواصل اوقاته لان ادخال الطعام على الطعام ضار جدا . اذ ان ذلك يجعل المعدة تعبا وتضعف من استمرار العمل لانها تضطر لاستئنافه في كل مرة ، وهذا مما يوهنها عاجلا ويسبب زيادة الحموضة فيها وهو من اكبر الاسباب المؤدية الى سوء الهضم .

ويعيق الهضم او يربكه كذلك اتيان الاعمال المجهدة عقب الطعام مباشرة سواء أكانت بدنية ام عضلية او عقلية ، حتى ولو بعده بقليل . ويعيقه ايضا الضغط على الشرسوف بنطاق شديد او بشدة . وكذا النوم بعد الطعام وان كان ذلك لايؤثر في جميع الاشخاص على السواء لان النوم يوجب البطء في جميع الاعمال والوظائف الحيوية في البدن والهضم من جملتها .

والافضل الا يفرط الآكل في تناول الاشربة مطلقا اثناء الطعام لانها توسع المعدة وتخفف اي توقف حموضتها ولاباس في تناول مقدار معتدل من الماء ، وهو الافضل او سائر الاشربة المرخص بها اي نحو (٣٠٠—٦٠٠) مل بحسب الطعام » .

اما الدكتور حمدي الخياط فقد ذكر في كتابه « فن الصحة والطب الوقائي » الجزء الثاني — تحت عنوان صحة المعدة — في الصفحات ١٠٤ — ١٠٥ — ١٠٦ — ١٠٧ — ١٠٨ ويمكن ذكرها باختصار :

١ — عدم الجلوس الى الطعام الا بعد جوع او اشتهاء .

٢ — مما يعوق الهضم الاشغال الفكرية او القراءة اثناء تناول الطعام .

٣ — يجب اجتناب كل ما من شأنه ان يشوش الهضم او يربكه او يعوقه كتقريب اوقات الطعام بعضها من بعض او اخذ شيء من الطعام بفواصل اوقاتــه .

٤ — مما يربك الهضم او يعوقه القيام بالاعمال المجهدة عقب الطعام مباشرة سواء اكانت بدنية ام عقلية وكذلك الضغط على الشرسوف بنطاق شديد او بمشد وكذلك النوم عقب الطعام.

٥ — يجب عدم الافراط بتناول الاشربة اثناء الطعام لانها توسع المعدة وتخفف من حموضتها.

وبالمقارنة نلاحظ ان الوصايا الصحية الخاصة بالاكل هي نفسها عند ابن الازرق وما اختلف فقط هو بعض التفسيرات الطبية حول عملية الهضــم .

اما في باب تدبير الاهوية ، يقول ابن الازرق في الصفحة ٧٤ : « اعلم ان الجسم لايخلو من ملاقاة الهواء خصوصا الروح لان الروح والسمع والبصر لاعمل لهن الا باتصالهن بالهواء خصوصا الروح لاقيام لها في البدن الا باستنشاق الهواء الذي قدر الله فيه حياتها فهو مادتها وغذاؤها كما ان الطعام غذاء الاجسام » . ثم يبين اي نوع من الهواء هو الاصح ، ذاكرا : الشرقي وهو ريح الصبا والجنوبي والشمالي والدبور والريح الغربية . فيقول بان افضلها ريح الصبا . اما البقية فما اعتدل منهن من كثرة الحر والبرد والقوة فهو صالح : « لاخير في الريح العظيمة العواصف والدخان المتعكر والروائح المنتنة وما خرج من حد الاعتدال الحر او البرد » ص٧٤ .

يبين ابن الازرق في ذلك الباب **اهمية الهواء**

لحياة الانسان★ وان الهواء الفاسد بالدخان او الروائح المنتنة لاخير فيه ، وكذلك الرياح الشديدة ضارة وايضا الرياح الباردة والحارة . وهذه اقوال العلماء في العصور الحديثة . فالهواء ضروري لعملية التنفس يدخل الرئة اثناء الشهيق محملا بالاوكسجين فيأخذ الجسم مايحتاجه منه ويطرح غاز الفحم الناجم عن الاحتراقات الخلوية لينطلق مع هواء الزفير الى خارج الرئة . والهواء الفاسد لوجود الدخان اي ان نسبة الاوكسجين قليلة فيه بينما توجد فيه غازات غير موجودة اصلا بتركيب الهواء كـ (CO) ، وزيادة نسبة غازات موجودة في الهواء (CO_2) وغيرها من الغازات السامة فلا يستطيع الجسم ان يأخذ كفايته من الاوكسجين الضروري للحياة ، عدا عن ان الغازات السامة تسبب تسممات في الجسم لذلك فعلا: لاخير في الهواء الفاسد لوجود الدخان. بينما الهواء ذو الروائح المنتنة تكون فيه غازات ناجمة عن عملية التخمر كالنشادر مثلا وهو غير موجود اصلا في تركيب الهواء ووجوده يسبب اضرارا جسمية مختلفة .

أما الرياح الباردة فهي تسبب برودة الاجسام ومنه نقص مقاومة الجسم للامراض . بينما الرياح الحارة تسبب ارتفاع حرارة الجو وذلك يساعد على تكاثر الحشرات والجراثيم وعلى حدوث مايسمى بضربة الشمس .

أما الرياح القوية فهي تسبب اثارة الغبار اولا عدا اقتلاع الاشجار وتهديم المنازل ولذلك فهي مضرة بالانسان .

كما تناول ابن الازرق في ذلك القسم تدبير العوارض النفسية فيقول في الصفحة ٧٥ :

« اعلم ان آفة القلب الهم والغم ، وراحته الفرح والسرور . فأما الهم فهو ظهور الحرارة الغريزية الى داخل الجوف وظهور طبيعة السوداء وربما مات بعض الناس عند ذلك فاذا كثر الهم والغم نحل الجسم لاختلافهم عليه » ويقول في نفس الصفحة « وينبغي للانسان ان لايهتم الا بما يسهل ولايسر بما يحصل له ايضا ثم اذا حصل الغرض المذكور فلا يفرح الا فرحا معتدلا ولايفرط فقد يقتل الفرح المفرط لشدته . ومن العوارض النفسانية شدة الغيظ والغضب وهي من الشيطان» ويذكر من العوارض النفسانية الفكر ويعزو اعظم اسبابه الى الفراغ فيقول في الصفحة ٧٦ «فالمتفرغ يتفكر ويكون فكره على قدر همه فان كان عالي الهمة فيفكر في الاشياء الغامضة البعيدة ونيل المرادات المتناهية فان لم يقدر على بلوغها يحدث الهم والغم فينبغي للانسان ان يصرف عن نفسه الفكر فيما لايقدر عليه ويتشاغل بالاشياء الشاغلة كالصيد وما يلهي » .

وقد اثبت العلم الحديث العلاقة الوثيقة بين الهم والغم والحزن والغضب والفكر وبين بعض التظاهرات المرضية ، ولهذا نشأ « الطب النفساني » .

اما العاشر في تدبير اعضاء البدن الصحيح فيقول ابن الازرق فيه صفحة ٧٦ : « اعلم ان البدن لايستقيم على حالة واحدة ولكن تعترضه (١٤) اشياء ضرورية فينبغي تدبيرها وتعاهدها منها تدبير جملته وتعاهدها من الوسخ والادران في الاسبوع مرة » وهذه دعوة الى النظافة ومافيها من فائدة جسمية وصحية .

ثم يذكر فصلا في « حفظ البدن وذلك باتقاء الحر والبرد الشديد وان يختار الهواء الصالح والغذاء الجيد واخراج الفضلات بمقدار ويتناول الغذاء المعتدل الموافق له والرياضة المعتدلة وهي الحركة والنوم المعتدل والسهر المعتدل » ص٧٦ـ

★ أرجو الانتباه الى أن ابن الازرق هو أول صدى ينعكس في تاريخ العلم لنظرية الاحتراق التي اكتشفها ابو محمد الحسن الهمداني . وهي نظرية كانت تنسب خطا الى كل من روبرت بويل (ت١٦٩١)م وجون مايو (ت: ١٦٧٩) م — واول من اثبت موقع نظرية الهمداني من تاريخ العلم : محمود الصفيري ، انظر الصفحة ١٢ ، جريدة تشرين : « الهمداني اولا ثم بويل » ، تاريخ ٦—١١—١٩٧٩ ، «ونظرية الهمداني في الاحتراق » بتاريخ ٧—١١—١٩٧٩ اذ يؤكد على اننا لانجد في أوربا من يربط بين (الهواء والتنفس) قبل القرن السابع عشر الميلادي . ومعلوم ان الهمداني ولد في ٢٨٠هـ/ ٨٩٣ م .

٧٧ ثم يتناول في ذلك الفصل صحة العين فيقول ص ٧٦ : « اعلم ان العين تضر باشياء وتنتفع باشياء فأما الذي تضرر به فالغبار والدخان والاهوية الخارجة من الاعتدال في الحر والبرد معا والرياح المعجمة المسمومة والبارد يضرها وكذلك التحديق الى الشيء الواحد والنظر الدقيق» كما يذكر ان من الاشياء التي تضر العين تناول بعض الاطعمة والاغذية الغليظة وكذلك « السكر الدائم والجماع والافراط من النوم والسهر والنظر الى المصيبات » ص٧٧ . وكذلك « النظر الى عين الشمس والى ضوء قاهر وكثرة البكاء والنشيج » ص٧٧ .

اما الاشياء النافعة للعين فيقول ص ٧٧ : « اعلم ومما يجلو البصر ويحده(١٥) الغواص في الماء البارد وفتح العين داخله » . ويذكر ايضا في نفس الصفحة مما ينفع العين: « ضوءا كثيرا وشرب الماء الصافي وشم الطيب والنظر الى الخضرة والنظر الى الوجه الحسن وسماع الكلام الطيب » .

هذا ماذكره ابن الازرق في صحة العين ، اما ماجاء في الاملية الجامعية المذكورة سابقا ص١٤ تحت عنوان : صحة العين والبصر فهو مايلي : « يبدا لزوم العناية بهذا العضو الهام منذ الولادة بتقطير شيء من محاليل الصادات او نترات الفضة او عصارة الليمون في العينين لحمايتها من شر الرمد . . . الخ . ويلزم الاحتراس بعد ذلك من وصول شيء من مياه المغاطس القذرة التي ينظف فيها الطفل عادة ، لما يمكن ان يكون فيها من الاقذار والصابون . وينبغي المثابرة على نظافة هذا العضو الهام خارجا وكذلك وقاية العين من النور او الضياء الشديدين لما في ذلك من اتعاب البصر » . ثم يتعرض الى التصورات البصرية ووجوب معالجتها باكرا وان كثرة السهر ولاسيما في الاماكن المزدحمة المفعمة بالسموم ودخان التبغ وغيرها من المواد المخرشة تضر بالعين وبأنه ينبغي عدم اتعاب العين بالانكباب على عمل دقيق في مكان قليل النور والقراءة في مكان غير ثابت وكذا القراءة في الشمس لانها مما يبهر النظر . ويجب تربية النظر لان هذه التربية تسهل ادراك الصور وتحد النظر اي تزيد في دقة البصر .

اما الدكتور حمدي الخياط نجاء في كتابه « فن الصحة والطب الوقائي » الجزء الثاني تحت عنوان صحة العين والبصر ص ١٦٧ — ١٦٨ — ١٦٩ — ١٧٠ مايلي ، وسأذكره باختصار :

١ — يجب الاهتمام بالعين منذ الولادة بتقطير شيء من الصادات او نترات الفضة أو عصارة الليمون عقب الولادة لحمايتها من الجراثيم .

٢ — الانتباه من دخول مياه المغاطس الوسخة الى عين الوليد .

٣ — الاهتمام بنظافة العين .

٤ — وقاية العينين من النور والضياء الشديدين .

٥ — اصلاح الاضطرابات البصرية واختلال المطابقة .

٦ — حمايتها من السهر والدخان المخرش .

٧ — عدم اتعاب العين بالعمل الدقيق او القراءة بمكان غير ثابت وكذلك العمل الدقيق بنور ضئيل او القراءة بالشمس لانهاتبهر البصر.

٨ — من الواجب تربية النظر لانها تسهل ادراك الصور وتحد النظر اي تزيد في دقةالبصر.

وبالمقارنة **نجد ان الوصايا الصحية حول العين هي نفسها تقريبا عند ابن الازرق :كنظافة العين وعدم تعريضها الى السهر الطويل والنور الباهر وعدم العملبالاشياء الدقيقة وعدمتعريضها الى الدخان والغبار وعدم العمل في النورالضئيل ثم حول ((تربية البصر)) .**

وفي فصل تدبير الآذان نلاحظ وصايا صحية للاذن اضافة الى وصايا صحية للفم فيذكر ابن للفم فيذكر ابن الازرق في الصفحة ٧٨:« ينبغي ان يتعاهدها بالتنقية من الوسخ وتوقي الحر والبرد والماء ويقطر فيها دهن البنفسج في كل اسبوع مرة فانه عجيب ومما يضر بالاذان وسائر الحواس التخمة والنوم على الامتلاء والاصوات

الشديدة تؤلم السمع ومن الحركة الهوائية يلقى الصماخ[١١] .

وفي املية الدكتور دشاش ص ١٣-١٤ ، تحت عنوان : صحة الاذن والسمع ورد مايلي : وسأذكره باختصار :

١ - الاهتمام بنظافة الاذن ، الصيوان ، ومجرى السمع الظاهر .

٢ - الحذر من دخول الماء القذر والصابون الى هذا المجرى .

٣ - حفظ الاذن الوسطى من وصول بعض الالتهابات المجاورة والسعي الى وقاية تلك الاعضاء .

٤ - الحذر من تقبيل الوليد في اذنه او لطمه عليها او الصراخ الشديد بالقرب منه .

٥ - الانتباه الى النوامي او الزوائد الشبيهة بالغدد .

٦ - حمايتها من بعض العادات الضارة كالتدخين او استعمال الغول لانها تضر بالحلق والحنجرة وكل التهاب في جوار الاذن خطر عليها.

٧ - حمايتها من الغبار الكثير والضغط الشديد كما في الاسفار .

٨ - الاحتراس من سماع الاصوات الحادة.

اما ماجاء في كتاب الدكتور خياط فن الصحة والطب الوقائي ص ١٦٣-١٦٤-١٦٥ تحت عنوان صحة الاذن والسمع فهو نفس ماجاء في الاملية المذكورة سابقا .

نجد ان ابن الازرق ذكر بعض الوصايا التي مازالت تدرس حتى الان . كالعناية بنظافة الاذن وحمايتها من دخول الماء وحمايتها من الاصوات العالية .

اما بالنسبة **لصحة الفم** فيذكر ابن الازرق بانه يجب العناية بنظافة الفم والاسنان وذلك باستخدام السواك وبغسل الفم بالماء البارد صيفا وبالماء الحار شتاء ويذكر في ص ٧٨ :

« وينبغي ان يتماهد السواك عند الانتباه من النوم وعند طهور الصلوات الخمس وعند تغير الفم من رائحة كريهة » . ويقول في ص٧٩: « يسن التخلل بعد الفراغ من الطعام وبعد السواك والخلال يراد به استخراج مايحصل بين الاسنان واللثة ويجب ان لا يبالغ في الخلال خوفا من القروح ويجب ان لايستعمل اللسان للخلال» كما يوصي ابن الازرق بغسل اليد والمضمضة بعد الطعام وبأن « بركة الطعام الوضوء قبله وبعده » ص ٧٩ واراد بالوضوء هنا غسل اليدين . وهذا بعض من الوصايا الصحية التي يطالعها الباحث في الطب ، او الباحث عن الصحة في كل عصر : غسل اليدين قبل الطعام وبعده ، والاعتناء بنظافة الاسنان باستعمال الفرشاة والمعجون او السواك وتنظيف الاسنان صباحا بعد الاستيقاظ وقبل النوم . خلخلة الاسنان باعواد خاصة وعدم استخدام المواد القاسية بالخلخلة ، مداراة الاسنان بعدم كسر الاشياء الصلبة بها وعدم شرب الاشربة الساخنة بعد الماء البارد . وغسل الاسنان جيدا بعد المآكل الحلوة . ومعالجة الاسنان عند التعرض لاي نخر او آفة سنية والاهتمام بالاسنان اثناء الحمل والارضاع ومايدخل في الوصايا الصحية الخاصة بالفم .

ثم يتناول ابن الازرق النظافة العامة فيبتدىء بانه من النظافة غسل الثياب ولبس الثوب النظيف وازالة مايجتمع من الوسخ من معاطف الاذان وصماخها وفي الانف والاظفار وسائر البدن وكتب عن النبي صلعم انه قال ص ٧٩ :«المشط يذهب بالغم والوباء والفقر » و في نفس الصفحة نقل ابن الازرق عن علماء الطب الحافظ : « من غسل راسه كل جمعة أمن انتصاره والمشط يخرج البخارات من الراس ويزيد في الحفظ ». ونقل عن المقري في نفس الصفحة : « اقل ذلك في الشهر مرتين ويستحب قص الشارب » ويجب تقليم الاظافر الذي يمنع من تجمع الاوساخ كما يجب تقليم اظافر القدمين وذكر قول احد العلماء في الصفحة ٨٠ : « يلحق بالتنظيف قص ما طال من شعر الانف واظفاره بعد ازالتها ونحوها وكذا دم الفصد والحجامة » . كما نجد في هذا

الفصل من حصر البول والغائط فكتب ابن الازرق عن المقري انه قال ص ٨٠ :« اذا حضر البول والغائط فاحذر كل الحذر من امساكهما ولو على ظهر دابة(١٧) فانهما اذا تحبسا كان مثلهما كالنهر الجاري اذا استد مجراه فانه يختلف فاحواليه من العمران والبنيان لكثرة الرطوبة المحتقنة فان البول والغائط اذا احتبسا(١٨) ولم يخرجا سريعا اتلفا الاعضاء وافسد جميع البدن».

ثم نجده يتناول فصلا حول عدم اطالة القعود في الشمس لانه ضار يخرج الداء من الجوف ويسبب الصداع ، وفصلا اخر حول تخضيب الراس واللحية واليدين والرجلين بالحناء ، ثم فصلا في (صحة الملابس) فياخذ كل نوع منه ويعدد منافعه ومساوئه فيقول في الكتان ص٨٣: (بارد ويابس وقيل معتدل وينبغي لبسه من(١٩) سن الطفولة الى سن الكهولة لان لبسه نافع من امراض كثيرة ومن منافعه ان يرطب الاعضاء ويعد لحرارة البدن وينعم الجلد وينشف القروح والعروق ويأكل العفونة وينبت اللحم ويصلح المزاج الحار للثياب في الصيف وكل الثياب اذا القيت على البدن اكتسبت حرارة من البدن الا الكتان فانه يبرد اولا ثم يكسبه حرارة خفيفة وهو افضل من القطن » . اما في القطن فقال ص٨٤: « معتدل الحرارة واليبس وكلما لانت كانت حرارتها معتدلة وينعم البدن اكثر » . اما عن الحرير فنجده يقول في نفس الصفحة :« معتدل يسخن البدن » كما تكلم عن الصوف والشعر .

ثم افرد بابا خاصا في وصايا الحكماء اورد فيه اغلب الوصايا الصحية التي ذكرتها بالتفصيل في الصفحات السابقة . وساورد بعضا من وصايا الحكماء . قالوا ص ٨٤ : « خمسة اشياء تهدم البدن : الهم والحزن والاكثار من الجماع والسهر ومواصلة الصوم . وقالوا : اربعة اشياء تفرح القلب النظر الى الخضرة والنبات والزرقة الصاحية والقعود على ماء جار . واربعة اشياء يظلم لها البصر المشي حافيا والنظر الى وجه العدو والبكاء الكثير والنظر الى الاشياء الدقيقة».

وقالوا ايضا ص ٨٥ : « دخول الحمام على الامتلاء يولد القولنج . ومن اكثر شرب الماء بعد الاكل ضعفت معدته او اورثه التخمة » . وقالوا ص ٨٦ : « احفظ نفسك من اربعة اشياء فانها مضرة بالانسان : اولها النوم الكثير الثاني الاكل الكثير الثالث الجماع الكثير الرابع حقن البول او الغائط » . وقيل ايضا : ص٨٦ « اذا تعشيت فامش على عشائك قبل ان تنام ولو مائة خطوة».

كما يضم هذا القسم بعض العلاجات فافرد فصولا عن « الادوية المقوية للمعدة » و «الادوية الهاضمة وفي اضعاف الهضم » و « الادوية المشهية للطعام » واخيرا « فيما يقطع شهوة الطين» و « الادوية المولدة لرياح المعدة ونفخها ..»و « ادوية اورام المعدة » .. وفي ذلك تدخل ابواب « القولنج » «والفهاق» و «وجع السرة » و « الطحال » و « وجع الظهر » و « الفتق والخرق » .

★

ويكشف لنا هذا الاستعراض ، لكل ماجاء في هذا الكتاب الطبي الشعبي الهام ، عن احاطة صاحبه بكتب ونظريات وخبرات أجيال من العلماء والمتمرسين . كما ان هذا الكتاب صورة صادقة لما بلغ اليمن من نظريات بعضها عربي وآخر يوناني ، ولهذا فان دراسته بعد تحقيقه تحقيقا علميا دقيقا تفيد الباحثين ، ومؤرخي الطب بشكل خاص ، ورغم ان المعلومات غير اليمنية ليست موثقة بشكل كاف في الكتاب الا انه ينقل الينا نصوصا واخبارا ووصايا ذكرها عدد من اطباء اليمن في العصر الوسيط .

وباعتقادنا لايمكن تقييم وتقويم النظريات في هذا الكتاب قبل تحقيقه .

وبشكل عام نقول : اذا لم يكن ابن الازرق قد اضاف جديدا الى تاريخ الطب ، فانه بكتابه يبرهن على ان اليمن قدمت وثيقة هامة لتاريخ الطب العربي واتجاهاته ، خاصة وان معظم المعلومات الموجودة في الكتاب مستقاة من كتابين هما : « شفاء الاجسام » للكمراني «والرحمة»

.. للصنبري ، وقد صرح بذلك ابن الازرق في الصفحة الثالثة من مقدمة كتابه . كما انه في تبويبه لتسهيل المنافع اعتمد على تقسيم وتبويب «الرحمة» ، فهو يقول في الصفحة الثالثة: اعلم اني اقدم في الترتيب كلام صاحب كتاب الرحمة لانه يذكر العلة وصفتها وسببها .. » . فصاحب « الرحمة » — برايه — « احسن في الاختصار والتقريب الا انه لاجل الاختصار قد لايتعرض لبعض العلل والامراض . « ثم يقول براي هام عن الكمراني : « واما شيخنا فانه كثيرا مايذكر من الادوية التي لاتوجد في بلادنا».

وفي موضع اخر يشير الى انه « اعتمد على اللقط لابن الجوزي ، وكتاب برء الساعة للامام الرازي ، ومجموع — (او تذكرة) — السويدي، ورسالة الحكيم المارديني ، وكامل الصناعة الطبية » . ولدقته نجده يقول : « وحيث اقول قال المقري او الحكيم المقري يعني صاحب الرحمة. وحيث اقول قال شيخنا او قال في شفاء الاجسام فمرادي بذلك الفقيه الكمراني » ص ٣ .

وكما يلاحظ ان ابن الازرق واضح المنهج ، وثيق الصلة بالمصادر اليمنية التي مازال عدد غير قليل من الباحثين في العالم يجهلونها جهلا كبيرا. ولكل الاسباب السابقة نامل تحقيق « تسهيل المنافع .. » ، فلعلنا نساهم في اضاءة جزء رئيسي وهام من حضارة العرب وتفوقهم العلمية في العصر الوسيط . فلقد احيطت علوم المشرق والمغرب برعاية كافية .. والامل في الباحثين ان يحققوا شيئا من الرعاية العلمية لجنوب العرب : اليمن .

١ — هناك نسخة اخرى مطبوعة من هذا الكتاب ، طبع عليها : الطبعة الاخيرة ١٣٦٧هـ/١٩٤٨ ، طبع الحلبي واولاده. بمصر . والاخطاء المطبعية في هذه النسخة لم تصحح في طبعة بيروت .

٢ — لم يذكر الاستاذ عبد الله الحبشي « انه ابن عبد الرحمن» بل اورد « انه ابن ابي بكر » — الصفحة ٩٦) — مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن — مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء ، بلا تاريخ ، والاغلب انه مطبوع في ١٩٧٨ م .

٣ — الطبعة الرابعة .

٤ — مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن ، الصفحة٩٥)

٥ — المجلد السابع — صفحة ٣١٢ ، b ٤ . ومصادر اليمن للحبشي صفحة ٩٥) .

٦ — وردت خطا: الا والاصح: الى .

٧ — تمرط اي لاشعر فيه .

٨ — وردت كتابتها في النص : الاحذر والاصح : الا احذر.

٩ — وردت بالنص الوان والاصح الالوان لان الصفةبعدها معرفة وهي الكثيرة وان كانت الوان فيجب ان تكون الصفة كثيرة فقط بدون الالف واللام .

١٠ — وردت : ويصلح.

١١ — وردت ياكل ولكنها معطوفة على لاتاكل الا وانت تشتهيه .

١٢ — وردت بالنص يبلغن والاصح يبلعن وبما انها معطوفة ايضا على ماسبق فتصبح تبلعن .

١٣ — وردت يخف والاصح يخفف .

١٤ — وردت تعرضه والاصح تعترضه .

١٥ — وردت : يجده .

١٦ — يلقى الصماخ ويقصد به انثقاب غشاء الطبل او مايسميه ابن الازرق بخرق الاذن .

١٧ — وردت : دبة .

١٨ — وردت : اتحبسا .

١٩ — وردت : في .

٢٠ — وردت : الطفولية ، والافضل : الطفولة .

حول: تطوّر الكشف عن الحضارة اليمنيّة

أحمد غسان سبانو

كانت اليمن منذ القديم مقرا للحضارات الاولى وكانت مصدر هجرات الساميين الى الشمال والى الغرب ، فيعتقد ان من اليمن هاجر الفراعنة ثم الهكسوس . ومن اليمن هاجر الساميون الأول الى بلاد الرافدين ولسوريا ومن اليمن هاجر (الفينيقيون) والكنعانيون ، وآخر هجرات اليمن كانت هجرة الانباط . وهناك هجرات يمنية احدث الى اسبانيا مع الجيش العربي الفاتح . **ولعل أحدث هجرة يمنية هي هجرة بعض سكان اليمن الى دمشق حيث اقاموا بضاحية منها أطلقوا عليها اسم « صنعاء الشام » وهي في موقع النيربين الآن وقرب موقع مستشفى المواساة الحالي تقريبا .**

الا أن داخل اليمن كان دائما في عزلة تامة فلم يستطع الغزاة دخولها على مر العصور .

أما الغربيون فقد كانوا في جهل مطبق للجزيرة العربية عموما واليمن بشكل خاص وكانت معلوماتهم الجغرافية عن المنطقة خاطئة تماما . فقد كان الظن ان اليمن تمتد اراضيها بشكل ملاصق الى الهند اذ لم يكونوا على معرفة بالخليج العربي . وكذلك كان الاعتقاد لديهم بأن جثمان النبي محمد صلى الله عليه وسلم معلق في الفضاء في البيت الحرام بمكة .

أما المعلومات التي كان يستقي منها الاوربيون معلوماتهم عن اليمن والجزيرة العربية فهي من التوراة التي ذكرت ملكة سبأ وزيارتها لسليمان عليه السلام . وكذلك من الاحباش الذين ذكروا مملكة سبأ أيضا ومن كتب الاغريق فلقد ذكر هيرودوت اليمن في القرن الخامس قبل الميلاد وذلك نقلا عن المعلومات التي أستقاها من مصر .

وكذلك ذكرها « ثيوفراست » تلميذ أرسطو وتحدث عن منتجاتها الزراعية وتحدث أيضا عن مملكة سبأ .

وذكرها المؤرخ اليوناني « ديودور » في القرن الاول وتحدث عن سبأ أيضا وتجارتها

ومنتجاتها وعن العاصمة والملوك .

وكذلك فعل سترابون . ووصف حملة القائد الروماني آتيليوس غالوس عام ٢٤ ميلادية على اليمن بأمر من الامبراطور أوغوست . وهي حملة ضخمة تمكنت القبائل اليمنية من تمزيقها .

ووصف جغرافية شبه الجزيرة العربية واليمن « يراتوستين » .

وقد خبر العرب طرق التجارة والابحار من البحر الاحمر الى الهند وعرفوا مواقع الصخور المرجانية الخطرة ودورات الرياح الدورية وأوقاتها . بينما تأخرت امكانية القيام بهذه الرحلات بالنسبة للاغريق حتى القرن الثاني قبل الميلاد بفضل هيبالوس .

وأورد المؤرخ الروماني (بلين) معلومات عن أسماء القبائل داخل البلاد واسماء القرى .

كذلك جاء في كتاب « دورة حول بحر أريتريا » لمؤلف مجهول اسماء الطرق التي تربط سبأ بالبتراء وسبأ بعمان وحضرموت .

وأخيرا فان (بطليموس) أورد في كتابه أطلسا حقيقيا للمنطقة وضمّن كتابه أدق المعلومات التي استطاع الحصول عليها حتى أيامه .

ونتيجة قيام الدول العربية الاسلامية واستلامها التجارة البرية والبحرية ووقوفها سدا منيعا امام الاوربيين انقطعت الصلة مدة عشرة قرون . وبقيت الاسرار اليمنية لغز الالغاز حتى عصر النهضة فيما خلا بعض الحالات النادرة .

منها أن (رينولودي شايتون) حاكم الكرك التي كانت تابعة لمملكة القدس أيام حكم (بودوان دي انجو الرابع) عام ١١٨١ م وقد طمع في الكنوز التي سمع انها في المدينة قام بالتوجه الى هناك لكنه لم يستطع ذلك الا انه هاجم قافلة حجاج سلبها كل ماتملك . ودخل البحر الاحمر بخمس سفن فلسطينية ، وأخذ يهدد المنطقة ويلقي الذعر فيها .

الا ان صلاح الدين الايوبي هاجمه بسفن من مصر حملها للبحر الاحمر واستطاع تدمير السفن الصليبية وتابع الجنود المتوجهين للمدينة وهاجمهم . وكان عددهم ثلاثمائة وبعد المعركة بقي منهم مائة وسبعون ، فأسرهم وأعدم بعضهم في مكة والمدينة واقتيد الباقون اسرى الى مصر وحزت أعناقهم فيما بعد .

وفي اطار البحث عن التوابل والحرير وسائر المنتجات الهندية والعربية . وفي اطار البحث عن طريق جديد للهند عن طريق افريقيا ، كانت المراحل الاساسية لبدء حملات الغربيين للكشف عن الحضارة اليمنية . فقد كان اطار البحث عن الحضارة اليمنية محصلة لمهمة اساسية هي الكشف عن طريق جديدة للهند .

ففي عام ١٤٧٨ م أرسل الملك (جان) عاهل البرتغال (بورودي كوفيلها) الذي كان يتكلم اللغة العربية للتحقق عن امكانية الذهاب الى الهند مرورا بالبحر الاحمر . وقد رافق قافلة مغربية متوجهة من القاهرة الى شبه الجزيرة ثم أبحر الى عدن ومنها الى الهند وعاد الى القاهرة .

وادعى أيضا « ارنولد فون هارف » انه

وصل الى عدن من سيناء بعد ان اجتاز شبه الجزيرة العربية ولكن بالتحقيق تبين عدم صدق روايته ٠

غير أن أول من زار المنطقة بشكل محقق وصحيح هو « لودفيكو دي فارتيما » ، اذ أعطى السبب لرحلته في مذكراته قائلا : « ان الرغبة التي أهابت بالكثيرين الى رؤية الممالك الدنيوية ، هي التي يبدو انها قد دفعتني الى العمل نفسه٠

وبما ان الممالك والمقاطعات الاخرى كلها قد أعلن عنها الكثيرون ، عقدت العزم على رؤية المقاطعات والممالك التي لم يقم أجدادنا بزيارتها الا فيما ندر ٠ واتكالا على معونة الله أبحرنا من البندقية عند هبوب رياح ملائمة » ٠

وقد ابتدأ فارتيما رحلته عام ١٥٠٣م وهو من اصل غير معروف تماما ٠ فالبعض لقبه بالبولوني استنادا لمذكراته وبعض آخر لقبه بالروماني ٠٠ فبلغ القاهرة ثم بيروت فطرابلس وحلب وأخيرا دمشق حيث أقام مدة لتعلم العربية وقد رافق ضابطا من المماليك في مهمته لحراسة قافلة من الحجاج توجهت من دمشق عبر حوران ثم وصف يهود خيبر ثم وصل الى المدينة ثم وصف مكة ومناسك الحج وشبه المسجد بمدرج الكوليزيه في روما ٠

وقد استطاع الافلات من قافلته وهي تهم بالعودة الى دمشق ثم توجه مع قافلة الى جدة وركب في سفينة متجهة الى بلاد فارس ثم وصل الى عدن واصفا رحلته البحرية ومناطق نزوله للبر ٠ الا أنه في عدن ألقي القبض عليه وسجن ثمانية أشهر ، كاد ان يفقد حياته خلالها ٠ وبعد اخلاء سبيله سافر الى صنعاء ثم عاد جنوبا الى ظفار وتعز ثم زبيد ٠ ثم عاد الى عدن ومنها الى بلاد فارس ثم الى الهند «كلكوتا»٠وقد علم أن البرتغاليين قد وصلوا الى الهند وذلك ضمن رحلة فاسكو دي غاما التي عبرت سواحل جنوبي شبه الجزيرة العربية عام ١٤٩٨م ٠

وقد لحق بهم الى كانوفور حيث يشيدون قلعة هناك وذلك في ١٥٠٥/١٢/٣ م وحذر نائب ملك البرتغال من نية الهنود في حربهم وحذر من ان الهنود قد تسلحوا بالمدافع التي صنعها لهم جنديان برتغاليان هاربان ٠ ثم اشترك في المعارك التي نشبت بعد ذلك وانعم عليه ملك البرتغال برتبة فارس عام ١٥٠٨ م بعد ان عاد الى لشبونة ٠ وبعد ذلك توجه الى روما ٠

ولاتعرف خاتمة حياته ولكن كتابه عن رحلته لقي قبولا واسعا ٠ واثر اكتشاف طريق الهند وبدء تركيز البرتغاليين لقواهم في كالكوتا كان مخطط البرتغاليين تحويل طريق التجارة اليهم وذلك عن طريق رأس الرجاء الصالح وهذا يقتضي سد مداخل الخليج العربي والبحر الاحمر لذلك قام البرتغاليون بتشييد حصن لهم في (هرمز) وآخر في البحرين ثم في عمان وحاول « الفونسو دي البوكرك » عام ١٥١٣ احتلال عدن ولكنه فشل في ذلك٠

واثر ذلك قام الاتراك بتوجيه حملتين أسفرتا عن احتلال اليمن ٠ لكن الاتراك اثناء الحملتين استعانوا ببعض الايطاليين « البنادقة » اذ أسروا في ميناء الاسكندرية بحارة سفينة بندقية وأخذوهم معهم كفنيين

ملاحين . وقد قام احد هؤلاء البحارة بنشر قصة دخول اليمن ووصف طرقها البرية والبحرية وذلك عام ١٥٤٠ م .

وقد قام حاكم الهند البرتغالي « الدون استيفاو دي غاما » برحلة عام ١٥٤١ م اصطحب فيها « الدون جوان دي كاسترو » ووضع كتابا باسم « رونيزو » وصف فيه البحر الاحمر وموانئه وذلك بطرق علمية جديدة ونشر عام ١٦٢٥ م .

وفي عام ١٥١٧م قام « روي غوتسلافزدي كاميرا » بزيارة الى المخا عن طريق البحر .

ثم قام (الاب مونغرات) و (الاب باتز) برحلة وأبحرا سنة ١٥٨٩ باتجاه الحبشة ليستلما بعثة تبشيرية هناك لكن سفينتهما غرقت عند جزيرة كوريا موريا ، فأسرهما العرب واتهما بالتجسس لصالح الحبشة ، واقتيدا الى سلطان حضرموت وعبرا الى منطقة تدعى بلقيس حيث شاهدا اطلال معبد بلقيس ثم تابعا الى صنعاء حيث بقيا هناك خمس سنوات ونصف معستةوعشرين أسيرا برتغاليا . وأخيرا تم اقتيادهما الى المخا . وقد « كانا أول من أشار الى البن ».

وهناك قصة أسير آخر هو « مانوئيل دي آلميدا » سنة ١٦٣٣ حيث أسر وسيق من عدن الى لحج .

الا أن قصة « غريغور يود اكوادرا » الذي قذفت الرياح بسفينته الى زيلع عام ١٥٠٩ حيث وقع مع رفاقه في الاسر . وارسل الى زبيد هدية لملك عدن وتعلم هناك العربية ثم توجه الى لحج بعد أن أطلق سراحه عام ١٥١٦ ، ثم توجه الى العراق (البصرة) ، وبعد ذلك الى الهند فالبرتغال حيث وصلها عام ١٥٢٠ م .

وفي عام ١٥٩٥ م اجتازت اول سفينة هولندية رأس الرجاء الصالح.

وفي عام ١٦٠٢ تأسست الشركة الهولندية للهند الشرقية وكانت أول سفينة أرسلت الى بلاد العرب عام ١٦١٤ م .

وقام الانكليز بتأسيس الشركةالانكليزية للهند الشرقية وأرسلوا سفينتين لعدن عام ١٦٠٩ م هما (الصعود) و (الرجاءالصالح) .. وقد وصف الوكيل التجاري للسفينتين « جون جورداين » مدينة عدن . ووصف ميناءي المخا وجدة.وكذلك سافر الى صنعاء وفي طريقه اكتشف زراعة البن وعرف أنها سلعة تجارية عظيمة كانت ترسل الى تركيا والهند والمدينة والقاهرة . وبعد وصوله لصنعاء عاد عن طريق « تعز » الى المخا .

ثم تتالت الزيارات الاوربية الاولية .وقد أصدر الاتراك أمرا بالقبض على أي أوربي يأتي عن طريق البحار ، فكان أن ألقي القبض على الانكليزي « هنري ميدلتن » فور وصوله الى عدن ، واقتيد الى صنعاء مع أربعة وثلاثين من بحارته وأخلي سبيلهم ثم عاد من صنعاء عن طريق ذمار وتعز والمخا . ثم غادر المخا الى سفينة خفية وقذف المدينة بالمدافع! ثم جاء « بيتر فان دون بروكه » الى عدن وقام بزيارة ودية وكان اول أوربي يتعرض للعواصف الرملية. ثم قام برحلة ثانية وعقد فيها مع حاكم المخا صفقات تجارية وأورد الكثير من تجارة تلك الايام وعن البن وشرابه الاسود !

ثم استدعاه الباشا الى صنعاء برفقة

حراسه واستقبله هناك استقبالا مثيرا ، وبقي مدة أرسل بعدها فان دون بروكه الى شبه الجزيرة العربية وزار المخا ولكن ساءت الاحوال بعد معارك بحرية بين الهولنديين والبرتغاليين ادت الى نقمة العرب على الهولنديين فأسر فان دون بروكه مع صديقه « دي ميلده » واطلق سراح «فان دون بروكه» ٠

وفي عام ١٦٢٨ قام أحد القباطنة الهولنديين بشراء كميات من البن أرسلت الى هولنده ووصلتها عام ١٦٣٣ ٠ كما وصلت بنفس العام شحنة من البن الى بريطانيا ٠

وقد قام الفرنسيون أيضا بتأسيس شركة لاستيراد البن وأرسلت رحلتين الاولى بين عامي (١٧٠٨-١٧١٠) م والثانية بن عامي ١٧١١ - ١٧١٣ واهمية الثانية تأتي من الزيارة التي قام بها كل من « آليد دي لاغرولودبير » و « بونديشيري » لزيارة ملك اليمن بقصد تطبيبه من دمامل أصيب بها٠ وقد قدما وصفا لرحلتهما٠

● ونتيجة هذه الرحلات بدات الخرائط تصدر عن منطقة الخليج العربي وجنوب شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي والساحل الهندي وذلك اعتبارا من خرائط فرامورد (١٤٦٠) وجوان دي لاكوز (١٥٠٠) حتى عام ١٧٥٥ حين صدرت اول خريطة صحيحة من صنع دانفيل ٠

وأثناء تسرب هذه المعلومات ونشرها في اوربا قامت حركة تهدف الى الاطلاع على مؤلفات الكتاب المسلمين فصدر عن مطبعة ال مديشي سنة ١٥٩٢ مختصر لكتاب جغرافي للادريسي ترجمه راهبان مارونيان الى الفرنسية ونشر في باريس عام ١٦١٩ ٠

واصدر (لاروك) اول ترجمة فرنسية لكتاب أبي الفداء « وصف جزيرة العرب » ثم قام المستشرق الفرنسي (دهربلوت) بنشر كتابه « في المكتبة الشرقية » وفيه مقتطفات من ياقوت الحموي وابن خلدون وحاجي خليفة ٠

وقد نشطت حركة الدراسات العربية في القرن التاسع عشر ونشرت ترجمة كاملة لمؤلفات الاصطخري والمقدسي وابن بطوطة وغيرهم ٠

ثم جاء المستشرق « ايراسم » فأنشأ في جامعة « لوفان » كلية اللغات الثلاث : « اللاتينية واليونانية والعبرية » ٠

وجاء ذلك نتيجة الابحاث المنشورة والترجمات والاهتمام بالتوراة والعبرية ومقارنة اللغات مع بعضها وظهور علم اللغات المقارنة ٠

ثم قام العالم الايرلندي ادورد بوكوك بتدوين كتابه « نموذج من تاريخ العرب » صدر عام ١٦٥٠ ٠

ثم ظهرت الحاجة لاعتماد الوثائق الخطية التي بقيت عن القدماء ، فأخذوا بمراجعة الكتب العربية المخطوطة ومراجعة النقوش المدونة على الاوابد وحلوا طريقة الكتابة الكوفية والكتابة العربية في اوائل عهد الاسلام ٠

وفي عام ١٦٦٣ أسست في باريس أكاديمية فرنسية للآداب والخطوط الاثرية ما تزال قائمة في المجمع العلمي الفرنسي حتى يومنا هذا ٠

يضاف الى ذلك الاشارات العابرة التي وردت على لسان رواد اليمن وجزيرة العرب عن الاوابد الاثرية ٠

كل ذلك دفع العلماء المتخصصين للبحث عن الوثائق في مكانها الاساسي لتحري الحقائق .

●● فكانت باكورة البحث العلمي الدقيق لليمن في القرن الثامن عشر نتيجة اقتراح قدم من المستشرق الالماني (فريدريك كريستيان فون هافن) عام ١٧٦٠ الى ملك الدانمرك ، فريدريك الخامس بطلب الكشف عن اسرار اليمن نتيجة للصلة القوية التي تربط اليمن مع العلوم المتعلقة بالكتاب المقدس . وقد اقترن الاقتراح بالموافقة وتألفت بعثة من عدد من العلماء والاختصاصيين هم : المستشرق هافن نفسه وبيترفورسكال العالم الطبيعي والطبيب كريستيان كارل كرامر والرسام جورج فلهلم بورنفيد والملازم كارستن نيبور . وقد أبحرت البعثة من كوبنهاجن على ظهر سفينة حربية دانمركية في ٤-١-١٧٦١ متوجهة★ الى ازميرفاسطنبول فمصر فاليمن . وفي اواخر عام ١٧٦٢ وصلت الى ميناء القنفذة بعد ان قامت خلال الفترة السابقة ببعض الدراسات العلمية اثناء الطريق . وفي ميناء المخا توفي المستشرق هافن . ثم توجهت البعثة من المخا باتجاه صنعاء . وقد لاقت البعثة الكثير من المشقة اثناء تنفيذ مهامها مما ادى الى وفاة العالم الطبيعي فورسكال في مدينة يريم .

عند وصول البعثة الى صنعاء استقبلها الامام بحفاوة وترحاب فأقامت هناك لفترة قصيرة ثم عادت الى المخا ومنها ابحرت الى بومباي وفي الطريق توفي الرسام بورنفيد ثم مات بعد يوم واحد الرجل السادس في الرحلة واسمه برجن وكان يعمل مرافقاً وطاهياً للبعثة . وكما يقول نيبور قذف بكلا الجسدين الى البحر وبعد الوصول الى بومباي توفي الطبيب كرامر عام ١٧٦٤ .

وقد بقي من البعثة المنكوبة الضابط نيبور (١٧٣٣-١٨١٥) وهو من مواليد ألمانيا وتربى فيها . وقد بقي نيبور في اليمن لمدة ثمانية أشهر .

وتابع نيبور رحلته المقررة فزار أطلال آشور وفارس ثم رحل الى البصرة وبغداد والموصل وحلب وقبرص والاناضول والقسطنطينية محملا بالنقوش والخرائط والكتابات والرسوم . وقد نشر كتابا عن رحلته « وصف بلاد العرب » وماكتبه عن اليمن يعتبر من أهم مصادر تاريخ اليمن.

وقد صدر كتابه في جزأين ، صدر الجزء الثاني بعد وفاة نيبور . وقداستمرت أسفار نيبور بنجاح ويذكر بأنه عاد الى كوبنهاجن عام١٧٦٧ في شهر تشرين الثاني .ولم يعتبر وفاة أعضاء البعثة نتيجة فاجعة . فلقد فسر نيبور بقوله « ان الاجهاد الذي سبب الموت لرفاقه كان ناتجا عن تسرعهم المفرط في رؤية البلاد دون ان تردعهم الحرارة المحرقة عن ذلك فتعرضوا لتعب مضن . أضف الى ذلك انهم لم يعتقدوا أن من الواجب عليهم اقتباس نمط المعيشة اليمنية » .

« لذلك فان نيبور كان يسافر راكبا حمارا كمسافر عادي ومزينا بالزي التركي من عمامة الى رداء بدون اكمام فوق قميص من الكتان . وكان يستخدم بساطا صغيرا كبردعة لحماره وسفرة لطعامه وفراشا لنومه ويحمل معطفا يتغطى به ليلا ، وقربة ماء وآلات

★ انظر تفصيل هذه الرحلة الهامة في كتاب ثوركيل هانسن (من كوبنهاجن الى صنعاء).

للقياس كالبوصلة والساعة وربع الدائرة الخاص بعلم الفلك وبعض الكتب » ٠

وكان يسأل كل انسان ويعتقد ان كل انسان يمكن ان يخدمه بجواب يفيده فهو يسأل الفقيه ٠ عن الشريعة الاسلامية والمواطن عن المناطق والفلاح عن الزراعة ٠٠ وهكذا ٠

وقد اهتم نيبور بنقل الكتابات على الحجارة التي شاهدها وعن النقود ٠ ولم يعثر على كتابات حميرية بل أخبروه بأنها موجودة في قفاز وغيرها ٠

وقد استطاع نيبور ان يجيب على كل الاسئلة التي كلفه بها ملك الدانمرك والذي طلب من العلماء الاجانب الاوربيين ان يضيفوا اليها اسئلتهم لتكلف البعثة بالاجابة عليها ففعلوا وكان ابرز الاسئلة كما يقول نيبور قد وردت من الجمعية الملكية الفرنسية للآداب والخطوط الاثرية ٠

وكان من تأثير بعثة نيبور ان نابليون عند مهاجمته مصر شكل بعثة علمية مماثلة في عام ١٨١٠ ٠

وفي هذا العام سافر الدكتور اورليخ غاسبار ستيزن الى اليمن مبتدئا رحلته من الحديدة متتبعا اشارات نيبور ٠ وقد استطاع الحصول على نقوش قديمة مهمة نسخها من موقع قريب من المدينة الحميرية « ذمار » ٠

ثم زار عدن ووصل المخا وهناك اعتقد السكان أنه ساحر لما كان يحمله من ثعابين وحشرات سامة محنطة في الكحول تمهيدا لدراستها ٠ وبعد ان جهز رحلة لداخل اليمن غادر المخا مع قافلته المحملة ٠ وقد اختفى ولم يظهر له أثر ٠ وقد قيل انه قتل من قبل بعض القبائل البدوية وقيل ان الامام أمر بدس السم له في طعامه فمات مسموما في تعز في كانون الاول (ديسمبر) من سنة ١٨١١ ٠ وكان الدكتور ستيزن قد أرسل قبل اختفائه خمسة من النقوش غير الواضحة عن طريق المخا ٠

وفي عام ١٨٣٤ استطاع الضابط البحري الانجليزي (ولستد) ان يعثر على الحصن المعروف حاليا بحصن الغراب في بلدة (بير علي) على الشاطىء ٠ وقد وجد به نقشان أحدهما يتكون من عشرة أسطر ، ويرجع تاريخه الى عام ٦٤٠ من التقويم الحميري حوالي ٥٢٥ ميلادي ويعتبر أول نقش طويل وكامل يعثر عليه ٠

وفي العام التالي ١٨٣٥ عثر ولستد على خرائب موقع « نقب البحر » غربي وادي ميفعة ٠

وتعتبر النقوش التي وجدها ولستد في (حصن الغراب) مهمة جدا اذ فتحت الباب لمعرفة سر الخط المسند ٠

كذلك اكتشف خرائط متقنة الصنع لوّنت رسومها باللون الاحمر ٠

وحينما أحضر ولستد النقوش لم يكن أحد يعرف معناها بل كانت نقوشا وأحرفا ميتة الا أن ولستد افترض ان النقوش التي أخذها من خرائب قلعة حصينة عظيمة ستعطي تاريخ انشاء القلعة وسببه ومن قام بهذا الانشاء ٠

وكان ولستد على حق في كل ماذهب اليه٠

وقد قام فورستر بتحليل النص الذي افترض انه نص قصيدة النويري(١٢٧٩-

١٣٣٢) والتي تبدأ بكلمة سكنا ٠ ثم قام بتقسيم الكلمات ومقارنتها ٠ وبعد عمل مضن استطاع حل رموز الكتابة الحميرية٠

وفي عام ١٨٣٥ قام شابان فرنسيان وهما (تاميزيه) و (ادوارد كومب) بزيارة لليمن في معرض زيارتهما للحبشة ٠ فذهبا من جدة الى القنفذة بطريق البحر فوصلا اليها في ٢١-٦-١٨٣٥ وشاهدا هناك ابراهيم باشا ينفذ الحكم بالاعدام على الخازوق بأحد الفلاحين ٠

ثم قصدا جيزان بطريق البحر ثم الى اللحيه والحديدة وبيت الفقيه وزبيد ، حتى المخا ثم بلغا جيزان ٠

وقدما وصفا جميلا للمناطق التي زاراها ووصفا طرق المواصلات ٠

ثم قام (روشيه دي هيريكور) برحلتين الى اليمن زار جدة والحديدة التي التهمها حريق هائل ، ثم شاهد المخا وعاد بنتائج أعماله الى الجمعية العلمية ٠

وفي عام ١٨٣٦ قام السائحان (هلتن) و (سميث) برحلة الى اليمن كشفا خلالها عن خمسة عشر نقشا على الحجارة في منطقة عمان ٠

ثم قام (هلتن) و (كروتندن) وقد تزيا بزي محلي رافقهما تاجرعجمي برحلة الى صنعاء ٠ وقدوصفا حالةالقحط والمجاعة التي كانت في ذلك الوقت ، وقد وصفا منظر الجثث في الشوارع وقد مات اصحابها نتيجة الجوع ٠ وقد فرض الامام عليهما الاقامة الجبرية في منزلهما٠

ثم مرض (كروتندن) وكان مرضه مزعجا جدا لهلتن الذي كشف عن نقوش كثيرة في صنعاء وعثر على رأس تمثال من مأرب أرسله الى المتحف البريطاني ، وبعد ان تحسن كروتندن قليلا وقد مضى على مرضه ثلاثة اسابيع استطاع بصعوبة مرافقة هلتن في هودج حمله اثنا عشر رجلا ٠ ثم اتجها الى الساحل ٠ وبعد ركوبهما مركبا متجها الى الشمال الغربي توفي كروتندن من نتيجة المرض والاجهاد داخل المركب٠

وفي عام ١٨٤٣ جاء «فون فريده» برحلة الى حضرموت وشاهد نقشا مكونا من خمسة أسطر من موقع « اوبنه » أو « البنا » شمال قنا والساحل ٠

أما الرحالة الصيدلي الفرنسي جوزيف أرنو الذي علم من السكان ان عالما اوربيا نسخ قبله نقوشا وقطعا أثرية وان مخلفاته متداولة بين الناس وعرف ان العالم هو (ستيزن) ، فقام برحلة من صنعاء الى مأرب بصفة طبيب عند الاتراك ، وقد رافق قافلة متجهة الى مأرب بعد ان دفع لرئيسها مبلغا كبيرا من المال لقاء حمايته « وهو أسلوب قديم متبع في كافة البقاع العربية والصحارى العربية سواء في اليمن ام في السعودية أم في سوريا » ٠ وقد استطاع ان يستحصل على اذن خاص من أمير المدينة يسمح له بالتجول في خرائبها التي ارتبطت في أذهان الناس بالاساطير وقصص الجن ٠

وقد استطاع أرنو ان يزور موقع سد مأرب وان يرسم له مخططا وينسخ بعض النقوش هناك ويتفحص الخرائب ويزور معبد (المقه) والمسمى باسم « حرم بلقيس » الا ان فضول السكان وملاحقاتهم

له جعلت اقامته في مأرب مستحيلة مما حمله على العودة الى صنعاء مع قافلة بعد أن أقام في مأرب ثلاثة ايام فقط ٠

واثناء عودته مرت القافلة بمكان فيه خرائب كثيرة فتسلل تحت جنح الظلام الى هذه الخرائب واستطاع ان ينسخ بعض النقوش التي تتحدث عن « صرواح » العاصمة السبئية الاولى٠

وقد بلغ مجموع النقوش التي استنسخها آرنو ستة وخمسين نقشا وتابع آرنو سفره من صنعاء الىشاطىء تهامةوكانت منأشق الرحلات التي قاسى خلالها أهوالا كثيرة ٠

وقد أرسل وصفا للرحلة والنقوش التي استنسخها الى القنصل الفرنسي في جدة فأرسلها القنصل بدوره مع بعض الشروح والتعليقات الى المجلة الاسيوية التينشرتها عام ١٨٤٥ فأحدثت ضجة كبيرة في الاوساط العلمية ٠

وكان قد رافق أرنو في بعض أجزاء من رحلته « فايسير » والقنصل الفرنسي « فريسنل » ٠

وقد زار المنطقة أيضا الكاتب ألكسندر دوماس ، وكان محبا للعرب واصدر ثلاثة كتب عنهم ٠

وقد قام (البارون ادولف فون وريد) الذي قابل آرنو في عدن ٠ وكان من اصل بافاري ودخل سلك الجندية بخدمة الملك « اوتون » في اليونان واقام في آسياالصغرى ثم في مصر وقد ارتدى زي مسلم وتظاهر برغبته في الحج الى قبر هود في حضرموت٠ وقد نزل في ميناء عدن٠٠ وتوجه برا الى المكلا ثم اتجه في ٢٦-٦-١٨٤٣ نحو داخل البلاد بحماية بدوي يدعى (عقيبره) ٠ ولكنه لم يستطع ان يصل الى قبر النبي هود بسبب اجبار البدو له على الرجوع ٠ لكنه في مكان يدعى « ابن » او « لبن » عثر على جدار قديم ونسخ منه كتابة اثرية طويلة رائعة ٠ ثم زار (وادي عمد) حتى وصل الى الحوطة ثم توجه الى «صوى» حيثذكر انه وجد قبرا حميريا هناك لكن طمست كتاباته ٠ وكاد ان يقتل لولا تدخل حاميه البدوي وانقاذه له ، وعاد ثانية من خرائب مقبرة النبي هود باتجاه المكلا ثم سافر الى عدن ٠

وقد احتفظ (فون وريد) بقائمة بأسماء الملوك الحميريين أعطاه اياه شيخ عالمولكن روايته لم تصدق في فرنسا الا ان هناك الكثيرين تحمسوا للقضية٠

وأخيرا قام في عام ١٩٣١ الاستاذ (هرفون ديسمن) والدبلوماسي (د٠ فان مولن) ببعثة الى حضرموت بنفس الطريق التي وصفها (وريد) وقد تأكدا من صحة معظم معلوماته ٠

ونتيجة للتطاحن بين الانكليز والفرنسيين حول كشف آثار اليمن فقد قررت اكاديمية النقوش والفنون الجميلة الفرنسية ارسال المستشرق الشهير - واليهودي عقيدة - يوسف هاليفي عام ١٨٦٩ ٠

وصل هاليفي الى اليمن عام ١٨٧٠ وتزيا بزي اليهود المحليين الفقراء وادعى انه حضر من القدس وقد استفاد من المعاملة الحسنة التي كان يعامل بها عرب اليمن اليهود في بلادهم ٠

بدأت اعمال هاليفي عام ١٨٧٠ فأخذ

يتنقل في الاماكن التي كان مستحيلا على غيره أن يصلها فذهب من صنعاء الى الجوف الى نجران ثم اتجه الى سد مأرب وصرواح. ثم عاد الى صنعاء حاملا معه ٦٨٦ نقشا جمعها من ٣٧ مكانا مختلفا وقدكانت جميعها جيدة باستثناء خمسة عشر نقشا كان قد سبقه لاستنساخها آخرون.

وقد نشرها في فرنسا عام ١٨٧٢ مع تقرير مفصل عن رحلته أتبعها بدراسات حول لغة النقوش .

وتعتبر رحلة هاليفي من أهم الرحلات العلمية لانه أماط اللثام عن الكثير من حضارة المنطقة . وعن لغاتها من حميرية وسبأية ومعينية .

وقد استعان هاليفي بيهودي يمني يعمل نحاسا واسمه حبشوش وقد ساعده في نسخ بعض النقوش .

ومابين عامي (١٨٧٠-١٨٧١) قام ملتزن بدراسة اللهجة « المهرية » .

وقد قام أيضا المستشرق النمساوي سيغفريد لانفر عام ١٨٨٠ برحلته الى سورية ومنها الى القنفذة بحرا ثم جدة ، الحديدة ومنها الى صنعاء « عبر بلاد الحميريين القدماء حيث الخرائب التي وصفها نيبور » .

وقد قام بنسخ بعض النقوش ودون بعض الملاحظات والاوصاف .

وعندما أراد أن يتوغل الى الداخل منعته السلطات التركية فذهب الى عدن وتنكر بزي بدوي وتوغل الى الداخل ونسخ بعض النقوش .

لكن دليله ولاسباب مجهولة اغتاله بينما كان يسبح في نهر . الا أن لانفر كان قد أرسل بعض النقوش المستنسخة الى المؤسسات العلمية الغربية التي قامت بنشرها بعد وفاته .

وفي عام ١٨٨٠ وبناء على طلب الاكاديمية الفرنسية قام المستشرق النمساوي ادوار غلاسر استاذ اللغة العربية «بفيينا» برحلة الى تونس ومصر ليتمكن من اللغة العربية وليتعرف على العادات العربية استعدادا لرحلته الى اليمن . وبعد انتهاء استعداداته وصل الى صنعاء لكن الاتراك منعوه من مغادرتها بحجة الخوف عليه من ان يكون مصيره كمصير (لانفر) . وبعد جهد استطاع غلاسر ان يقنع السلطات التركية بالسماح له بتنفيذ مهمته وقد قام غلاسر بخمس رحلات داخل اليمن .

الرحلة الاولى :

قام بها برفقة حملة تركية جهزت لاخضاع مدينة سودة والقبائل الموجودة فيها وقد استطاع غلاسر خلالها ان يتعرف على بعض المناطق ويشاهد بعض الآثار .

الرحلة الثانية :

وقد قام بها مع بعض اليمنيين الى مناطق شبام وكوكبان ورهجة وعمران وهي مواقع قريبة من همدان .

وقد نسخ بعض النقوش وزار بعض المواقع الاثرية حيث تعرف على معالمها التاريخية .

الرحلة الثالثة :

وقد قام بها عام ١٨٨٤ وقد زار بها حاشد وكاد ان يموت فيها .

كان من نتائج رحلاته الثلاث السابقة والتي ارسلها الى الاكاديمية الفرنسية التي قامت بنشرها، ومن هذه النتائج كانت أربع احجار بها نقوش سبأية وحوالي مائتين وثمانين نسخة لنقوش شاهدها . كما أرسل ملاحظاه طبوغرافية وفلكية وعرقية عن المنطقة .

الرحلة الرابعة :

وقد قام بها عام ١٨٨٥ لصالح المتحف البريطاني وزار فيها المناطق الواقعة بين عدن وصنعاء مارا بظفار عاصمة الحميريين القديمة وقد حصل على ٣٧ نقشا أصليا معظمها من منطقة الجوف وباللغة المعينية. كما حصل على مايقرب من مائة وخمسين نسخة عن نقوش يمنية مختلفة .

الرحلة الخامسة :

والتي تمت مابين عامي ١٨٨٧-١٨٨٨ وكانت هذه المرة لصالح اكاديمية (براغ) لزيارة مأرب عاصمة سبأ .

وقد غادر صنعاء برفقة يمنيين وفيهم أحد أشراف اليمن وقد تزيا غلاسر بزي فقيه عربي . واستطاع ان يبقى في مأرب مدة ستة اسابيع زار خلالها السد وأقنيته ومعبد (اله القمر) وقام بوضع مخططات لها وقام بنسخ نقوشها وكانت نتيجة رحلته حصوله على اربعين نقشا سبئيا أصيلا وقطعا أثرية اضافة الى نقود وخواتم . وكذلك نسخ مايقارب الاربعمائة نقش .

في عام ١٨٩٢ عاد غلاسر الى اليمن . ولما كانت الاوضاع السياسية متردية في اليمن نتيجة ثورات القبائل على السلطات العثمانية ومحاصرة صنعاء من قبل القبائل الثائرة عمد غلاسر الى طريقة جديدة اذ قام بتعليم بعض رجال القبائل طريقة نسخ النقوش على الورق (الخاص) وقام بارسالهم الى المواقع المختلفة ودفع اجورا مغرية . وقد نجحت تجربته هذه لان رجال القبائل استطاعوا أن يصلوا لمناطق لم يستطع أي أجنبي الوصول اليها .

فحصل على مجموعة كبيرة من النقوش من الجوف وحصل على نقش صرواح العظيم الذي يحتوي على ألف كلمة ويعود تاريخه الى أقدم عصور الدولة السبأية وقد اشتهر هذا النقش فيما بعد باسم «نقش النصر».

كذلك حصل غلاسر على مائة نقش تعود للدولة العثمانية وهي نقوش فريدة. وتعتبر أولى الوثائق التي تتحدث عن دولة قتبان وتتضمن معلومات سياسية وثقافية ودينية.

وتعتبر رحلات غلاسر من أهم الرحلات التي نجحت من الناحية العلمية في الكشف عن الحضارة اليمنية القديمة وقد فتحت الافاق الواسعة للعلماء والمؤرخين ورجال الاثار فيما بعد .

وقام الاستاذ مولر (دافيد هنريخ) المستشرق النمساوي ببعثة الى اليمن تابعة لاكاديمية فيينا عام ١٨٩٨ وقد استهدفت الوصول الى شبوه . ولكنها فشلت في ذلك فتوجهت عام ١٨٩٩ الى سقطره لدراسة اللهجات الحديثة هناك وقد أصدر مولر كتابا بعنوان « جغرافية جزيرة العرب » .

ومابين عامي ١٨٩٩-١٩٠٠ قام الزوجان

البريطانيان تيودور ومابل بنت فقدما دراسة اثرية عن ساحل آسيا الصغرى وجزر البحرين والحبشة وشبه الجزيرة العربية وقدما خارطة لاقليم حضرموت ·

وقام الرحالة الالماني برخردت برحلة الى اليمن صور خلالها آثارا كثيرة وذلك ما بين عامي ١٩٠٦-١٩٠٧ ·

وفي عام ١٩٣٢ وتحت رعاية ولي العهد قام راتينس وفون فيسمن باجراء حفريات اثرية في منطقة صغيرة من اليمن ·

وفي عام ١٩٣٦ قامت جامعة فؤاد الاول (القاهرة حاليا) بارسال بعثة الى اليمن كان من بين أعضائها الدكتور سليمان حزين والدكتور خليل يحيى نامي ·

وقد أصدر الاخير كتابا عن اللهجات اليمنية الحديثة ، جامعة كلية الاداب عام ١٩٤٦ ·

- في عام ١٩٣٦ قام نزيه مؤيد العظم برحلة الى اليمن الشمالي وقد وصف رحلته في كتابه « رحلة في البلاد العربية السعيدة من مصر الى صنعاء » نشره الحلبي في القاهرة سنة ١٩٣٠ م ·

كذلك نشر كتابا آخر عام ١٩٣٩ من ٤٠٠ صفحة واسمه « سبأ ومأرب » طبع في القاهرة ·

- كما قامت الدكتورة كاندت تومسون بمساعدة اليانور جاردنر في شتاء ١٩٣٧ - ١٩٣٨ فلقد قامتا بحفريات منتظمة في حديقة بوادي عمد (حضرموت) ·

- وقام الضابط الانكليزي هاملتون (لورد بلهافن فيما بعد) بتنقيب جزئي قرب الباب الشمالي لمدينة شبوه ·

- ثم قام محمد توفيق عام ١٩٤٥ بزيارة للجوف · وقد اصدر كتابا باسم « آثار معين في جوف اليمن » نشره معهد الدراسات الفرنسي في القاهرة سنة ١٩٥١ ·

- وقام الدكتور احمد فخري بزيارة لصرواح ومأرب في العامين ١٩٤٧ و ١٩٤٨ وقد اصدر كتابا باسم آثار العالم العربي متضمنا فصلا عن اليمن ·

وكتاب « دراسات في تاريخ الشرق القديم » مصر - العراق - سوريا - اليمن - ايران » وكتاب « اليمن ماضيها وحاضرها » أصدره عام ١٩٥٧ ·

وفي عام ١٩٥٢ ارسلت جامعة الدول العربية الى اليمن بعثة اثرية ·

- ثم جاءت بعثة وندل فيلبس ١٩٥٢ « المؤسسة الامريكية لدراسة الانسان » · وهي بعثة أمريكية ضمت بين أعضائها علماء متخصصين قاموا بالتنقيب في مأرب لكن البعثة اختلفت مع الامام آنذاك ثم تحولت نتيجة الخلاف الى بيحان حيث نقبت عن أجزاء من مدينة تمنع عاصمة قتبان القديمة ·

ثم انتقلت الى ظفار التابعة حاليا لسلطنة مسقط حيث أجرت عدة حفريات وقد اصدر وندل فيلبس كتاب « كنوز مدينة بلقيس » ترجمة الاستاذ عمر الديراوي ونشره عام ١٩٦١ ·

وله كتاب ايضا « عمان المجهولة » ·

- وبين عامي ١٩٦١-١٩٦٢ قامت بعثة معهد شمشونيان الامريكية واجرت مسحا

أثريا سطحيا لوادي حضرموت برئاسة الدكتور فان بيك ٠

ويحدثنا وندل فيلبس في كتابه « عمان المجهولة » عن البعثات الامريكية المذكورة وانها تابعت خطى التاجر القديم المجهول صاحب البريبلوس وان نتائج الحفريات قد جاءت مصدقة لوصفه الدقيق ٠

ـ وأخذت اليمن الحديثة تتابع آثار المنطقة وقد ساهم الاتحاد السوفياتي ببعثة عام ١٩٧٢ وفقا لخطة التعاون الثقافي والعلمي بين اتحاد الجمهوريات السوفييتية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية قامت بدراسة آثار المنطقة وقدم بعدها سيرجي شيرنسكي تقريرا عن مهمته ٠

ـ ورغم كل ماذكر وكل الجهود المبذولة فما زال هناك الكثير الكثير مما يجب بحثه والتنقيب عنه لنجيب على العديد من الاسئلة والمعضلات التاريخية المطروحة وبالتالي لنكشف عن حضارة عربية عريقة ٠

● وبعد هذا العرض الذي حاولنا ان يكون موجزا وفي نفس الوقت محيطا بتطور رحلات اكتشاف الحضارة اليمنية ٠٠ ينهض سؤال هام وهو : ماهي نتائج دراسة الوثائق اليمنية ؟ وهذا ٠٠ مبحث آخر وهام ٠٠

---

١ ــ اضواء على الاثار اليمنية : تقرير للعالم سيرجي شيرنسكي .
المركز اليمني للابحاث الثقافية ــ عدن

٢ ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ــ د. جواد علي ــ .

٣ ــ مقالات عن رواد اليمن ، في مجلة الزهراء القاهرية ــ المجلد الثالث .

٤ ــ اكتشاف جزيرة العرب : جاكلين بيرين ــ ترجمة قدري قلعجي .

٥ ــ محاضرات في تاريخ العرب والاسلام (الجاهلية وصدر الاسلام) د. نبيه العاقل .

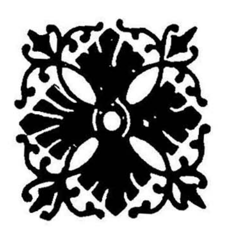
٦ ــ مراجع تاريخ اليمن : عبد الله محمد الحبشي .

٧ ــ تاريخ اليمن القديم : محمد عبد القادر بافقيه .

٨ ــ الموسوعة العربية الميسرة : اصدار القاهرة ، ط٢ .

٩ ــ قاموس المنجد : قسم الاعلام .

١٠ ــ موسوعة ((امريكانا)) الامريكية.



مدينة زبيد في التاريخ



زبيد :

هو زبيد الاصغر بن ربيعة بن سلمة بن سعد بن زبيد الاكبر بن مازن بن صعب بن سعد العشيرة بن مذحج واسمه مالك بن عمرو ابن أدد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان ٠

الوادي زبيد :

والى زبيد ٠٠ ينسب الوادي المشهور باسمه الذي يمتد من بطن الهضبة الوسطى لجبال اليمن وروافده من جبال لواء إب ، وذمار ، ويريم ، والعدين ، وجبال وصاب الجنوبية ٠ وينحدر الى سهل تهامة الغربية حيث يأخذ مساحة ٥٠ كيلو مترا من سفح الجبل الى الفازة ميناء زبيد الطبيعي بساحل البحر الاحمر ٠ ومساحته بالمعادات مائة وستين ألف معاد تقريبا ٠ ويرتفع وادي زبيد عن مستوى سطح البحر الاحمر بـ ٢٥٠ مترا على شبه مدرجات ترابية ٠

مدينة زبيد :

سميت مدينة زبيد باسم الوادي وتقع في منتصف الوادي وتبعد عن البحر بخمسة وعشرين كيلو مترا وعن الجبال بخمسة وعشرين كيلو مترا ٠٠ وترتفع عن سطح البحر بـ ١٠٠ متر بشبه مدرجات ويرتفع الوادي عن المدينة بـ ١٥٠ مترا ٠

الحصيب :

وتسمى زبيد : الحصيب بالتصغير ٠٠ نسبة الى الحصيب بن عبد شمس بن وائل ابن الغوث بن حيدان بن يقطن بن عريب ابن زهير بن أيمن بن الهميسع بن سبأ ٠

الاشاعرة :

قبيلة الاشاعرة ،ويعود نسبها الى الاشعر واسمه نبت بن زيد بن عمرو

ابن كهلان بن سبأ . ولقب بالاشعر لانه ولد أشعر الجسم ، ومن الاشاعرة أبو موسى الاشعري . وتمتد قبيلة الاشاعرة من جنوب مقنبة الى شمال وادي رمع وعاصمتها زبيد.

زبيد قبل اختطاطها :

كانت قرى متفرقة : منها المنامة ،والنفير - تقعان غربي المدينة .. وكانتا مدينتين عظيمتين .. وجيجر شرق المدينة، وقيانوس وواسط بين الغرب والجنوب ،والقرتب بالجنوب الشرقي ، وجبل قونس بالشمال الشرقي.

وكانت زبيد غيطة أي هيجة كثيرة الاشجار يرعى بها الرعاة مواشيهم ويسقون دوابهم من بئر قديم عُمر بجواره مسجد مرصوف بالحجارة سمي بالاشاعر .

زبيد بعد الاسلام :

عندما سمع اليمنيون بالبعثة النبوية وأول من لبى الدعوة قبيلة الاشاعرة في العام الثامن للهجرة برئاسة أبي موسى الاشعري واخويه أبو بردة وأبو دهم وجماعة من القبيلة ، فقال فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم « جاءكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوبا ،الايمان يمان والحكمة يمانية».

ثم بعث الرسول مع معاذ بن جبل لنشر الاسلام فقدم أبو موسى الاشعري زبيد ورفيقه عن طريق البحر فنزلا ميناء البقعة المسماة حاليا بالفازة ، فاستقر أبو موسى بزبيد ، واتجه معاذ بن جبل الى الجند . فنشر الدعوة بزبيد وبنى مسجد الاشاعر والجامع الكبير ومسجده المشهور باسمه على بعد خمسة كيلو مترات شرقي المدينة ، ثم عاد الى المدينة المنورة حيث بعثه الرسول الى مأرب ، وظل فقهاء القبيلة ينشرون تعاليم الاسلام بزبيد وما اليها الى عام ٢٠٣ هـ .

زبيد العاصمة :

على أثر ثورة قامت بها قبيلتا الاشاعرة وعك ضد الوالي العباسي بصنعاء بعث الخليفة المأمون بن هارون الرشيد ، محمد عبد الله بن زياد وبرفقته زميلان أحدهما من ذرية سليمان بن هشام بن عبد الملك وزيرا ، والثاني محمد بن هارون التغلبي قاضيا ومفتيا ، ومن ذرية التغلبي قضاة زبيد بنى أبي عقامة وذلك في عام ٢٠٣ هـ وأمره أن يختط له مدينة زبيد في منتصف الوادي فقضى على الثورة ، وفي ٤ شعبان سنة ٢٠٤ هـ اختط المدينة فعمد الى ترغيب الرعاة في الاستيطان باعفائهم من الزكاة لمدة سنة ، واتخذ من زبيد عاصمة للدولة .

الدولة الزيادية :

تأسست الدولة الزيادية في سنة ٢٠٤هـ وظلت الى سنة ٤١٢ هـ حيث انتهت بآخر ملك كان طفلا يدعى عبد الله بن أبي الجيش اسحاق بن زياد الذي كانت غزوة علي بن الفضل لزبيد في عهده وظل ملكه ثمانين عاما فكانت وفاته سنة ٣٩١هـ ، فاستخلف وصيا على طفله وعمته هند مولى يدعى رشيد تولى تربيته ثم خلفه بعده مولاه الحسين بن سلامة النوبي الذي استعاد ملك آل زياد وبنى مآثر في جميع انحاء

اليمن الى أن توفي سنة ٤٠٧ هـ ، خلفه مولاه مرجان ٠٠ وكان له وصيفان احدهما نفيس والثاني نجاح ٠٠ فالاول كان وزيرا لمرجان ، والثاني عين أميرا لمدينة الكدرا بوادي سهام لميوله نحو الملك الطفل وعمته ، وبازاحته كان انهاء الدولة الزيادية بقتل الملك وعمته ٠٠ فبلغ نجاح هذه المؤامرة فجند جيشا من وادي سهام وقاتل مرجان ونفيس حتى قتلهما واستعاد الحكم الزيادي ٠٠ فبعث للخلافة العباسية يخبرها بالقتل والنصر فخولته السلطة ولقبته بنصير الحق ٠

الدولة النجاحية :

ابتدأت الدولة النجاحية من سنة ٤١٢هـ بمؤسسها نجاح الذي تمكن من بسط نفوذه على تهامة ٠٠ وكان علي محمد الصليحي قد ظهر بدعوته في جبل مسور بحراز فدخل معه بحروب كثيرة ، ولما لم يتمكن الصليحي من النصر بعث اليه بجارية هدية ، فقتلته بالسم سنة ٤٥٨ هـ واستولى على زبيد ٠ وفي سنة ٤٦٥ هـ تعقب سعيد الاحول واخوه جياش (أبناء نجاح) ، علي محمد الصليحي اثر سفره لاداء الحج مع لفيف من جنوده وسلاطين اليمن الذين انتصر عليهم فقتلا الصليحي واخاه عبد الله في المهجم بوادي سردد ، وكان المكرم احمد بن علي الصليحي نائبا لأبيه بصنعاء فبلغه قتل أبيه وعمه عبد الله وأسر سعيد الاحول لأمه اسماء بنت شهاب ، فغزا زبيدا لانقاذه من الاسر وطلع صنعاء ، وبعد فترة استعاد سعيد الاحول واخوه جياش زبيدا وظل الصراع بين النجاحيين والصليحيين حتى استقر الامر لجياش بعد مقتل سعيد الاحول في معركة جبل الشعر ومن ثم هدأت الامور للنجاحيين حيث اصبح الحكم لاولاد جياش وبالاخص لاولاد ابنه فاتك وظل الحكم باسم وزراء الملك فاتك الذين تولوا الوصاية على الملك المنصور به فاتك عندما كان طفلا ولقوة نفوذهم الى سنة ٥٥٥هـ ٠ كانت نهاية الدولة النجاحية على اثر ثورة قام بها علي بن مهدي الرعيني لاسباب سوء تصرف الوزراء مع المواطنين ٠

الدولة المهدية :

كان علي بن مهدي عالما وصوفيا من قرية العنبرة بنخل وادي زبيد ثار على أوضاع وزراء الدولة النجاحية ابتداء من ٥٣٦ هـ حيث واصل نضاله مع أتباعه المهاجرين سكان المنطقة وأنصاره سكان جبال الداثر من جبال وصاب الى ان انتصر في سنة ٥٥٥هـ ولكنه توفي بعد انتصاره بشهرين ونصف مخلفا ابنيه مهدي بن علي بن مهدي وعبد النبي علي بن مهدي، فقاما بتوحيد اليمن حيث غزا عبد النبي مخاليف اليمن وتم له النصر ٠٠ غير أن السلاطين تألبوا عليهما لما لمسوا منهما من قوة وعزم في توحيد اليمن ولما انتهجا من سياسة المشاع وبالتالي سياسة الخوارج فكان علي بن مهدي حنفي الفروع خارجي الاصول متشددا في العقوبات ٠

فكانت هذه السياسة الحافز لتألب السلاطين ضد الدولة المهدية ، بالاضافة الى توحيد اليمن ، ان أثاروا أمير المخلاف

السليماني الشريف غانم بن وهاس الـذي قتل أخوه عبد النبي بن مهدي للاستنجاد بالخليفة العباسي الذي أحاله الى صـلاح الدين الايوبي بمصرلطموحه السياسي وقوته العسكرية ٠

الدولة الايوبية :

بعث صلاح الدين الايوبي أخاه توران شاه الى اليمن فوصل (زبيد) سنة ٥٦٩هـ وبعد معارك دامية انتصر على عبد النبي ابن مهدي وأخيه وقتلهما ٠٠ ومن ثم غزا تعز وعدن وجبلة وصنعاء وعاد الى زبيد ثم طلب من أخيه العودة الى دمشق وأناب عنه من يقوم بالسلطة ثم وصل أخوه طغشكين الايوبي واستقر بتعز ٠ وكانـت زبيـد العاصمة الاولى وحاضرة اليمـن ثقافيـا وزراعيا وصناعيا وتجاريا وسياسيا الـى سنة ٦٢٥ هـ ٠ انتهت بآخر ملك يدعى الملك المسعود الايوبي ٠

الدولة الرسولية :

غادر الملك المسعود اليمن الـى الحجـاز لاداء الحج سنة ٦٢٥هـ وأناب عنه عمربن علي بن رسول وخوله السلطة اذا لم يعد ٠٠ وفعلا وافته المنية بالحجاز بعد الحج٠

فقام عمر بن علي بن رسول بالملك ولقب نفسه بالمنصور وبسط نفوذه على اليمن واتخذ تعز عاصمة لدولته وحذا حذو الدولة الايوبية في المحافظة على زبيد علميـــا وسياسيا وصناعيا وازدهرت في عهد الدولة الرسولية ، فخلفه ملوك بنوا اليمن بالمساجد والمدارس والزراعة والصناعة من سنة ٦٢٦هـ الى سنة ٨٤٥هـ انتهت الدولة الرسولية بعد أحداث سياسية ٠

الدولة الطاهرية :

بعد ان دخلت الدولة الرسولية في أحداث سياسية في مرحلتها الاخيرة استغل هـذه الاحداث مشائخ رداع برئاسة علي بن معوضة ابن طاهر وأخيه عامر واستوليا على اليمن واتخذا المقرانة من رداع عاصمة ، واهتما بزبيد اهتماما بالغا الى سنة ٩٢٢ هـ انتهت من جراء الغزو الجركسي المصري٠

المماليـــك :

على أثر الكشوفات البحرية البرتغالية عبر المحيط الاطلسي ورأس الرجاء الصالح قام قانصوه الغوري بارسال جيوشه للمرابطة بالبحر الاحمر حفاظا على المصالح التجارية والاماكن المقدسة فكان من أهم مكاسبهم الاستيلاء على اليمن بعد أن قضوا على الدولة الطاهرية بزبيد واتخذوها عاصمة لولايتهم٠

الاتــراك :

بعد ان قام قانصوه الغـوري بمطـاردة البرتغاليين رأت الدولة العثمانية من حقها الدفاع عن مصالحها التجارية والاماكـــن المقدسة فاحتلت مصر ومن ثـم أرسـلت جيوشها الى اليمن فاحتلت زبيد سنة ٩٤٥ هـ وظلت الدولة التركية باليمن من سنة ٩٤٥هـ الى ١٠٤٥هـ حيث كان جلاؤهم من اليمن٠ واستولى الامام محمد بن اسماعيل بن القاسم على اليمن واتخذ من صنعاء عاصمة لها٠ وظلت زبيد لواء الى ان عاد الاتراك مرة ثانية سنة ١٢٦٤ هـ

واتخذوا صنعاء عاصمة والحديدة لواء حيث ظهرت كميناء تجاري لليمن حتى كان جلاؤهم سنة ١٣٣٦ هـ - ١٩١٨ م وبعدها دخل اليمن في حكم الامام المتوكل على الله يحيى بن محمد حميد الدين فأصيبت زبيد ما أصاب اليمن من تخلف وفقر وتشرد وانهيار اداري وتعثرت صناعيا وتجاريا وعلميا واداريا رغم شهرتها التاريخية وطابعها الحضاري وطموحاتها في اعادة مركزها العلمي والصناعي والزراعي والاداري.

مظاهر الحضارة في زبيد

اولا : جامعة الاشاعر :

امتازت زبيد في العصر الاسلامي بالطابع الحضاري الاسلامي في شتى عصورها بالعلم ابتداء بأبي موسى الاشعري وفقهاء قبيلة الاشاعر الى عام ٢٠٤هـ . بدأت في النمو عندما اختط زبيد محمد عبد الله بن زياد وبرفقته محمد بن هارون التغلبي الذيتولى القضاء والافتاء فأنجب ذرية حذوا حذوه في بناء الفكر الاسلامي ، وعرفوا لقبا ببني عقامة .. منهم العلامة الحسن بن محمد بن أبي عقامة ، وأبو الفتوح علي بن محمد بن علي بن أبي عقامة التغلبي .

وتعتبر المدرسة العصامية في العهد النجاحي احدى مدارس جامعة الاشاعر .. كان من مدرسيها محمد بن عبد الله بن أبي عقامة الحفائلي،ومحمد عبد الله الاباري ونصر الله الحضرمي..ومن خريجيها عمارة ابن زيد الحكمي اليمني .

ومن ثم ازدهر الفكر الاسلامي في المذاهب الاربعة ومن أشهر العلماء منهم عمر بن عاصم ومحمد بن دحمان اللذين اشتهرت بهما المدرسة الدحمانية والعاصمية في العهد الايوبي والعلامة ابن حنكاش في المدرسة المنصورية والعلامة أبو الحسن بن عبد الله بن المبارك الزبيدي مؤلف تجريد صحيح البخاري الذيقالفيه العلامة المصري محمد بن محمد الجزري حين وصل زبيد سنة ٧٢٨هـ :

عذلوني لما دخلت زبيدا
قلت عذل العذول غير مفيد

فالبخاري الصحيح لم يك يروى
عاليا عن سوى طريق الزبيدي

وفي العهد الرسولي برز كبار علماء زبيد لما لهذا العهد من نشاط علمي ، أشهرهم محمد عبد الله الرمي مؤلف كتاب التفقيه على شرح التنبيه في أربعة مجلدات ، قدمه للملك المجاهد الرسولي عندما نزل زبيد خصيصا تكريما للعلم مع جمهرة منالعلماء محمولا في طبق محفوفا بالحرير ، فأكرمه الملك بأربعة شخوص ذهبية مكتوب على كل مشخص :

اذا جادت الدنيا عليك فجد بها
على الناس طرا قبل أن تتفلت

فلا الجود يفنيها اذا هي أقبلت
ولا البخل يبقيها اذا هي ولت

ومن تلاميذه شيخ الاسلام أسماعيل بن

أبي بكر المقري الشاوري الذي يعتبر معجزة هذا العصر بعلمه ومؤلفاته الشهيرة التي منها كتاب الارشاد في الفقه ، وعنوان الشرف الوافي الذي يشمل خمسة فنون في علم الفقه والتاريخ والنحو والعروض والقوافي وله ديوان شعر يعتبر من فحول الشعراء ٠

والعلامة المجد الفيروزابادي قاضي قضاة زبيد ، مؤلف القاموس المحيط وكتاب الاصعاد الذي حمله الى الملك الاشرف مرفوعا بالطبول والمغاني يتقدمه جمهرة من العلماء والطلبة ، يحتوي على ثلاثة مجلدات ، يحمله ثلاثة رجال على رؤوسهم ٠٠ ولما دخل على الملك الاشرف تصفحه فأجازه بثلاثة آلاف دينار ٠

العلـم :

ومن العلماء حمزة بن عبد الله الناشري ٠٠ ومؤلفه البستان الزاهر في طبقات بني ناشر ٠ انتهاز الفرص في الصيد والقنص ٠ مسالك التحبير في مسائل التكبير ٠ والايضاح على الحاوي ٠

والعلامة شيخ الحنفية ابو بكر بن علي الحداد وله مؤلفات عدة منها تفسيره للقرآن يسمى تفسير الحداد ٠ والعلامة احمد بن موسى الجلادي مؤلف استنباط الصناعة الجبرية ٠ والعلامة ابراهيم بن عبد الرزاق ابن ابي بكر الازرق في الطب ٠ والملك المظفر في الطب ومؤلفه « المعتمد » وفي الفلك « تسيير الكواكب » وابن الملك الاشرف الاول مؤلف « الجامع في الطب » ٠ وفي الزراعة كتابه المسمى « ملح الملاحة في معرفة الفلاحة » ٠ والملك المجاهد واشهر مؤلفاته « بغية الفلاحين في الزراعة » ٠ والعلامة ابو الخير منصور الشماخي السعدي الحضرمي ٠

ومن العلماء برز محدث الديار اليمنية والمؤرخ الكبير عبد الرحمن بن علي الديبع ومن مؤلفاته « تيسير الاصول في الحديث » و « تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث » ٠٠ وفي التاريخ « قرة العيون في اخبار اليمن الميمون » ٠ و « بغية المستفيد في أخبار زبيد » ٠

والعلامة احمد الطنبداوي ، والطاهر بن حسين الاهدل ، والعلامة عمر بن عبد الوهاب الناشري ، وموسى بن محمد الضجاعي ، ومحمد صديق الجابي ، ومحمد بن يحيى المطيب واسحق بن محمد جغمان والفقيه أبو بكر بن عبد القادر مهير وأحمد بن عمر المزجد ، ومفتي زبيد سعيد عبد الله الكيودي ، وعبد الرحمن بن عبد الكريم بن زياد المقعري ومؤلفه في « الجبر والمقابلة والخطأين والعمل بالغربال والفرائض » ٠ واحمد بن موسى الضجاعي ومؤلفه «القول بالمحظور» ٠ واحمد بن عبد الله السانه ومؤلفه «التفاحة في علم المساحة » ٠ ومحمد بن زياد الوضاحي ومؤلفه « ايقاظ الوسنان في علم الجبر والمقابلة والمساحة » ٠ وأبو بكر علي البطاح ويحيى بن عمر الاهدل ، وأحمد بن محمد خليل ، والعلامة سليمان بن يحيى الاهدل ، ومحمد شريف مقبول ، ومحمد بن محمد يعقوب مرتضى الحسيني الزبيدي مؤلف «تاج العروس» ، وعبد الخالق بن الزين المزجاجي ، وعبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي وعبد الخالق بن علي المزجاجي ، وعبد الرحمن المشرع ، وعبد الله بن عمر خليل ، وعثمان بن علي الجبيلي ، وعبد الله بن سلمان الجوهري ، وعبد الله بن سليمان الاهدل مؤلف « النفس اليماني في اجازة القضاة اولاد محمد علي الشوكاني » ، و « قلائد الخرائد في فوائد الفوائد » ٠

وبرزت الفتاة في مجال العلم والتعليم أمثال

فتاة حمزة بن عبد الله الناشري ، وأسماء بنت موسى الضجاعي ، وعائشه أحمد الطنبداوي ٠٠ وكثيرات من فتيات زبيد مارسن التدريس في علم الفقه والتفسير والحديث لفتيات عصرهن٠

وظلت الحركة العلمية بزبيد في مدارسها ومعاهدها وأربطتها ومساجدها خاصة : الاشاعرة ، والجامع الكبير الى سنة ١٣٥٥ هـ حيث بلغ آخر رقم قياسي لطلاب العلم خمسة آلاف مهاجر من جميع أنحاء اليمن والحبشة واريتريا والصومال وأندونيسيا على نفقة الاوقاف التي شرطت لطلاب العلم والعلماء وبناء المساجد والمدارس العلمية٠

ثانيا :

في مجال التجارة والصناعة والزراعة:

اشتهرت زبيد كمركز تجاري وصناعي وزراعي مكنها من ذلك موقعها الجغرافي - والسياسي ٠٠ اذ أثبت لنا التاريخ الحركة الصناعية في مجال التصنيع الوطني ٠ أهمها الحياكة - الغزل والنسيج - ، اذ كانت المدينة تزخر بالمصانع اليدوية في العهد النجاحي بالقرن الخامس الهجري الى سنة ١٣٥٥هـ حيث بلغت مصانعها مائة وخمسين مصنعا ومن انتاجها القماش والمحشا بالحرير والقطن والفوَط وتصدير ذلك لجميع أنحاء اليمن وغيرها ٠

و في القرن العاشر الهجري دخلت زبيد صناعة أخرى عن طريق الهند حينما غزت أوربا الهند واتخذتها موقعا تجاريا فكانت تستورد زبيد النيلة الزرقاء المسماة بالانجليزية « انديجو » والبز الابيض المسمى بالمركني وتصبغ بمصانع زبيد المسماة بالمصابيغ التي بلغت أكثر من مائة مصباغة ٠ وصبغ البز الابيض بالنيلة الزرقاء والحور الوطني الذي كان يزرع بوادي زبيد وتلوين البز بهذين النوعين بعد غسله بالماء المغلي وضربه بآلات خشبية من شجر الثمر الهندي لكي يزيده لمعانا ومتانة ليكون ضد البرد ويرسل الى المناطق الجبلية ، حيث اصبحت صنعاء وذمار وحجة وصعدة مراكز تجارية لزبيد الى أن غزت العالم الحضارة الاوربية بعد الحرب العالمية الثانية حيث بدأت زبيد تتقلص صناعيا سنة ١٣٦٥هـ وكسدت تجارتها وصناعتها ٠ الى جانب صناعة: الحلويات والحصير والخزف وزيت السمسم ودبغ الجلود وصياغة الذهب والفضة ٠

ثالثا :

الزراعة :

اشتهرت زبيد بواديها الخصب بالزراعة٠ واهتم الفلاح الزبيدي بالزراعة بخبرته وتجاربه في الزراعة في مواسمها بالذرة البيضاء والحمراء والدخن والسمسم والحور والرومي المسمى الهند والقطن والفاكهة كالموز والعنب والعمبا والرمان والليمون والتين ٠٠ والخضر كالباميا والطماط والحبحب (المسمى دبا) والزهور كالورد والياسمين والفل والكاذي والنرجس ٠٠ والاهتمام بشجر النخيل الذي يعد المصدر الوحيد في الصيف٠ واشتهرت زبيد بمصيف النخيل وموسمه المسمى (سبوت النخيل)،

التي كانت تصل اليه الوفود الشعبية والرسمية للاصطياف والتجارة في مناطق النخيل وشجعته الدولة اليمنية الرسولية ٠ ومصيف آخر في الوادي المسمى مصيف العصيد بالوادي ٠

الموانىء :

شهدت زبيد حركة تجارية ، اذ كان لها ميناءان طبيعيان ساهما في التطور التجاري:

الاول : ميناء غليفقه ، والثاني : ميناء الفازه الى جانب ميناء المخا والخوخة ٠ غير أن ميناء الفازة اهتمت به الدولة الرسولية وخاصة الملك الناصر احمد الرسولي الذي استقبل السفرة (الخبراء) الصينية سنة ٨٢٤ هـ في الفازة لتحسينه وظل مصدرا لمنتجات زبيد المصدرة والبضائع المستوردة الى عهد قريب ٠

ويعتبر ميناء الفازة طبيعيا وجميلا صالحا للاصطياف حيث كان ينزل فيه ملوك الدولة الرسولية للاستحمام فيه ٠ وبجواره عين ماء حلو يغتسل فيه المستحم بعد ان يستحم في البحر لكي يزيل عنه ملوحة البحر ٠ ويمتاز بالتربة الصالحة للزراعة ٠٠ وبساحله النظيف ٠

خامسا :

التراث العمراني :

أولا ـ المساجد :

اتسم الطابع الحضاري في زبيد بالمساجد والمدارس فقد بلغت في عهد الملك الاشرف الثاني الرسولي سنة ٧٩١هـ مائتين وستة وثلاثين مدرسة ومسجدا ٠

وأهم المساجد : جامع الاشاعر والجامع الكبير أسسهما أبو موسى الاشعري ـ وجددهما الامير الحسين بن سلامة ثم الجامع الكبير الذي جدد في سنة ٣٩١ هـ ثم قام المبارك ابن منقذ ببناء الجامع الكبير في سنة ٥٧٤هـ ثم قام سيف الاسلام طغكتين الايوبي بتوسيع الجامع الكبير بشكله الحالي بالجناح الشرقي والغربي والمؤخر والمنار والمنبر/الذي هدمه مدير الاوقاف محمد حاجب سنة ١٣٨٩هـ يعتبر من أروع المنابر لايماثله منبر باليمن/ ـ سنة ٥٧٩ هـ فالملك الظافر عامر بن عبد الوهاب بالقرن العاشر الهجري وفي سنة ١١٨٥ هـ أمر الامام المهدي العباسي باصلاح العقود وانتهت سنة ١١٨٨ هـ ٠

أما الاشاعر فجدد عمارته الحسين بن سلامة سنة ٤٠٧ هـ فالامير خازنادار برقوق سنة ٨٣٢ هـ في العهد الرسولي وفي سنة ٨٩١ هـ جدد عمارته الملك المنصور عبدالوهاب ابن طاهر وفي عام ١٢٧٦هـ في العهد التركي الثاني جددت عمارته ومسجد القائد سرور الفاتكي المشهور باسمه الى الان ٠

ومن المدارس ٠٠ المدرسة العصامية في العهد النجاحي والمدرسة العاصمية والدحمانية والهكارية ومدرسة الميلين في العهد الايوبي ٠٠ والمدرستين المنصوريتين المسماة بالعلويتين للملك المنصور عمر بن علي بن رسول ٠ والمدرسة الفرحانية عمرتها

الحرة جهة الطواشي فرحان أم الطاهر الرسولي. فالمدرسة الياقوتية.. والفاتنية .. والمدرسة الشمسية المسماة بالغضنية جددها محمد بن احمد عبد الله الغضين سنة ٩٤١هـ .

ومدرسة الكمالية ، لكمال الرومي سنة٩٢٧هـ ومدرسة الاسكندرية لاسكندر موز سنة٩٤٥هـ ومصطفى باشا بالقرن العاشر الهجري ومدرسة الجعامنة لاسحاق بن محمد جعمان سنة ١٠٠٠ هـ ومسجد يحيى بن عمر الاهدل ورباطه المشهور بالقرن الحادي عشر الهجري. والمدرسة المنصورية المسماة بالوهابية لعبد الوهاب بن طاهر بالقرن التاسع الهجري، وقد بلغت المساجد والمدارس في عهد الملك الاشرف الثاني اسماعيل الرسولي مائتين وثلاثين مسجدا ومدرسة . وتبلغ الان حوالي ثمانين مسجدا ومدرسة.

السور والابواب :

أول من سور مدينة زبيد الحسين بن سلامة في القرن الرابع الهجري ، فالامير سرور الفاتكي في منتصف القرن السادس الهجري على اثر غارات علي بن مهدي وحفرت الخنادق . وفي سنة ٥٨٩ جدد عمارته الخليفة طفتكين بن أيوب وفي سنة ٧٩١هـ جدد بناء السور الملك الاشرف الثاني اسماعيل الرسولي وحفر الخنادق وفي سنة ١٢٢٢ هـ جدد عمارته حمود بن محمد الخيراتي.

ولمدينة زبيد أربعة أبواب :

الباب الشرقي :

ويسمى باب الشباريق نسبة الى قرية الشباريق الواقعة شرق المدينة.

الباب الجنوبي :

ويسمى باب القرتب نسبة الى قرية القرتب بوادي زبيد.

الباب الغربي :

ويسمى باب النخل نسبة الى حدائق النخيل وكان يسمى باب غليفقه .

الباب الشمالي :

ويسمى باب سهام نسبة الى وادي سهام .. وكان يخرج منه الملك نجاح الى مدينة الكدرا التي تقع بوادي سهام الذي يبعد عن زبيد بثمانين كيلو مترا والذي يسقي أراضي - كيلو ١٦ - بالقرب من الحديدة .

الدار الناصري الكبير :

يعتبر هذ االدار من أهم المآثر في زبيد ، حيث كان بساحته قصور الزياديين والنجاحيين وقصر الاعز الصليحي . وفي ٨٢٢ هـ عمر الملك الناصر احمد الرسولي الدار الكبير الذي عرف باسمه وهو مايشمل باب النصر والسجن وثكناته العسكرية والباب .. وبداخله بستان القصر حيث امتد اليه عين ماء جارية عمرت بالآجر والجبس فأهملت وتخربت العين عندما نضب الماء .. ويشمل القصر الآن دار الحكومة الحالي .. كما أنه كان يوجد عدة بساتين مثل بستان الراحة وبستان برقوق وعدة قصور مثل قصر السلاح وقصر الملكة علم أم الملك المنصور النجاحي بقرية المزيريفية.

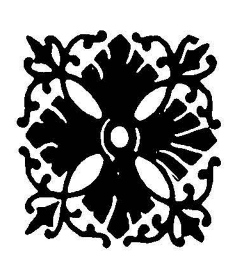
قصر شحار :

يقول ابن المجاور ص ٧٨: بنى شحار بن جعفر مولي محمد عبد الله بن زياد دارا في زبيد ذات طول وعرض بالآجر والجبس بناء وثيقا على مقاطع الطريق ، وكان من تولى زبيد سكنها وكان له بـاب عـال بالمـرة ينظرون منه من في الطريق على فرسـخين وحفر حوله خندق عريض وبقي هذا الباب على حاله الى أن هدمه المسعود بن يوسف ابن أبي بكر الايوبي سنة ٦١٨هـ ويقـال انما سعى في هدمه الامير ايبك العزيزي٠٠ فلما هدمه أخذ آجره وبنى بـه دارا وكلمـا بني من آجره انقطع ذلك البناء من الاساس أي هدم وقد بقي الى الآن آثار ذلك الباب والدرجة شبه الجبل العالي ٠

ثم عرف هذا الدار بدار نجاح وساحته الآن شمال أراضي العرق فوق مقبرة بنـي عقامة ويعتبر الفاصل بين حدود قبيلـة السلامة وقبيلة القراشية٠

وهناك عدة آثار منها مسجد الفازة ٠٠ على ساحل البحر ٠ ومسجد معاذ بن جبل براس وادي زبيد ٠ ومسجد أويس القرني أو عويسا الهتاري بقرية الحمى وبجـواره عدة مساجد ، وكان بجواره كنيسة بنيت قبل الاسلام هدمت في سنة ١٣٥٧ هـ وعمـر بآجرها مدرسة الفوز الابتدائية بالمدينة ٠٠ ومن المآثر آبار الملك الظـاهر يحيى بـن اسماعيل الرسولي قرب جبل الدايشر وعدة قصـور ٠٠ وجبل قونس بـه آثار مـن قبل الاسلام وتوجد آثار قصور للدولة الرسولية بنخل وادي زبيد تسمى بالعذيب وقصور شمال المدينة تسمى ساحتها الـى الآن بالقصر ٠٠ وآثار في قرية النويدرة المعروفة حاليا بالسطور ، ولاشك في أنها تحتاج الى تنقيب ومحافظة ٠





حول ثورة اليمن الأولى[1]

ياسين عبد اللطيف

مقدمة :

يرتبط الاحتلال العثماني لليمن ، أشد الارتباط بفتح مصر ، اذ مافرغ العثمانيون من فتح مصر عام ٨٩٥هـ ـ ١٥١٧ م ميلادي ، حتى حذوا حذو الدولة المملوكية في مدافعة الخطر البرتغالي عن البحار الشرقية ، او الحدود الجنوبية ((لممتلكاتهم)) في الشرق العربي ، اذ جعلوا من السويس قاعدة بحرية لعملياتهم في البحر الاحمر والمحيط الهندي ، والخليج العربي، وفي الوقت نفسه تطلع العثمانيون الى قاعدة بحرية أمامية تمكنهم من مهاجمة البرتغاليين في المحيط الهندي ومن السيطرة على البحرالاحمر واغلاقه في وجه الدول الاوربية فكانت هذه القاعدة هي اليمن وخصوصا عدن ..

في سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م ، أرسل السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد قوة بحرية كبيرة ، لمطاردة البرتغاليين وغيرهم الذين كان أمرهم قد استفحل في البحر الاحمر . وكان على رأس هذه القوة ـ الحملة ـ والي مصر سليمان باشا الخادم . وكانت قوة كبيرة ، اذ تألفت من ثمانين سفينة . ولما سمع بذلك عامر بن داوود بن طاهرالطاهري وكان بعدن ، وقد طمع بمساعدة سليمان باشا له على الامام شرف الدين وولده المطهر . وكتب الى الامام شرف الدينوولده المطهر . وكتب الى الباشا مراد بذلك فرد الجواب الى سليمان باشا مظهرا استعداده. وسار الباشا الى عدن ، واول عمل قام به الباشا هو قتل عامر بن داوود الطاهري ثم سار بعد ذلك الى زبيد وأمر بقتل الناخوذة أمير الجراكسة ، وكان نائبا عن ولد الاسكندر ـ أميرهم السابق ـ . وانضم بعد ذلك جميع جنود الجراكسة الى الجيش التركي ، ثم عين مصطفى باشا وأمره بفتح تعز ، ثم عيّن مصطفى باشا نشار وهو أول وال عثماني يعينه السلطان سليمان القانوني على اليمن عام ٩٤٦هـ ـ ١٥٤٠ م على اساس التفاهم مع الامامة الزيدية .

ونجح مصطفى باشا في مهمته ، وتمتعت اليمن في عهده ٩٤٦هـ ـ ١٥٤٠م ، ٩٥١هـ ـ ١٥٤٥م بالهدوء النسبي والاستقرار بدون ثورات تذكر . ثم انفصل عن حكم اليمن ، وعين أويس باشا وكان مملوكا للسلطان سليم ابن بايزيد ، فقصد الى تعز وفتحها واقام عليها أزدمر باشا ، وعاد هو الى زبيد حيث قتله حيدر باشا أحد أمراء الجراكسة . وفي سنة ٩٦٢ هـ عزل أزدمر باشا وعين بدلا عنه مصطفى نشار ثم مصطفى باشا وقد تولى حكم اليمن بعد الباشا مصطفى الوالي محمود باشا ثم رضوان باشا .

ومهما قلنا عن الهدوءوالاستقرار فالعلاقة تبقى قائمة على اساس انها علاقة لصالح المحتل . فلم يلبث ان اصطدم الولاة العثمانيون بالائمة الزيدية عندما راح هؤلاء الولاة يمارسون سياسة التوسع في أنحاء اليمن المختلفة . والواقع انه كان على هؤلاء الولاة ان يحاربوا في جبهتين في اليمن : جبهة شمالية ضد الائمة الزيدية ، وجبهة جنوبية ضد القبائل اليمنية التي خرجت على طاعة العثمانيين في جنوب اليمن وطردتهم من عدن .

نعود للقول : ففي ايام رضوان باشا انتقض الصلح بين الاتراك والمطهر بن الامام شرف الدين سنة ٩٧٣هـ ـ ١٥٦٥ م . اذ قام المطهر بفتح معظم البلاد اليمنية، التي كانت بأيدي الاتراك ، كما حاصر مدينة صنعاء . وخلال هذه المدة خرج من عاصمة السلطنة مراد باشا ووصل الى تهامة وحاول فك الحصار عن صنعاء . فتوجه نحو مدينة ذمار ، فأرسل المطهر بن الامام شرف الدين ، الشيخ أحمد البَعداني في جماعة من اصحابه التقت بالباشا مراد في الشلالة فقتله وحزت رأسه ، وارسل الى المطهر الذي أرسله بدوره الى الاتراك المحاصرين في صنعاء والذين استسلموا بعد ذلك. ثم عقد الصلح مع المطهر بن الامام شرف الدين حينئذ .

ثم قام المطهر بفتح مدينة تعز وبلادها المجاورة وأرسل قوة من رجاله لفتح مدينة زبيد ، ولكنه لم ينجح هذه المرة ، ودخل أصحابه مدينةعدنولبثوا فيها نحو سنتين.

وفي سنة ٩٦٦هـ ـ ١٥٥٨م ، خرج حسن باشا ـ ومن المعلوم تاريخيا ان سيطرة العثمانيين اخذت في الاضمحلال والتدهور بعد حملة حسن باشا ـ حتى أنه لم يبق خلال ولايته سوى زبيد وبعض المناطق التهامية والتي تصل بينها وبين البحر الاحمر .

وكما قلنا خرج حسن باشا وعثمان باشا الى اليمن بقوة عظيمة وكبيرة واستطاعا « استرجاع » مدينة تعز وغيرها من المدن والقرى .

غير ان السلطان سليم بن سليمان ، أرسل حملة كبرى بقيادة سنان باشا لاعادة السيطرة العثمانية على اليمن ، وتسمى

هذه الحملة بالاحتلال العثماني الثاني لليمن خلال العصر العثماني الاول ٩٤٥-١٠٤٥ هـ وغادرت الحملة مصر قاصدة ينبع ، حيث انزل معظم أفراد الحملة ٠ ومن الحجاز زحفت الحملة برا الى اليمن وفي طريقها اخضعت جيزان ، ثم استولت على تعز وقلعتها الحصينة وفرضت حصارا بريا وبحريا على عدن مما ادى الى سقوطها في أيدي العثمانيين ، ولم يلبث سنان باشا أن وجه أنظاره صوب منطقة وسط الهضبة اليمنية ورغم وعورة المنطقة ومناوشات اليمنيين ومهاجمتهم مؤخرة الجيش العثماني الزاحف فقد استطاع سنان باشا ان يستولي على ذمار ومعظم جهات وسط الهضبة ، ثم دخل صنعاء بعد ان تنحى عنها المطهر بن شرف الدين الى ثلا وأمر أهل صنعاء بمواجهة سنان ٠ ولكن بعد دخول سنان باشا صنعاء اتجه الى ثلا لمحاربة المطهر فحاصره أياما عديدة ولم يستطع احراز أي نصر عليه ، وعندما أيقن من يأسه عقد معه صلحا وعاد الى مقره في السلطنة ٠

ومن الاسباب التي جعلت سنان باشا يعقد الصلح هي المقاومة اليمنية العنيفة بزعامة المطهر بن شرف الدين ، وبذلك اضطر القائد العثماني الى توسيع جيوشه على الاقاليم اليمنية المختلفة ، وعدم ارسال امدادات من مصر الى اليمن ، ومن بنود اتفاقية الصلح اعتراف المطهر بالسيادة العثمانية وقبوله وجود حامية عثمانية رمزية في صعده ٠

وفي سنة ٩٧٨ هـ - ١٥٧٠م ، عين بهرام باشا واليا على اليمن ، وفي أيامه من قبل سنان باشا ، ثم غادر اليمن عائدا الى الاستانة ٠

وفي عهده توفي المطهر بن شرف الدين عام ٩٨٠هـ - ١٥٧١ م ، ثم عين بعد ذلك في سنة ٩٨٤هـ - ١٥٧٦م ، لولاية اليمن الباشا مراد ، ثم عين بعده لولاية اليمن ، الوزير حسن، الذي فتح معظم البلاد اليمنية، وفي ايامه ألقى سنان القبض في بلاد الاهنوم على الامام الحسن بن علي بن داوود٠

وقد قام في سنة ٨٩٦هـ - ١٥٧٨م ، ومن جبل الاهنوم الامام الحسن بن علي بن داوود بن الحسن بن الامام الهادي بانتفاضة عارمة ، وقد استمر في حروبه مع الاتراك الى سنة ٩٩٣هـ - ١٥٨٥م ، ثم أسره كما ذكرنا سنان باشا أيام الوزير حسن٠

وبعد وفاة الامام المطهر بن الامام شرف الدين في سنة ٩٨٠هـ - ١٥٧١ م ، قام اولاده من بعده بالثورة على العثمانيين ، وهم لطف الله ، وغوث الله ، وحفظ الله ، وعلي يحيى٠ ولكنهم لم يستطيعوا الصمود ولا الاتحاد والتنسيق مع بعضهم البعض بل تفرقت مصالحهم والفردوا بولاياتهم ٠٠واسباب هذا التفرق كانت هي العامل الاساسي في خسارتهم في الاحداث التالية ، تفرقوا جميعا حتى حق فيهم قول الشاعر:

وتفـرقوا فرقا ، فكل قبيـلة
فيها أمير المؤمنـين ومنبـر

وبعد حروب طويلةألقي القبض علىأولاد الامام المطهر بن شرف الدين ، بعـد أن حوصر لطف الله فيذي مرمر ، وغوث الله في حصن عفار ، وعلي يحيى بجبل مسور ، وبعد أن جمعوا في صنعاء أرسلوا مع الامام الحسن بن علي بن داوود ، تحت الحـفظ الى السلطنة في الاستانة سنـة ٩٩٤هـ ـ ١٥٨٦ م ، حيث لم يعد منهم أحد ، وماتوا هنـاك ٠

وعلى هذا النحو كما رأينا عادت السيطرة العثمانية الى اليمن مرة اخرى على يدسنان باشا ٠ وحرص الولاة العثمانيون في السنوات التالية على الاحتفاظ بهذه السـيطرة ، فاتبع بعضهم سياسة الشدة والعنف مـع الاهالي ، مثل بهرام باشا خلال خمس سنوات من حكمه ، واتبع البعض الاخـر سياسة اللين والتودد الى الاهالي ورفــع المظالم عنهم مثل الوالي مراد باشا ،اللين أحيانا والشدة احيانا أخرى ٠ والواقع ان حسن باشاكان من أكفأ ولاة اليمن العثمانيين من النواحي السياسية والادارية والحربية٠ فقد عمد لاخماد الثورة الى تقريب اليمنيين اليه باستخدامهـم في بعـض الوظائـف ، واستمالة رؤساء ومشايخ القبائل ببـذل المال ونفح الهدايا وابدى في الوقت نفسه الاستعداد والاهتمام الجاد لاخماد حركات العصيان في المناطق الجبلية ٠ ولكن اليمن لن يسكت وسيطرد العثمانيين في عام ١٠٤٤هـ ـ ١٦٣٥م على يد الامام المؤيد وستبنى دولة الامامة الزيدية ، وبذلك تكون نهاية الفترة الاولى من الحكم العثماني لبلاد اليمن وفيه كانت الثورة الاولى للشعب اليمني العظيم ٠

★

بعد الاستعراض لاهم الاحداث التـي وقعت خلال فترتي الاحتلال العثماني لبلاد اليمن وأهم الحركات التي تصدت لمقاومة هذا الغزو ، لابد ان نقف عند أهم سبـب ادى الى ضعف الدولـة في اليـمن وتغلغـل العثمانيين في البلاد ٠

وهذا السبب هو ظهور الخلاف بين الامام شرف الدين وأولاده وخاصة خلاف المطهر بن شرف الدين وأخيه شمس الدين ، مما أدى هذا التوتر والقطيعة التي حصلت الى ضعف قوتهم وبأسهم ٠ لان نتائج الحملة الاولى عسكريا اقتصرت على :

١ ـ السيطرة على مناطق السواحل اليمنية فقط من شمال جيزان الى عدن جنوباً وأما **المناطق الداخلية في اليمن فقد بقيت تحـت حكم وسيطرة الزيديين بزعامة الامام شرف الديـن ٠**

٢ ـ في هذه الفترة تمّ انتزاع عدن مـن أيدي الطاهريين ،وضمها للسيطرة العثمانية ثم نقل السلطة في زبيد والمناطق التهامية من أيدي المماليك الى أيدي موظفين عثمانيين الذين يتم تعيينهم مباشرة من الاستانة٠

وبعد ظهور الخلافات التـي ذكـرنا تم لسنان باشا الذي قاد الحملة الثانيـــة السيطرة على كامل مناطق البلاد ماعـدا المنطقة الشمالية الجبلية للمقاومة العنيفة من قبل الامام بن شرف الدين واولاده ولكن سرعان ماتمت له السيطرة على البلاد كما رأينـا ٠

هذه بعض لمحات من تاريخ اليمن في ظل الاحتلال العثماني ، وسنوالي قدر الامكان رصد الثورات التي أدت الى خروجهم مـن البلاد واستقلال اليمن عام ٩٧٣هـ – ١٦٣٥م وبذلك تكون أول ولاية عربية مستقلة بعـد احتلال دام قرنا كاملا ٠

ــ مصادر البحث :

١ ــ تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن فيحوادث وتاريخ اليمن .
المؤلف عبد الواسع بن يحيي الواسعي.
القاهرة ــ المطبعة السلفية.

٢ ــ المقتطف من تاريخ اليمن .
المؤلف : عبد الله بن عبد الكريم الجرافي.
القاهرة ــ مطبعة عيسى البابي .

٣ ــ الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب .
المؤلف الدكتور السيد رجب حراز.
القاهرة ــ المطبعة العالمية ١٩٧٠ .



معاصر سرق مخطوطاً يمانياً

● كان الاعتقاد السائد في أوساط المثقفين، والباحثين خاصة، هو ان السرقات الفكرية والادبية والعلمية، قد اقتصرت على الغربيين في العصور الوسطى، من امثال ليوناردو البيزي أو قسطنطين الافريقي (١٠٢٠ - ١٠٨٧ م) ٠ فلقد عرف الاخير، على سبيل الذكر، بسرقات مشهورة للمؤلفات العربية العلمية، أشهرها سرقته لعلي بن العباس المتوفى عام ٩٩٤ م ٠ وهو كتاب «كامل الصناعة في الطب»، الذي قام قسطنطين بتغيير اسمه وترجمته الى اللاتينية ترجمة ممسوخة ٠ لذا عرف الكتاب عند الغربيين بعنوان «الكتاب الملكي» ٠

وغير هذا المثال: كثير في تاريخ العلوم العربية ٠

وكان الاعتقاد الثاني في زماننا التجاري هذا هو جنوح دور النشر الخاصة الى تصوير ماهو هام ومطلوب من الكتب التراثية المحققة ٠ كما كانت عليه مكتبة المثنى ببغداد ٠ ونعترف ان هذه المكتبة وفرت على المثقفين والباحثين معا كتبا ماكان بامكاننا ان نحصل عليها الا بعد مشقة في الطلب وهدر في الوقت والمال ٠ وكانت (المثنى) أمينة في تصويرها ٠٠

غير ان دور النشر التجارية ببيروت بدأت في السنوات القليلة الماضية بتزوير جهود علماء ومحققين معروفين ٠ كما صنعت دار الآفاق الجديدة حين اصدرت كتاب «رسائل فلسفية - مضاف اليها قطعا من كتبه المفقودة» لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي ٠ اذ صدر الكتاب بتوقيع «الناشر» من غير ذكر للجهود العلمية المضنية التي بذلها المحقق الاصلي وهو المستشرق بول كراوس (١٩٠٤ - ١٩٤٤) م ٠

وليس بول كراوس مجهولا في دنيا الاستشراق بل انه من المستشرقين القلائل المعروفين، خاصة وانه اشتغل بالتدريس في جامعة القاهرة بين عامي (١٩٣٦ - ١٩٤٤م) وحين يذكر اسمه تنهض في الذاكرة مجموعة من الاعمال التي أنجزها بما فيها الكتاب المذكور - انظر على سبيل المثال كيف عرفته الموسوعة العربية الميسرة، الصفحة ١٤٤٧، ط ٢ ٠ واعلام الزركلي، الصفحة ٤٢، المجلد الثاني، الطبعة الرابعة ١٩٧٩م - وماقيل عن كراوس يقال ايضا عن دي خويه وتزوير جهوده في تحقيق اشهر كتب الرحلات العربية ٠

●● ولكن البادرة الخطيرة التي «فعلها» احد المعاصرين تقتضي وقفة طويلة ٠ لان

هذه البادرة قد تنقلب الى ظاهرة اذا لم تكشف بعناية ووضوح . فالوطن العربي مازال مليئا بالمخطوطات العلمية والادبية الهامة ، بل والمجهولة حتى لدى الباحثين والمختصين في التراث العربي . ومع ان هذا « المعاصر » يدعي نسبا الى اليمن الا أن هذا لايغير من نظرتنا اليه حتى ولا أقل من قطر ذرة في الكون . فلقد عرف العرب عموما باضافاتهم ومنجزاتهم ، وحين كان بعض الكتاب العرب ، في العصر الوسيط ، يشعرون بدبيب فيلسوف يوناني أو هندي في مؤلفاتهم كثيرا ما وجدناهم ينسبون الكتاب كاملا لذلك الفيلسوف . رغم ان الباحثين المعاصرين قد تحققوا من أن ذلك « الدبيب » لم يكن الا وهما صنعه الاحترام الخارق في اذهان بعض المفكرين العرب .

وأما هذا « المعاصر » فيستحق ، كما ذكرنا ، وقفة طويلة من قبل البيئة الثقافية التي يعيش فيها ـ منعا لظهور أمثاله .

القضية :

على غلاف كتاب عنوانه « الرسالة الزراعية في احكام المياه من الصبابات والاودية » ، طبع بالحرف الكبير أن « المؤلف » هو :

« القاضي محمد الفارع العبد الرحمن الحراني نسبا ، الصنوي مولدا ، اليمني بلدا ، الشافعي مذهبا ، غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين والمسلمين .. آمين » .

وتحت هذا التعريف طبع مايلي :

جمادي الاخرة ١٣٩٧ هـ

دار عكاظ للطباعة والنشر / جدة .

وفي الصفحة ٧٤ ورد بالنص أيضا مايلي :

« تمت الرسالة في ٢٩ شهر جمادي الثانية سنة ١٣٩٥ هـ » .

حقيقة القضية :

ان الكتاب بعنوانه المزور سابقا ليس الا الكتاب المخطوط الذي عنوانه **« كشف القناع في معرفة احكام الزراع » ، من تأليف: حسين بن ابي القاسم الاهدل .**

وحين يقرأ المرء في صفحات مخطوط « كشف القناع » يدرك اعتماد مؤلفه على آراء الفقهاء عامة واليمنيين بشكل خاص ، بل أن المؤلف حسين بن أبي القاسم الاهدل يعتمد على جده في كثير من المسائل .

ومن الامور الطريفة في طبعة عكاظ المزورة ـ والتي لاشك ان الغفلة هي مصدرها ـ قول الصفحة ٦٥ :

« ووجدت بخط سيدي الجد العلامة أبي بكر بن القاسم الاهدل مانصه .. قال » .

لعل بقاء هذه الكلمات في الطبعة العكاظية المزورة احالة غير مقصودة الى ان الرجل ليس محترفا وانه ربما كان أمينا في قاع نفسه لولا الدنيا وطلب الشهرة فيها .

ولقد ترجم الاستاذ الحبشي ـ مكتشف النص المسروق ـ / لأبي بكر ابن أبي القاسم بن أحمد الاهدل المولود سنة ٩٨٤ هجرية في الصفحة ٢١٦ من كتابه « مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن » ، وهو الجد الذي عناه حسين بن أبي القاسم الاهدل .

والذين يملكون الطبعة العكاظية سيلاحظون اختلافات في بعض الكلمات والاسطر ، مصدرها عدم اتقان القاضي الفارع قراءة المخطوطة ، وبشكل عام نرجو ان يحمل نشر المخطوطة مايفيد الباحثين العرب في هذا الجانب الهام من تراث العرب .

● التحرير

كشف القناع في معرفة أحكام الزّراع

تأليف

حسين بن أبي القاسم الأهدل

تحقيق

عبد الله الحبشي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مجري ينابيع المياه بحكمته ومفجر الانهار من صم الاحجار بقدرته ومبيحها لكافة خلقه بفضله ومنته ، ومنبت الزرع والنخيل والاعناب ارفاقا لبريته وجاعل معاناتها ذلك من أفضل مكاسب العبد وحرفته .

أحمده على وسيع آلائه وعطائه وهبته وأشكره على ترادف احسانه وسوابغ رحمته وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له في صمديته وربوبيته ، فسبحانه من متفضل متكرم على جميع خلقه بجميل لطفه ورأفته .

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده المبلغ لرسالته ، ونبيه المقرب قاب قوسين من حضرته ، صاحب الحوض المورود واللواء المعقود والشفاعة العظمى لامته . المبين طرق الحلال والحرام للخاص والعام من شبهته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وعترته ومن اقتفى أثرهم المحمود بحسن تبعيته وصدق طويته صلاة وسلاما دائمين بدوام أبديته .

وبعد : فاني لما رأيت أكثر مكاسب أهل زماننا ، أصلحهم الله تعالى ، الزراعة ، وأكثر اشتغالهم بمعاناتها فضلا على كل صناعة استخرت الله تعالى أن أجمع لهم طرفا لطيفا لاصول أحكامها جامعا ، وعن المغالبة والمظالمة لكافتهم مانعا ، ولقوانين الادلة الشرعية بحمد الله تعالى راجعا ، ولمقاصد هذا المطلب الضروري ان شاء الله تعالى نافعا ، وعلى تحقيق قواعده وضوابطه وماهيته ومبانيه واقعا .

وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى ينبغي لمن اراد الدخول في عمل من الاعمال أن يشتغل اولا بتعلم مايجب له قبل الدخول فيه لكونه في حقه فرض عين على الاجمال فمن اعتنى بهذا المنتخب اللطيف قاصدا لهذا الفن الظريف كفاه عن مراجعة المطولات وتتبع الاجوبة المطولة المتفرقة ، وكثرة المساءلات ..

وراعيت في جميع ذلك الاختصار بحسب الامكان (١) ،وأبرزته ذخيرة لأهل هذا الشان ، على اسلوب لم أسبق الى مثاله بل لم ينسج قبلي فيما علمت على منواله ، التقطته ، من مطاوي الكتب المعتمدة ، ومن متفرقات الاجوبة التي عزت الاحاطة بمراجعتها لكونها غير مرتبة ، عازيا الى كل مؤلف ، أو مجيب كلامه مبينا الخلاف الوارد فيما تضمنته أحكامه منبها فيه على نكت عزيزة ،وفروق جليلة بالاعتناء جديرة مع اعترافي بالقصور في جميع ذلك من مثل هذه المدارك والتقصير عن السلوك في هذه المسالك مع اولئك . ورتبته على مقدمة وستة مقاصد وخاتمة ، وسميته حين أتممته (بكشف القناع في معرفة احكام الزراع) ثم عنّ لي تلقيبه بمزيل الاطماع فيما يكثر دوره على الزراع ، وعزوته حين أبرزته بالنقول الصحاح فيما يجب تعلمه على الفلاح ومنه سبحانه وتعالى أستمد العون على اتمامه وحسن تقسيمه وتحقيق أحكامه وأن يشمله من فضله بالقبول فانه المرجو لكل مقصد ومأمول .

اللهم اني أسألك أن تجعل جمعي له خالصا لوجهك الكريم ومقربا الى جنات النعيم يا ذا الفضل العميم لا اله الا أنت رب السماوات السبع ورب العرش العظيم .

المقـــــــدمة

في معرفة حكم الانهار والسواقي المشتركة المياه المباحة بأن لم تملك من الاودية كالنيل والعيون في الجبال ونحوها من الموات وسيول الامطار يستوي الناس فيها لخبر أبي داود: (الناس شركاء في ثلاث ٠٠ الماء والكلأ والنار) وصح في ثلاثة لايمنعن الماء والكلأ والنار فلا يجوز لاحد تحجرها ولا لامـــام اقطاعها ، وعند الازدحام وقد ضاق الماء أو مشرعه يقدم السابق والا أقرع (★) ،وليس من المباحة ماجهل أصله وهو تحت يد واحد أو جماعة لان اليد دليل الملك٠

قال الاذرعي(١) ومحله ان كان منبعه من مملوك(٢) لهم بخلاف مامنبعه بموات ويخرج من نهر عام كدجلة فانه باق على اباحته٠ قلت ومثل تلك الاودية النازلة له من الجبال وان جرى عليها حكم المملوك كما هو ظاهر والله اعلم ويعمل فيما جهل قدره ووقتـــه وكيفيته في المشارب والمســـاقي وغـيرها بالعادة المطردة لانها محكمة في هذا وأمثاله ـ انتهى ٠

وعليه فكل أرض وجد في يد أهلها نهـر لاتسقى الا منه حكم لهم بملكه ، فلو تنازعوا في قدر أنصبائهم جعلناه على قدر الارض ـ انتهى ٠ وفي فتاوى السيد السمهودي(٢) رحمه الله تعالى مالفظه مفهـوم كـــلام الشيخين ٠ اذا رأينا في أرض ساقية من نهر مملوك ونحوه وأمكن سقيها منه ولها شرب من موضع آخر لايحكم عند التنـازع ان لها شربا من ذلك النهر وفي (الخادم)(٣) ان هذه المسألة مأخوذة من (التتمة) ، وعبارة التتمة اذا كان بالقرب من النهر أرض يمكن سقيها من النهر ، فان رأينا ساقية من النهر اليها يحكم بأن لها شربا من النهـر لان الظاهر يدل عليه وان لم يكن هناك ساقية ٠ فان كان لها شرب من نـهر آخر لم يجعل شربا من النهر عند التنازع ، وان لم يكن لها شرب آخر كان صاحبها شريكا لاهـل النهر ، لان الارض المعدة للزراعة لاتستغني عن شرب وليس للارض شرب آخر فدل ظاهر الحال ان شربها من النهر ٠ ـ انتهى ـ٠٠ وظاهره ان وجود الساقية كاف ، وان كان لها شرب من نهر آخر انما يعتبر عدم شرب من نهر آخر عند انتفاء الساقية ، وكـــان الشيخان استبعدا الاكتفاء بذلك بـعـــدم الشرب من نهر آخر في اثبات الشرب مـــن النهر المملوك وهو ظاهر البعد فاعتبر الجمع بين ذلك يعني عدم الشرب وبين وجـــود الســـاقية لان الغـــرض أن الســـاقية

★ اي الذي جاء دوره بالقرعة .

١ ـ هو احمد بن حمدان الاذرعي ولد سنة ٧٠٨ باذرعات الشام وبرع في علم الفقه وله من الكتب غنية المحتـاج شرح المنهاج وقوت المحتاج . ويسمى ايضا (القوت) اختصارا توفي سنة ٧٨٣ للهجرة .

(انظر ترجمته في الدرر الكامنة ج ١ ص ١٢٥ واعلام النبلاء ج ٥ ص ٨٦ والبدر الطالع ج ١ ص ٣٥ والاعلام ج ١ ص ١١٧) .

٢ ـ هو نور الدين علي بن عبد الله السمهودي ولـد في سمهود بصعيد مصر سنة ٨٤٤ واستوطن المدينة سنة ٨٧٣ وله فيها عدة مؤلفات منها « وفاء الوفاء باخبار دار المصطفى » وغيره ومن كتبه الاخرى كتاب جواهر العقدين في فضل الشرفين وكتاب الفتاوى وكتاب شفاء الاشواق فيمـا يكثر بيعه في الاسواق وسيتكرر ذكره في الكتاب . توفي سنة ٩١١ .

(انظر الضوء اللامع ج ٥ ص ٢٤٥ والنور السافر ٥٨ والاعلام ج ٥ ص ١٢٢).

٣ ـ كتاب سيتكرر ذكره وهو شرح على الروضة في الفقه وهو من تاليف العلامة محمد بن بهادر الزركشي المتوفي سنة ٧٩٤ وهذا الكتاب من اضخم الكتب الفقهيـة دخل الى اليمن سنة ٨٩٠ واحتفل به السلطان الطاهري ، انظر (بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد) للديبع بتحقيقي ص ٢١٣) ..

لم يعلم لصاحبها يد في السقي بها. فانما يقوى الاسناد اليها(٣) عند عدم الشرب من ماء آخر اما اذا عهد السقي لتلك الارض بتلك الساقية فلا اشكال بالاكتفاء بذلك ، وان كان لها شرب آخر - انتهى .. مافي فتاوى السيد السمهودي رحمه الله تعالى ، قلت وعلى هذا يحمل العمل فيما اذا كانت قطع متجاورة يسقى بعضها من بعض عند التنازع فليتأمل ذلك وهو ظاهر والله أعلم . ومن فتاوى العلامة المحقق عبد الرحمن بن عبد الكريم زياد(٤) رحمه الله تعالى بعد نقله ما في (الروضة)(٥) و (العزيز)(٦) اذا كانت هذه الارض دامرة ولها شريج ممتد الى الوادي حكمنا عند التنازع بأن لها شربا منه يعني النهرويكون وجوده دالا على اليد كما تقدم يعني عن (العزيز) و(الروضة) فلصاحبها أن يعمرها ويعمر شريجها ويسقيها وليس لاهل الارض السفلى منعه من ذلك ويقدم بالسقي عليهم حيث لم يعلم تأخر احياء الارض الدامرة على احياء الارض السفلى بأن أحييت الدامرة قبل السفلى أو جهل الحال وليس المراد باحيائها العمارة المذكورةوانما المراداحياؤها عند كونها مواتا والله اعلم .

قلت : وعليه فليس في البلاد الاسلامية موات لم يعمره المسلمون اصلا فلو أمكن وجوده أو شك في احيائه فماؤه النابع منه مباح ، واذا أحيي لزم تأخير سقيه وان كان هو الاقرب الى النهر كما علم ذلك مما مر وايضا فيملكه المحيي مع شك العمارة الاسلامية له وان وجد فيه أثر عمارة - والله اعلم ..

ويؤيده مافي فتاوى العلامة ابي العباس الطنبداوي(٧) رحمه الله تعالى حيث قال اذا كان أرض سبخة فيها أثر حياض الملح ولم يعرف لها مالك وهي بين حدود مملوك غربيها البحر ولم يدعيها أحد من اصحاب الحدود فانه يجوز احياؤها بغير اذن الامام حيث لم تملك قبل الاحياء ، ولم تكن حريما لمملوك. وليس وجود حياض في البقعة المذكورة دليلا على سبق الملك فيها لشخص مجهول ، وحينئذ فيجوز احياؤها والله أعلم -انتهى. (زيادةبيان لماسبق)وعبارة(الروضة)وأصلها كل أرض أمكن سقيهامن هذا النهر اذا رأينا لها ساقية منه ولم نجد لها شربا من موضع اخر حكمنا عند التنازع بأن لها شربا من النهر - انتهى ..

قال الشيخ العلامة أحمد بن حجر

---

٤ - من العلماء المحققين في اليمن ولد بمدينة زبيد سنة ٩٠٠ وتلقى علومه على جماعة من العلماء وله من الكتب الفقهية « الفتاوى » وتضم عدة رسائل وانظر رسالته (مزيل العنا) في هذا المجموع . توفي سنة ٩٧٥ (انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢١٢) .

٥ - كتاب الروضة في الفروع ويسمى ايضا : (روضة الطالبين وعمدة المتقين) تاليف ابي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفي سنة ٦٧٦ اعتنى به جماعة من العلماء بالشرح والاختصار .
- انظر كشف الظنون ج ١ ص ٩٢٩ - .

٦ - هو كتاب في شرح الوجيز في الفقه للامام الغزالي من تاليفعبد الكريمبنمحمد القزويني الرافعي المتوفىسنة٦٢٣هـ. يقول صاحب كشف الظنون : وقد تورع العلماء من تسميته بالعزيز مجردا على غير كتاب الله تعالى فقالوا : فتح العزيز .
- انظر كشف الظنون ج٢ ص ٢٠٣ - .

٧ - هو ابو العباس احمد بن محمد بن عبد العزيز الطنبداوي . ولد بزبيد سنة ٨٧٥ وأصله من طنطا بمصر واخذ عن جماعة من علماء اليمن واشتغل بالافتاء والتدريس توفي سنة ٩٤٨ - انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢١٠ - .

الهيتمي[٨] رحمه الله تعالى في (تحفته) بعد نقله لذلك : وافهم كلامهما أن ماعد لاجراء الماء فيه عند وجوده الى أرض مملوكة دال على أن اليد فيه لصاحب الارض التي يمكن سقيها منها سواء اتسع المجرى وقلت الارض او عكسه وسواء المرتفع والمنخفض ـ انتهى ٠٠ والله أعلم٠

المقصد الاول في احكام تعطيل المساقي :

اعلم وفقني الله واياك للصواب وجنبنا طرق الزيغ والارتياب انه حيث كان لأرض شرب من ماء مباح فأفتى بعضهم فيما اذا عطله آخر بأن احدث ماينحدر به الماء عنه بأنه يأثم ، وعليه أجرة منفعة الارض مدة تعطيلها لو سقيت بذلك الماء ٠ قال الشيخ ابن حجر الهيتمي رحمه الله تعالى وجرى عليه جمع متأخرون ، قلت وهذا هو المفتى به ، وسيأتي مايؤيده والله اعلم ٠

قال الشيخ ابن حجر عقب نقله لذلك في (تحفته[٩]) وليس بصحيح بالنسبة للاجرة لقولهم لو منعه عن سوق ماء الى أرضه فتلف غرسة أو زرعة لاضمان عليه ـ انتهى ٠ وانما ضمن فرخ حمامة ذبحها فهلك لانه كالجزء منها ـ انتهى كلام ابن حجر ٠

قلت ولعله جرى على مقتضى الروضة لانهم رجحوا خلافه فأفهم ، وها أنا أسوق لك ما يؤيد ماسبق نقلا عن فتاوى ابن زياد ولفظه ، من منع آخر ظلما من سقي أرضه أنه يأثم بذلك اثما مغلظا وترد شهادته حتى يتوب التوبة المعتبرة ، ويخاف عليه من سوء الخاتمة ، وتسقط عدالته ٠ ثم قال على قول السائل : وهل تجب عليه أجرة مثل الارض مسقية جوابه قال : يعلم مما نورده عن فتاوى العلامة الكمال الرداد[١٠] التي جمعها ولده العلامة فخر الدين رحمه الله تعالى فانه قال : مسألة في شرح (الارشاد الصغير)[١١](٥) لشيخنا بعد ايراده قول البلقيني[١٤] ، في (تدريبه) ولو منع الظالم المالك من سقي ماشيته أو غرسه ففسد فالارجح الضمان ، خلافا لما في الروضة ـ انتهى ٠

قال : وهل يقاس عليه منع الظالم المالك من سقي ارضه ليزرعها كما عمت به البلوى في زماننا رفعه الله عن المسلمين ، الظاهر نعم فيجب عليه ضمان المنفعة لكونه تسبب الى ابطال انتفاعه بأرضه ، ولايقدح في ذلك كون الماشية عينا محسوسة لان تقول المنفعة مال على الصحيح ، انتهى٠

قال : ومال الى مارجحه في (التدريب) البدر

---

٨ ـ من مشاهير الفقهاء ولد بمصر سنة ٩٠٩ وتصدر للعلم والتدريس وكان اكثر نبوغه في الفقه ، اشتهر بكتابه تحفة المحتاج شرح المنهاج وسيتكرر ذكره في الكتاب . توفي سنة ٩٧٤ ـ انظر النور السافر ص ٢٨٧ والاعلام ج ١ ص ٢٢٣ ـ .

٩ ـ يعني بها كتاب تحفة المحتاج السابق ذكره .

١٠ ـ هو من اجلاء العلماء وهو كمال الدين موسى بن احمد بن موسى الرداد ويعرف احيانا بابن الزين ولد سنة ٨٤٢ وتلقى علومه في زبيد وله عدة كتب فقهية ، اشهر كتبه الكوكب الوقاد شرح الارشاد وعدة فتاوى ، توفى سنة ٩٢٣ ـ انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٨ ـ.

١١ ـ الارشاد من اشهر كتب ابن المقري وهو في الفقه اختصره من كتاب الحاوي الصغير للقزويني وسياتي ذكر مؤلفه .

١٢ ـ هو عمر بن رسلان البلقيني ولد في مصر سنة ٧٢٤ وبرع في علم الحديث والفقه من كتبه (التدريب) في الفقه ولم يتمه وتصحيح المنهاج والملمات برد المهمات وغيره توفي سنة ٨٠٥ ـ انظر الاعلام ج٥ ص ٢٠٥ ـ .

ابن شهبة(١٢) وابن العماد(١٤) قال ابن أبي شريف وهو أي الضمان أوجه - انتهى.

قال ويتعين العمل به في هذه الاعصار أصلح الله أهلها - انتهى ، جوابه الموافق لما قدمته فاستفده وبالله التوفيق .

ومما يناسب ايراده ما أفتى العلامة عبد الله أحمد بامخرمة(١٥) رحمه الله تعالى انه لو فرض ان الارض لامنفعة لها تقابل شيء ككثير من الاراضي العاطلة لم يلزم المستولى عليها أجرة قال وهذا معلوم من قول الاصحاب رحمهم الله تعالى : لزمه اجرة المثل لان مثل هذه لا أجرة لها والله أعلم انتهى . وأفتى العلامة الطنبداوي رحمه الله تعالى فيمن بسط على أرض آخر مدة سنين بغير اذن صاحبها وفي بعض السنين يزرعها وفي البعض لم يحصل لها سقي انها تجب عليه اجرة المثل لجميع السنين التي بسط فيها على الارض فيجب في السنين التي سقيت أجرة مثل الارض ، ساقية ، والسنين التي لم يحصل فيها أجرة مثل الارض تستعمل لحفظ الدواب بها او لانتفاع يليق بالارض الواسبة ، ولا يجب في الواسبة أجرة الساقية بل اجرة تليق بالواسبة كما ذكرنا ولا يغلط فيقال ليس في الواسبة شيء والله اعلم - انتهى.

قلت والجمع بين الجوابين ظاهر فان جواب بامخرمة في ارض لاتصلح لشيء أصلا فلا يجب فيها شيء لذلك وهذه صالحة لكن تعذر الانتفاع بها ، فهو تفويت منه واستفد ذلك فانه مهم والله أعلم .

المقصد الثاني في أحكام الارض المشتركة وفيه بحثان(١٨) :

الاول - اذا كانت الشركة في قطعة واحدة مع تميز الاقسام وأخرب السيل او نحوه، قسم احدهما واعاده مالكه على وجه تنقض به الاخرى عن شربها المعتاد .

قال الشيخ ابن حجر في تحفته بأنه يجبر على اعادته كما كان فان تعذر ذلك وقف الامر حتى يصطلحا كما أفتى به بعضهم قال ابن زياد في (فتاويه) نقلا عن فتاوى الكمال الرداد رحمهما الله تعالى اذا كانت أرض سفلى تستحق السقي على أرض عليا فحصل في العليا خراب فلم يصل صاحب السفلى الى سقي ارضه الا بعمارة العليا انه يجب على صاحب العليا عمارتها قال ثم ذكر رحمه الله تعالى ماحاصله ان الزام صاحب العليا بالعمارة واضح ان كان بتقصيره في الخراب وان كان بغير تقصيره فيحتمل ان يكون الحكم كذلك لان كل واحد يستحق السقي على ملك صاحبه وعليه أن يوصله الى حقه ويحتمل خلافه والأوجه الاول - انتهى ما في فتاوى الكمال الرداد .

قال : والظاهر بوجوب العمارة على ناظر الوقف لكن من غلة الوقف وكذلك يجب على الناظر عمارة الارض الموقوفة للمحاماة

---

١٢ - هو بدر الدين محمد بن ابي بكر بن احمد بن قاضي شهبه ولد سنة ٧٩٨ له عدة شروح على المنهاج منها بداية المحتاج وارشاد المحتاج ، توفي سنة ٨٧٤ .
- انظر الضوء اللامع ج٧ ص ١٥٥ والاعلام ج ٦ ص ٢٨٤ - .

١٤ - هو احمد بن عماد الاقفهسي من الفقهاء ، له شرح المنهاج وغيره توفي سنة ٨٠٨ - انظر الضوء اللامع ج٢ ص ٤٧ والبدر الطالع ج١ ص ٩٣والاعلام ج١ ص ١٧٨ - .

١٥ - من اجلاء الفقهاء مولده بقرية الهجرين منحضرموت سنة ٨٣٢ وتلقى على جماعة من العماء وولي قضاء عدن له عدة كتب في الفقه توفي سنة ٩٠٣ .
- انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٧ - .

حفظا لها من الوادي الذي بجانبها والله اعلم ـ انتهى كلامه.

قال الشيخ ابن حجر في تحفته نعم الشريك في الوقف مجبر على العمارة على ما جزم به شارح ـ في مصطلح أهل المذهب ـ لان بقاء عين الوقف مقصودة وبحث الزركشي[16] تقييد القوانين بمطلق التصرف فلو كان لمحجور عليه ومصلحته في العمارة وجب على وليه الموافقة ـ انتهى.

قال ولا يحتاج لذلك لان القوانين في الاجبار لحق الشريك الاخر وهنا اجبار لحق المولى لحق الشريك الاخر ـ انتهى.

وفي (العباب) للقاضي العلامة احمد الامين بن عمر المزجد[17] رحمه الله تعالى .

فرع من له اجراء الماء في قناة بعضها في ارض غيره فتهدمت لزم مالك الارض اصلاح القناة اذا كان (٧) الاجراء حقا لازما عليه ـ انتهى .

وفي الروض للشيخ العلامة ابن المقري[18] رحمه الله تعالى ولايجب على مستحق اجراء الماء في ملك غيره مشاركته في العمارة ـ انتهى .

وأفتى بعض علماء وقتنا هو العلامة أحمد ابن علي الحشيبري[19] رحمه الله في قطعتين بينهما نازع يقيم مالكاهما في النازع جدلة للقطعتين ويسقيانهما دفعة واحدة فتعطلت احداهما بما لفظه ليس للحاكم اجبار صاحب القطعة المتعطلة عن العمارة لمنفعة الغير ولا لمنفعة نفسه ، كما لايجبر الحاكم على عمارتها او زراعتها اذا كانت مشتركة بينه وبين غيره ايضا وكما لايجبر الشريك على العمارة ، وان تركه عنادا او تعنتا ويجري ذلك في بئر ونهر وقناة وسقي نبات وزراعة .

وأما خبر (لاضرر ولا ضرار) ـ حديث اخرجه مالك في الموطأ ـ فمخصوص بغير هذا يتضرر بتكليفه أيضا العمارة والضرر لايزال بالضرر هذا المعتمد من كلام العلماء رحمهم الله تعالى ـ انتهى . الجواب ضرر عليه قلت وصحح عليه جماعة من مشايخنا واصحابنا الحاضرين له رعاهم الله تعالى (بحث عزيز) وقد اتفق لي بحمد الله تعالى في تفصيل هذه المسألة التي اختلف فيها القولان ثلاث حالات :

اولها : وهو مبني على القديم لعظم الحاجة اليه وتعطيل اكثر الحقوق بالاهمال

---

١٦ ـ هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ولد سنة ٧٤٥ وبرع في علم الفقه من مصنفاته : شرح المنهاج ويسمى الديباج والبحر المحيط والخادم السابق ذكره توفي سنة ٧٩٤ .

ـ انظر الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٩٧ وشذرات الذهب ج٦ ص ٣٣٥ والاعلام ج ٦ ص ٢٨٦ — .

١٧ـ هو من اجلاء علماء زبيد ولد سنة ٨٤٧ بقرية الزيدية واخذ عن جماعة من العلماء ومن اشهر كتبه كتاب العباب المحيط لمعظم نصوص الشافعي والاصحاب وهو من الكتب المهمة شرحه ابن حجر الهيثمي في كتاب مستقل بعنوان الايعاب توفي سنة ٩٣٠ .

ـ انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٩ — .

١٨ ـ هو اسماعيل بن ابي بكر بن عبد الله الشاوري الشهير بابن المقري ولد سنة ٧٥٤ وبرع في عدة فنون ومن اشهر كتبه في الفقه الارشاد وروض الطالب توفي سنة ٨٣٧ .

ـ انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ١٩٨ — .

١٩ ـ لم أقف على ترجمته .

واغلب الظن انه نفس المترجم له في خلاصة الاثر ج٢ ص ١٥٨ باسم ذهل بن علي بن احمد الحشيبري له حاشية على المنهاج توفي سنة ١٠٩٠ ـ انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ١٣٥ — .

وان كان هو الراجح عند الاكثرين وأفتى به جماعة كما قدمته وسيأتي ان شاء اللهتعالى لذلك مزيد تقرير وتحقيق فتنبه له وذلك انه اذا كان لرجل القسم الاسفل من قطعة ولشريكه القسم المرتفع عليه والزبير المحيط بالقسمين للاسفل خاصة فالقياس في ذلك الذي اختاره فيمن له سفل عليه علو لآخر يجب على صاحب السفلى رجوعه لتوصل صاحب العلو الى حقه وذلك لعدم استقلال الشريك بالعمارة ومنعه من احداث حاجز كما سيأتي ذلك ٠

ثانيها : (٨) من عليه استحقاق مرور الماء في ارضه او قناة لارض جاره فحكمه كالطريق المعتادة بل اولى للزوم صاحب الارض والقناة اصلاحها ليتوصل المستحق للاجراء ، الى حقه دون الطريق الجديد ٠

ثالثها : وهو عين ما أجاب به ابن حشيبري رحمه الله تعالى فقياسه الجدار المشترك لاستقلال الشريك بشرطه والاولى ان يقاس بالمعقم المشترك لقدرة كل واحد بالاستقلال باقامته وعمارته من دون شريكه ولو بلا اذن ومع الكلفة ايضا كما هو صريح كلامهم وسيأتي الكلام في ذلك في مجاله مستوفى ان شاء الله تعالى ٠

فتفطن له فانه مهم جدا وبالله التوفيق ـ انتهى ٠

نعم والغالب انها مسألة اجتهادية جرى فيها قولان قديم بالاجبار وجديد بخلافه رجح كلا منهما جماعة من الاصحاب قال الشيخان يجريانها بل قال الامام النووي في المجموع وهو شرح (المهذب) ، للشيخ ابي اسحاق الشيرازي رحمهما الله تعالى مانصه : كل مسألة فيها قولان للشافعي قديم وجديد فالجديد هو الصحيح والعمل عليه لان القديم مرجوع عنه واستثنى جماعة نحو عشرين مسألة واكثر وقالوا يفتى فيها بالقديم وقد يختلفون في كثير منها واتى بها حتى قال ومنها اذا امتنع احد الشريكين من عمارة الجدار أجبر على القديم(١) وهو الصحيح عند ابن الصباغ وصاحبه الشاشي ٠ ثم قال : ثم ان اصحابنا أفتوا بهذه المسائل من القديم مع ان الشافعي رجع عنه فلم يبق مذهبا له وهو الصواب هذا الذي قاله المحققون وجزم به المفتون من اصحابنا وغيرهم وقال بعض اصحابنا اذا نص المجتهد على خلاف قديم لايكون رجوعا عن الاول بل يكون له قولان ٠ قال الجمهور هذا غلط لانهما كنصين للشارع تعارضا وتعذر الجمع بينهما يعمل بالثاني ، ويترك الاول ، ثم قال بعد كلام نفيس يتعلق بهذا فالحاصل أن من ليس له اهلا للترجيح يتعين عليه العمل والافتاء بالجديد من غير استثناء ومن هو أهل للترجيح والاجتهاد في المذهب يلزمه اتباع ما اقتضاه الدليل في العمل والفتيا مبينا في فتواه ان هذا رأيه وان مذهب الشافعي كذا ٠ وهو مانص عليه في الجديد هذا كله في قديم لم يعضده حديث صحيح اما قديم عضده شيء من قواعد الفقه الاربع نص صحيح لامعارض له فهو في مذهب الشافعي رحمه الله ومنسوب اليه اذا وجد الشرط الذي قدمناه فيما اذا صح الحديث على خلاف نصه والله اعلم ٠

واعلم ان قولهم القديم ليس مذهبا للشافعي او مرجوع عنه او لافتوى عليه

---

١ ـ اي القول القديم للشافعي .

المراد به قديم نص في الجديد على خلافه واما قديم لم يخالفه في الجديد او لم يتعرض لتلك المسألة في الجديد فهو مذهب الشافعي واعتقاده ويعمل به ويفتى عليه فانه قاله ولم يرجع عنه وانما اطلقوا ان القديم مرجوع عنه ولاعمل عليه لكون غالبه كذلك والله أعلم فاستفد ذلك وفقك الله للصواب وفيه تاييد لما بحثه . قال محمد بن أبي بكر ابن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الوهاب بن محمد بن ذويب ابن مشرف ابن قاضي شهبه في شرحه على المنهاج بعد ايراد قول المتن وهو وليس له اجبار شريكه على العمارة في الجديد كما لايجبر على زراعة الارض المشتركة في القديم ونص عليه في البويطي[٢٠] الاجبار صيانة للاملاك المشتركة عن التعطيل وصححه جماعة وأفتى به ابن الصلاح ، واختار الغزالي في الفتاوى ، أن القاضي يلاحظ أحوال المتخاصمين فان ظهر له الامتناع لغرض أوشك في أمره لم يجبره وان علم عنادا أجبره ـ انتهى .

(تنبيه) : وعلى هذا جمعا بين الاجوبة المتقدمة مع حاصل ما اوردناه على مقتضى القولين فينبغي للقاضي أن ينظر غالب الحال فيما ورد عليه في مثل هذه القضايا ويعمل بالاعدل ولا يحيف على أحد من الشريكين ولايجزم الحكم بغير توقف(١٠) ومزيد بحث مراعاة للاصلح والاحوط لاختلاف الواردات وأما المفتي فلا يلزمه البحث عن حقيقة القضايا الواردة عليه . بل من وظيفته تتبع الاقوال الصحيحة ان كان مقلدا والافتاء بها على صورة السؤال الوارد عليه اذا المفتي أسير السؤال ، فالحاصل هنا والله أعلم أن كان الترك عنادا او تعنتا لابطال استحقاق حق الغير اللازم عليه كلف تأديته كما قدمناه لان من له استحقاق جر الماء على ملك غيره ولايمكنه التوصل اليه الا منه أو سقي قسمه المرتفع على قسم غيره المحيط بهما زبير واحد عادة ، ولم يأذن له في احداث زبير[٢١] بين ملكيهما[٢٢] أو كانت لا تصلح لذلك كلف تأديته ، ماوجب عليه استحقاق لمستحقه وفي عدم اجباره اضرار ظاهر بصاحب الحق ولا يزال الضرر بالضرر .

ثم رأيت من أفتى بنحو ذلك نقلا عن الكمال الرداد فالحمد لله على ذلك بل تقدم عن فتاوى العلامة ابن زياد ونقلا عن الشيخ ابن حجر في أول هذا المقصد فلا يعزب عنك ذلك وان كان يحتاج الى بذل مال كثير او تعذرت اعادته ولعمارته كلفة يظهر بها وقع فلا اجبار ولو كان يظهر نوع عناد ولأن في تكليفه اضرار به وغالبه اضاعة مال الغير حتى يستهلك في العمارة بغير دليل عليه وقد ورد النهي عن ذلك فظاهر كلامهم ورود ماذكرناه في كل مشترك ، فان قلت قد صرحوا في جميع كتبهم بعدم الاجبار في المشترك بناء على الجديد ، قلت يظهر لي اعتماد ماقلته من وجوه أحدها عدم جواز استقلال الشريك بالعمارة بماله لنفسه في ملك غيره اذا امتنع منها بخلاف مسألة نحو الجدار المشترك لوجود الملك المحجوز للاستقلال .

---

٢٠ ـ من اشهر اصحاب الشافعي وهو يوسف بن يحيى توفي سنة ٢٣١ هـ .

٢ ـ الزبير في عرف اهل اليمن يطلق على موضع الزرع ـ حاجز ـ او البناء الكبير على العمل .

٢٢ ـ كلمة مبهمة في المخطوطة .

ثانيها - وجود منعه من احداث زبير حاجز بين ملكيهما ووجوب ازالته ونسفه اذا أحدث كما قدمته وأفتى به العلامة ابن زياد وغيره ..

ثالثها - ان الشركة حيث أشيعت في قطعة يمكن(١١) ازالة ضرره بالقسمة ولو اجبارا ولو امكنت وصلح كل قسم للغرض المقصود منه على الانفراد والاجارة للزراعة لان لها امدا ينتظر ولا كذلك هذا .

رابعها - لو لم يجبر على الاطلاق لتعطل جملة من المصالح العامة التي عليها مدار أكثر الاعمال والضرر المتوقع نادر . فالحاجة الى الاجبار أكثر فتأمل ذلك فانه مهم جدا والله أعلم .

(تقريروتحقيق) وعبارة الشيخ الامام العلامة ابي محمد عبد الله بن الشيخ الامام محمد بن سهل باقشير(٢٣) رحمه الله تعالى في (قلائده) ما نصه : مسألة ليس له تتريب كتابه من جدار فيه شريك ووضع شيئا عليه الا باذنه فان خرب فالجديد فانه لايجبر على اعادته والقديم له اجباره واختاره ابن الصباغ (٢٤) والشاشي(٢٥) وابن الصلاح(٢٦) وصاحب الذخائر(٢٧) وابن عصرون (٢٨) والفارقي(٢٩) ونقل في مقدمة شرح المهذب اختياره عن بعضهم وان به الفتوى والعمل وقرروه ، قال الشيخان ويجريان في النهر والقناة والبئر اذا احتاجت للتنقية ودولابها ان اتسعت قال الامام الغزالي ويختص ذلك بخلل يختل به الملك وكذا في اجبار من له سفل عليه علو فخرب حتى يبنى المستعلي فوقه واختاره الغزالي الى ان الحاكم ينظر الامتناع فان رآه ، للعناد أجبره او لعذر او شك لم يجبره واختار لشيخنا عبد الله بافضل(٣٠) انه ان كان للمتنع مال غير ذلك أجبر والا فلا يكلف بيع بعضه لعمارة الباقي لئلا يستهلك في العمارة ، وأفتى بذلك ابن داؤد وذلك فيما لاينقسم والا فلا

---

٢٣ - من أفاضل العلماء ولد بالعجز من حضرموت وبرع في علم الفقه له عدة كتب منها قلايد الخرايد في الفقه منه نسخة خطية بالجامع بصنعاء وكتاب القول الموجز المبين في المهم من امور الدين والسعادة والخير في التاريخ ، توفي سنة ٩٥٨ .

- انظر كتابنا مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص٢١١ -.

٢٤ - هو عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ فقيه من اهل بغداد عرف بكتابه الشامل في الفقه توفي سنة ٤٧٧ - الاعلام ج٤ ص ١٣٢ - .

٢٥ - هو محمد بن احمد بن الحسين الشاشي من علماء بغداد تولى رئاسة الشافعية ودرس بالمدرسة النظامية له من المصنفات الفقهية المعتمد والشافي والعمدة توفي سنة ٥٠٧ - انظر تاريخ ابن خلكان ج١ ص ٤٦٤ وطبقات السبكي ج٤ ص ٥٨ والاعلام ج٥ ص ٢١٠ - .

٢٦ - هو عثمان بن عبد الرحمن عرف بابن الصلاح الشهروزي ولد سنة ٥٧٧ ورحل الى عدة مدن واستقر بدمشق وله معرفة بعلوم الحديث توفي سنة ٦٤٣ - انظر وفيات الاعيان ج١ ص ٣١٢ وطبقات السبكي ج٥ ص ١٣٧ والاعلام ج٤ ص ٣٦٩ - .

٢٧ - لعله أبو المعالي مجلي بن جميع المخزومي الشافعي المتوفى سنة ٥٥٠ له الذخائر في فروع الشافعية وانظر كشف الظنون ج١ ص ٨٢٢ .

٢٨ - هو عبد الله بن محمد بن هبة الله بن ابيعصرون ولد بالموصل سنة ٤٩٢ وانتقل الى بغداد وتولى القضاء بدمشق له عدة كتب في مذهب الشافعية منها صفوة المذهب والذريعة والانتصار توفي سنة ٥٨٥ - انظر طبقات السبكي ج٤ ص ٢٣٧ والاعلام ج٤ ص ٢٦٨ - .

٢٩ - هو الحسن بن ابراهيم بن علي برهون ولد بميافارقين سنة ٤٣٣ وتولى القضاء بواسط له الفوائد على المهذب للشيرازي والفتاوى توفى سنة ٥٢٨ - انظر الاعلام ج ٢ ص ١٩٢ - .

٣٠ - هو عبد الله بن عبد الرحمن بافضل ولد بتريم حضرموت سنة ٨٥٠ وبرع في علم الفقه والتصوف ومن كتبه لوامع الانوار توفي سنة ٩١٨ .

- انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٨٤ - .

اجبار قطعا وكلامهم قد يفهم خلافه قـال الجوري ولا خلاف في الاجبار على سقي النبات من شجر وغيره وصرح القاضي وغيره بجريان القولين فيها قال الاذرعي وهو أوفق لكلامهم في النفقات ولم يرجح ابن الرفعة(٢١) شيئا من المقالتين ولم يذكرها الشيخان٠ اقول كيف يقال يترك الزرع (١٢) الذي لايعيش الا بالماء٠ بامتناع الممتنع حتى يموت او الشجر المراد للثمر حتى لايثمر بدونه حتى يفوت ومثـل ذلك لو كان الغائب لتعين على الحاكـم سقيه من ماله يتعين عليه او الاقتراض عليه ، ان لم يكن له مال أو بيع شيئاً منه وقد لايجد من يشتريه منه او لايجوز بيعه كحنطة بسنبله فان لم يجبر على السقي ماتت وقد ذكروا ان الضرر على الجديديزول، بتاجير المشترك ومعلوم ان ذلك لايحيى في أشياء كالشجر والزرع فلا يبقى عليه ان يكلف الا بالموت او فوات المقصود فالاعدل الجديد وهو أقل الاحوال اخذا من المقـولات السابقة انه ان أمكن تأجيره أجروا والا فان كان ينقسم اجبارا قسم وكذا أي قسـمة أمكنت بلا ضرر وساعده المتمنع عليها والا يجبـر كما في النبـات الذي لا يقسم أو امتنع عن قسمته ان يسقيه مع شـريكه اذا سقاه شريكه لايختص بحاصله وان لم يسق ضاع حقه لعناد محض فان كان الشريك غائبا قام الحاكم مقامه كما سبق٠

وكذا قال الزركشي يجب على ولي المحجور مراعاة الاحوط له وحينئذ فان كان الترك أولى فليبق ان أمكن ولو بقليل ان كـان يؤدى لفواته فلو صارت الدار عرصة وطلب أحد الشريكين قسمتها الآن لزمته فلو تراكم الطين فيها بحيث لا تتأتى القسـمة الا برفعه ٠ قال الفقيه عبد الله بن عيسـى فالظاهر الاجبار عليه وفاقا لان ما لايتأتى الواجب الا به واجب ولو اتصل داران لاثنين وطلب أحدهما بناء جدار حاجز بينهما فظاهر كلام (الروضة) ان فيه القولين ٠٠

قال الاسنوي(٢٢) انما ذلك اذا كان من اول وخرب لا في أثنائه وفي المطلب جريانهما فيه ـ انتهى مافي القلائد٠ واذا بين رجلين ارض موارثة اقتسماها نصفين ولها معقم والقاعدة ان أقامته عليهما كذلك وحـرث احدهما نصيبه ولم يحرث الاخر ولا منـع الحارث من اقامة المعقم المذكور فأجاب ابن زياد بما لفظه اذا طلب احد الشريكين من صاحبه ان يعمر معقمه لم يجبر على ذلك واذا أعمر أحدهما فهو متبرع بعمارته وليس له الرجوع على صاحبه (١٣) بحصته الا اذا قال أعمر وترجع على ـ فانه يرجع عليـه بحصته والله اعلم٠ انتهى الجواب٠

قلت فتأمل جوابه هذا فانه من نوع مسألة ابن حشيبر السابق ذكره لقدرة الشريك على الانفراد بالعمارة بلا تناقض بينه وبين ما قدمته من النقول المصرحة بالاجبار لاختلاف صورها والله اعلم ٠

المبحـث الثاني

اذا كانت ارض تسقى دفعة واحـدة او يسـقى الاسـفل قبل الاعلى فأحـدث

---

٢١ ـ هو احمد بن محمد بن الرفعة ولد سنة ٦٤٥ بمصر وتولى الحسبة بها له الكفاية شرح التنبيه ورسالة في الاكيال وغير ذلك توفى سنة ٧١٠ ـ الاعلام ج١ ص ٢١٣ ـ .

٢٢ ـ هو عبد الرحيم بن حسن الاسنوي ولد سنة ٧٠٤هـ وتولى الحسبة بها له الكفاية شرح التنبيه ورسالة في الاكيال توفي سنة ٧٧٢ ـ انظر الاعلام ج٤ ص ١٩٩ ـ .

صاحب الاعلى زبيرا منع من ذلك وكــان لايخرج الماء الا من مراقع الاعلى الى مراقع الاسفل بسبب ذلك ومنع عنه التراب حتــى أنه أثر في انباته مع صلاحية البذر واقامــة الزبير المحدث في الحد المشترك الذي لايزرع للتمييز فأجاب ابن زياد بما نصه بأنه ليس لمالك الاعلى احداث الزبير المذكور والحال ان القسمين يسقيان دفعة واحدة ويســقى الاسفل قبل الاعلى لارتفاعه عليه وهذه اولى من التي قبلها .

قال وبه أفتى شيخ مشايخنا الكمال الرداد رحمه الله تعالى وصحح جوابه شيخه العلامة تقي الدين عمر الفتى(٢٣) وجرى عليه القاضي الطيب الناشري(٢٤) قال وما حكى عن ولده مما يخالف ذلك فقد حكى عنه ما يوافقه.

فان فعل وجب نسفه وازالته فان حصـل باحداث ذلك نقص في منفعة الارض وجـب عليه ارشه وفي فتاوى ابن الصلاح ما يشهد لذلك واذا جعل الزبير في الحد المشترك فعليه أجرة حصة صاحبه والله اعلم .

قلت وعلى صاحب الاسفل العمارة وجوبا حتى يوصل صاحب الاعلى الى حقه عـلى الراجح واذا منعه من احداث الزبير وترك اجبار شريكه اضرار به وتعطيل لحقه كمـا علم مما سبق ..

وأفتى أيضا أن الشريك لو كسر قبــل استيفاء شريكه لما يستحقه من الشرب وجب عليه ، أرش نقص نصيب شريكه وهو ما بين قيمة نصيب شريكه والماء بتقدير بقائه الى استيفاء شربه وبين قيمته عند الكســر قبل استيفاء شربه فافهم ذلك فانه دقيق والله أعلم .

وأفتى العلامة بامخرمة بما لفظه جرت العادة عندنا وفي الكثير من الوديان وغالب ما اطلعنا عليه من قرى جهتنا ان مالك الارض يدفعها (١٤) الى من يحرثها ويزرعها بجـزء معلوم مما يخرج منها ولا تعرف لها أجرة غير ذلك ويسمون اليسير وهو المخابــرة المعروفة في كتب الفقه الا أنهم لايقدرونها بمدة في الغالب فاذا وجبت اجرة الارض على الوجه المذكور في جهتنا وامثالها فهي قيمة ذلك الجزء المجعول لمالك الارض مما تخرجه من نقد البلد ..

ويختلف قدر ذلك الجزء باختلاف الاراضي جودة ورداءة ، قال وعلى ذهني أن القاضي محمد بن شكيل(٢٥) وشيخنا محمد بن أحمد باحميش(٢٦) رحمهما الله تعالى أفتيا بنحو ذلك ولم يحضرني الآن نقله - انتهى.

قلت ومشى على ذلك صاحب القلايـد بل أفتى العلامة الجمال الاشخر(٢٧) ، أن

---

٢٣ - هو عمر بن محمد بن معيبد عرف بالفتى ولد سنة ٨٠١ بمدينة زبيد واخذ عن جماعة من العلمـاء ومن مؤلفاتـه جواهر الجواهر في الفقه ومختصر المهمات ونظم الارشاد وغير ذلك توفي سنة ٨٨٧ - انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٤ - .

٢٤ - هومحمد الطيب بن احمد الناشري ولد سنة ٧٨١ وبرع في علم الفقه توفي سنة ٨٧٣ .
- انظر ترجمته في بغية المستفيد ص ١٤٢ .

٢٥ - هو محمد بن مسعود بن سعد بن احمد شكيل ولد بحضرموت سنة ٨٠٤ واخذ عن جماعة من علماء عدن وتولى القضاء بعدن توفي سنة ٨٧١ ومن مؤلفاته شرح المنهاج - انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٢ - .

٢٦ - مولده سنة ٧٩٨ بحضرموت وتولى قضاء عدن وله من المؤلفات شرح الحاوي وفتاوى توفي سنة ٨٦١ - انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٢ - .

٢٧ - هو محمد بن ابي بكر الاشخر ولد سنة ٩٤٥ واخذ علومه على علماء زبيد ومن شيوخه ابن حجر الهيتمي وله من الكتب نظم الارشاد وفتاوى فقهية مشهورة ورسائل اخرى توفي سنة ٩٩١ .
- انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢١٤ - .

أجرة المثل والحالة هذه قيمة ذلك القدر المعتاد جعله أجرة مثل الارض والاجرة من قبيل المتلفات والمنفعة تالفة فيضمن بقيمتها نقدا وبذلك أفتى الفقيه الامام أحمد بن موسى عجيل(٣٨) وقد غلط في ذلك بعض الحكام قال ويلزمه الشيء المقدر من الطعام وهو غلط ، قبيح - انتهى ٠ وهو كما قال والله اعلم ، انتهى كلامه ٠

(عودوانعطاف) ولصاحب السفلى ان يحرث ويحفر في ارضه مايدفع به ضررها من غير ان يضر العليا وليس للاعلى ذلك قال الشيخ ابن حجر في (تحفته) وأفتى جمع أي ان يأخذ أكثر من حقه قال وهذا ان كانا يشربان معا٠ والا فان كان يشرب السفلى من ماء العليا فلا منع أي حيث لاضرر ومن ثم امتنع عليه أن يحدث في ارضه شجرا أو نحوه ان ضر السفلى لحبسه الماء وأخذه منه فوق مايعتاد قبل احداث ماذكر انتهى ٠ اما لو انخفض بحيث يأخذ فوق العادة قبل سقي المرتفع أفرد كل بسقي كما صرحوا به - انتهى ٠

قلت ويؤخذ من هذا انه ليس كل زبير محدث يلزم ازالته لان الحكم بازالته مثل هذا يعود ضرره على المحدث ويتعذر الالتزام باكتفائه حصته بما يستحقه من الشرب فبقاؤه الحق الذي لا محيد عنه فاعلم ذلك والله اعلم ٠

ونقل العلامة ابن زياد في فتاويه عن فتاوى العلامة القماط(٢٩) فيما لوكانت أرض سفلى تسقى على أرض عليا فعمل (١٥) صاحب العليا في ارضه زبيرا عظيما على خلاف العادة وعقم الماء على صاحب السفلى أنه يجبر شرعا على رد العمارة القديمة ويسقى ما زاد على ذلك والله اعلم انتهى ٠

قلت وذلك عند منعه الاسفل في السقي راسا فيما يظهر اما اذا لم يتعطل الماء عن الاسفل او لم يضر به لو اجتمع وفجر اليه فلا منع لانفراد كل بالسقي وللحاجة لذلك لكمال السقي المعروف كما مر ، وسيأتي مايؤيده قريبا ان شاء الله تعالى ٠

وأفتى قاضي مكة أبو السعود(٤٠) الجمال ابن ظهيرة أنه ليس للاعلى اذا كان ارض سفلى تسقى بالمطر أنه يبنى ما يحبس الماء عن النزول الى جاره الاسفل ولايغرس فيها كرما او نحوه مما يمنع ذلك انتهى٠

وجرى على تقرير المسألة السيد السمهودي في فتاويه والله اعلم ٠

قلت وهنا حادثة ينبغي التنبيه لها وهو ما اعتاده أهل جهتنا في هذه الازمنة من احداث الزبير العظام التي لم تعهد في قديم الزمان حتى صار جعلها عادة مطردة لا انكار فيها لتوقف كمال السقي عليها والذي يظهر من كلامهم تقرير هذا المتعارف الذي يتوقف كمال السقي عليه بقدر الحاجة الداعية فان زاد على قدر الحاجة الضرورية أو أضر بغيره ضرارا بينا رفع قدر الضرر منه كما هو صريح كلامهم والله اعلم ٠

تأييد وارشاد :

قال الشيخ ابن حجر في تحفته : ويرجع

---

٣٨ - ولد سنة ٦٠٨ وبرع في علم الفقه وتولى قضاء اليمن ولم يستمر فيه ، له حواشي على التنبيه توفي سنة ٦٩٠. - انظر مصادر الفكر الاسلامي ص١٨١ -.

٣٩ - هو محمد بن حسين بن محمد بن القماط ولد بمدينة زبيد سنة ٨٢٨ واخذ عن جماعة من الفقهاء وله فتاوى شهيرة وولي قضاء عدن وزبيد توفي سنة ٩٠٣ - انظر مصادر الفكر الاسلامي في اليمن ص ٢٠٧ -.

٤٠ - ابو السعود بن ظهيرة هو محمد بن ابراهيم.

في قدر السقي للعادة والحاجة لاختلافهما زمانا ومكانا فاعتبرت في عادة كل محل بما هو المتعارف عندهم انتهى.

وعبارة في (فتح الجواد)(٤١) وما وقع في عبارة (الحاوي)(٤٢) كالجمهور تبعا للحديث من التقدير بالكعبين جروا فيه على الغالب أنه الذي يحتاج اليه في ذلك والا فالاولى والاضبط التقدير بالحاجة لاختلافها باختلاف الارض وما فيها وبالوقت . وحرم منعه من السقي الى الغاية المذكورة انتهى.

وفي (التحفة) وأفتى الامام الغزالي رحمه الله تعالى بأن لصاحب السفلى اجراء الماء، لاجرائه وان ضر بنخلها أو زرعها ولا غرم عليه(١٦) لتقصير صاحبها بالزرع والغرس في المجرى المستحق للاسفل ، انتهى كلامه .

قلت وهل لصاحب العليا تحويله الى محل آخر عن محله المعتاد مع وجود الضرر وعدمه ام لا كل محتمل والذي يظهر من كلامهم المنع ان كان المجرى محفورا ولم يكن ضرراً فان حدث ضرر فله ذلك ، وسيأتي الكلام عليه في الطرف الثاني ان شاء الله تعالى والله أعلم .

المقصد الثالث في أحكام المساقي وعمارتها :

اعلم أن عمارة الانهار من سهم المصالح وحكمه حكم الشارع للسلمين فان حفره واحد ملكه والماء الداخل باق على اباحته لكن صاحب النهر أحق به فليس لغيره اخذه لأرضه بل له الشرب وسقي الدواب منه ولو بدلو ان لم يضر بالمالك حفر نهر فوقه ان ضيق عليه ولو حفر النهر جماعة ملكوه بقدر اعمالهم فان شرطوا انه بقدر ملكهم في الارض وكان عملهم لذلك جاز وان زاد عمل بعضهم فمتبرع .. فان اكرهوه وشرطوا له عوضا فله أجرة المثل للزيادة ولايقدم الاعلى هنا على الاسفل ولهم القسمة بالمهايات ثم لكل الرجوع فان رجع بعضهم وقد أخذ نوبته دو ن الاخر فعليه أجرة مثل نصيبه من النهر لمدة انتفاعه ولهم ايضا قسمة النهر العريض ولا يجبر الممتنع وليس لاحدهم توسيع فم النهر ولاتضييقه ولا تقديم رأس الساقية ولا تأخيره ولا اجراء ماء مملوكا له من النهر المذكور ولا بناء قنطرة ورحى عليه الا باذن الباقين . وعمارته وتنقيته كله على الكل بقدر الملك حتى المستقبل أيضا . انتهى كما ذكره العلامة المزجد في (عبابه) وفي (الروض) لابن المقري نحوه قال الشيخ ابن حجر في (تحفته) وأما عمارة النهرالاصلية فانها على جميعهم بقدر الحصص فان عمرها بعضهم فزاد الماء ، لم يختص به لانه متبرع وان كان انما عمر بعد امتناع الآخرين . قلت وفي قوله الاصلية اشعار بأن القناة التي لاتوصف بالاصالة كاستحقاق مرور مياه في ملك غيره(١٧) أن حكمها وحكم الارض المستحق لمرور الماء فيها وعمارتها على ملاكها دون المستحق عليها كما مر فلا يعزب عنك ذلك والله اعلم.

ثم قال مع ايراد المتن فلهم أي الشركاء القسمة مهاياة(٤٣) مثلا كأن يسقى

---

٤١ — فتح الجواد شرح منظومة ابن العماد من كتب الفقه تاليف شهاب الدين احمد بن محمد الرملي المتوفي سنة٩٧٣ .

٤٢ — ويسمى الحاوي الصغير في الفقه تاليف نجم الدين عبد الغفار بن عبد الكريم القزويني المتوفي سنة ٦٦٥ .

٤٣ — المهاياة في اصطلاح الفقهاء بمعنى : انتفع كل واحد بسهمه .

كل منهم يوما كسائر الاملاك المشتركة ٠ ولا نظر لزيادة الماء او نقصه مع التراضي على ان لهم الرجوع عن ذلك كما مر ٠ ثم قال ينصب خشبة مثلا حتى قال والحق بالخشبة بناء جدار به ثقب محكمة بالجص في عرض النهرفيها ثقبمتساوية او متفاوتة على قدر الحصص من القناة لانه طريق الى استيفاء حقه ، وعند تساوي الثقب وتفاوت الحقوق يأخذ كل بقدر حصته فان جهل قدر الحصص قسم على قدر الاراضي لان الظاهر فيه أما الشركة بحسب الملك وقيل يقسم بينهم سواء وأطال البلقيني في ترجيحه ٠٠ هذا ان اتفقوا على ملك كل منهم والارجح بالقرينة والعادة المطردة وذلك كما مر انتهى ٠

قال الزركشي : وتتعين المهايات ان تعذر ما مر ، يعني القسمة ، لبعد ارض بعضهم عن المقسم ونحو الخشبة وان كانت القناة تارة يكثر ماؤها وتارة يقل فتمتنع المهايات حينئذ كما منعوها في لبون ليحلب هذا يوما وهذا يوما لما فيه من التفاوت الظاهر انتهى ماقصدت نقله عن ابن حجر ٠

قال ابن المقري : ويصنع كل بمائة يعني بعد القسمة ما يشاء لكن لايسوقه لارض أجنبية ولايتصرف قبل القسمة ٠ انتهى٠

وفي (العباب) : ولايسوقه الى أرض لا شرب لها منه وفي (زوايد الروضة) للامام النووي رحمه الله تعالى انه لو أراد بعض الشركاء أن يأخذ نصيبه من الماء ويسقى به أرضا ليس لها رسم شرب من هذا النهر منع لانه يجعل لها شربا لم يكن واختاره الشيخ ابو حامد انتهى ٠

وفي فتاوى السيد السمهودي رحمه الله تعالى الظاهر ترجيح ماء زوايد الروضة من منع الشريك لو اراد أخذ نصيبه من الماء وسقيه به (١٨) أرضا ليس لها رسم شرب من ذلك النهر لان الزمان اذا طال ربما جهل مقدار استحقاقه وقد عهد الناس سقي تلك من ذلك النهر فيصير سقي كل من الارضين رسما ثابتا له مع ان الثابت في نفس الامر انما هو سقي الاولى دون الثانية وبهذا يعلم انه لو زاد في الارض التي لها رسم شرب من النهر امتنع لانه يجعل لتلك الزيادة شربا لم يكن ، انتهى مافي الفتاوى المذكورة ٠

وافتى العلامة بامخرمة(٤٤) بنحو ذلك ٠ انتهى ٠

اذا علمت أن المهاياة غير لازمة وان لكل منهم الرجوع متى شاء ، علمت أن المكتتب الموجود بذلك باطل لايصغى اليه ولايعول في عمل من الاعمال عليه ٠

وفي فتاوى العلامة ابن زياد رحمه الله تعالى مانصه واذا وجدنا مكتتبا بين الرعايا بالمناوبة فيه لأهل الشرج(٤٥) العليا كذا وكذا من الاشهر ، وأهل الشرج الوسطى كذا وكذا والسفلى كذا وكذا فذلك من المهاياة غير اللازمة لكن لكل من أهلها الرجوع متى شاء ففي الروضة في آخر احياء الموات٠

(فرع)الذين يسقون أراضيهم من الادوية المباحة لو تراضوا بمهاياةوجعلوا للاولينأياما وللاخرين اياما فهذه مسامحة من الاولين

---

٤٤ — هو عبد الله بن احمد بن علي بامخرمة ولد سنة ٨٣٢ وله فتاوى شهيرة توفيسنة ٩٠٣ — انظر مصادر الفكر الاسلامي ٧ — .

٤٥ — من العلماء — انظر مصادر الفكر الاسلامي — ص ٤٣٢ — .

بتقديم الاخرين ، وليست بلازمة والظاهر ان من رجع من الاولين مكن من سقي أرضه . (انتهى لفظ الروضة) .

ثم قال وهذا صريح في ان المهاياة المذكورة مسامحة من الراضين اذا كان الراضون ممن يعتبر رضاهم بأن يكونوا متصرفين عن أنفسهم بخلاف ما اذا صدرت من النظار على الاوقاف وعلى اراضي بيت المال ومن اولياء المحجورين اذ لايجوز مسامحة المذكورين بحق من هو تحت نظرهم واما المكتتب المذكور فالفساد والبطلان لائح عليه من وجوه منها أن مضمونه أنه صدر من الرعايا المتقدمين وقد علمت ان المهاياة تبطل بانقراض الراضين بها وقد انقرضوا . ومنها ان تقطع أن الشرج(٤٦) المذكورة حال المهاياة فيها أراضي وقف واراضي بيت المال وأراضي المحجوزين (١٩) وقد علم من قواعد الشرع الشريف أن المتكلمين على الاراضي المذكورة لا تجوز مسامحتهم بشيء منحقوق الاراضي المذكورة . ومنها وهو من أدلها على الفساد أن فيه ماحاصله أنه لما جرت المنازعة بين أهل الشرج في الاسبق أحياء جرت المقاسمة الصحيحة الشرعية فانظر كيف جرى هذا الموضع على تسمية هذا الباطل قسمة صحيحة شرعية وقد جرت سنة الله ان المكاتيب الفاسدة لاتستقيم ألفاظها وان صدرت من أهل الحذق فكيف اذا صدرت من أهل الغباوة والجهل فالذي نعتقده وهو الحق الجاري على قواعد الشرع بطلا نهذا المكتتب وأنه يجب على كل من يخشى الله ويتقيه وجعل الاخرة نصب عينه ان يعدمه ان كان عنده او يكتب عليه أنه باطل لايجوز اعتماد مافيه وهذا المكتتب انما ظهر عليه على يد بعض الحكام بمساعدة قضاة قاصرين أوهموا العوام الطغام بأنه على وجه الشرع وليس لاحد من القضاة ولا من غيرهم الالتزام بهذا المكتتب بل عليهم تبيين باطله واعدام حاصله ومن حكم بالزام مافيه فقد حكم بغير ما انزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) .

وفقنا الله لصالح العمل وجنبنا طرق الزلل ، والله الموفق للصواب.

قال وصحح على ذلك شيخ الحنفية بزبيد يومئذ أبو القاسم بن عبد العليم القرتبي(٤٧) رحمه الله تعالى ذكره في بعض رسائله المتضمنة نحو ذلك قال : فأخذت ذلك من القواعد الفقهية وحرصت على نقله برمته وان طال لما فيه من القواعد التي لاتحصى في هذا البحث فاستفد . والله اعلم.

المقصد الرابع

في استحقاق مجاري المياه والطرق في ملك الغير وأحكام ذلك وفيه ثلاثة اطراف :

(الاول) في استحقاق مجرى الماء على من هو فوقه قد قدمنا نقلا عن العباب ان من له اجراء الما في (٢٠) قناة بعضها في أرض غيره فتهدمت لزم مالك الارض اصلاح القناة وان كان الاجراء حقا عليه لازما ، انتهى.

اذا علمت ذلك فقد يكون استحقاقه بشراء أو اجارة أو عارية أو لايعلم أصله وعبارة المزجد رحمه الله في عبابه : (فرع) من يجري

٤٦ — جمع شرجه وهو مسيل الماء من الحرة الى السهل.

٤٧ — من علماء الحنفية بزبيد له عدة مصنفات في التاريخ — انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٤٣٢ —.

ماؤه في ملك غيره فادعى الملك والمالك العارية صدق المالك ٠

قال في التحفة : ولو اختلفا في ممر وميزاب ومجرى ماء ونحوها في ملك الغير أهو عارية أو اجارة أو بيع مؤبد فان علم ابتدأ حدوثه في ملكه صدق المالك أنه لا حق للاخر في ذلك والا صدق خصمه انه يستحق ذلك ٠ وكلام البغوي الموهم بخلاف ذلك من اطلاق تصديق المالك حملة الاذرعي على ما اذا علم حدوثه في زمن ملك هذا المالك ٠ انتهى٠

فاذا اراد شخص تأجير ساقية أو بيعها او الصلح عليها فقد قال في (العباب) : فيشترط في اجارة ساقيته في الارض كونها محفورة ورويتها وفي بيع مسيل الماء والصلح على اجرائه فيها لاعارتها بيان طوله وعرضه وموضعه لاعمقه اذ يملكه الى اسفل الارضين وبيع حق مسيل الماء كبيع حق البناء في كل الصور لايدخل الارض الا لسد بثق وتنقيته ، انتهى ٠ وعبارة (التحفة) واذا أن في اجرى الماء في ارض بمال ان كان لصفة عقد اجارة وجب بيان محل الساقية وطولها وعرضها وعمقها وكذا قدر المدة ان ذكرت وكون الساقية محفورة فيما اذا استأجر لاجراء الماء في ساقيته لان المستأجر لايملك الحفر وعقد بيع فان قال بعتك اجراء الماء أو حق مسيله فكبيع حق البناء فيما مر أو مسيله أو مجراه ملك حق الجريان كما اقتضاه كلام الاصحاب فيشترط بيان طوله وعرضه لا عمقه ولو صالحه على ان يسقي زرعه من مائه لم يجز لان الماء وان ملك انما يملك منه الموجود لا مانبع فالحيلة بيع قدر من (؟) النهر ليكون الماء تابعا ، انتهى ٠

ثم قال ولو تنازعا في مجرى ماء وحكمنا أنه بحق لازم فهل يجعل ذلك هذا الحق اللازم مقتضيا للملك فله أن يعمقه أولا لانه يكتفى في الحق اللازم ملك المنفعة مؤبدة دون العين كل محتمل والاوجه الثاني قال ثم رأيت بعض المحققين قال الظاهر أنه كبيع حق البناء فلا يملك العمق ولايزيد على اجراء الماء المعتاد اقتصارا على معنى الحق اللازم وهو المعهود من حال استحقاق الاستطراق بالماء وغيره فيحمل عليه ولا يعدلا الماء ما فوقه او دونه الا بمخصص ٠ انتهى لفظ (التحفة) ٠

قال البغوي(٤٨) : رجل يجري ماؤه في ملك الغير الى ملك نفسه فقال صاحب الملك لاحق له فيه انما هو عارية وادعاه المجرى فالقول قول صاحب الملك بيمينه كذا قال الامام الاسنوي في شرح (المنهاج) من غير مخالف، قال الامام الاذرعي في دعواه من شرح المنهاج:

قلت : ظاهر كلامه يعني البغوي ان القول قول المالك وهو ظاهر اذا علم ان الاجراء انما حدث في زمن ملك هذا ما لو لم يعلم ابتداء السبق غير مرة ، انتهى ٠

قال السيد السمهودي في فتاويه ان ما قاله الاذرعي وهو المرجح قال وقد سبق في سؤال الجواب قبله من المنقول مايشهد له غير ماسبق فيه عن الفوراني(٤٩) وظاهر كلام الاسنوي اعتماده ٠ انتهى٠

---

٤٨ ـ هو الحسين بن مسعود بن محمد الفرا ولد سنة ٤٣٦ له كتاب التهذيب في الفقه ومصابيح السنة ومعالم التنزيل في التفسير توفي سنة ٥١٠ .
ـ الاعلام ج٢ ص ٢٨٤ ـ .

٤٩ ـ هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الفوراني ولد سنة ٣٨٨ وبرع في الفقه بمرو وله فيه الابانة وتتمة الابانة توفي سنة ٤٦١ ـ الاعلام ج٤ ص ١٠٢ ـ .

وفي وفتاويه ايضا نقلا عن الجلال البلقيني ما لو رأينا ساقية مشتركة بين أقوام وعليها بستانان مثلا : أحدهما فوق الآخر وانما يمر على أرض الاول فاشتراه شخص فأراد منع صاحب الثاني من الاجراء في أرضه فانه لايجاب الى ذلك لان الاصل أن ذلك بحق فلا يزال ذلك بغير طريق ولا أجرة له انتهى ٠

قال الامام باقشير في (قلائده) فرع اذا كان الماء يجري لشخص في ملك غيره فادعى المالك أنه عارية ليرجع عنها وصاحب الماء أنه مستحق قال البغوي : صدق مالك الموضع بيمينه ، وقرر الغزي : ولعله فيما علم حدوثه والا (٢٢) فهو يقتضي صاحب الماء وهو قياس كلامهم في مواضع ، وذكر الاذرعي مثله ٠ انتهى٠

بسط وأطناب : رجل له أرض تستحق السقي من أرض فوقها من مدة قديمة بعادة قديمة من (شريج) نازع للماء من الوادي المباح والحال ان القطعتين كانتا لمالك واحد باع احداهما وهي السفلى ووقف الاخرى وهي العليا على جهة معلومة فاستمرت المنفعة على عادتها في السقي مدة حياة البائع وبعد موته ثم تعذر الشريج النازع اليها وابدلت الارض ساقية أخرى يجري فيها ماء الشريج المندرس ويسقي الاعلى وسقيت السفلى منه على عادتها ،ثم انتقلت الارض الموقوفة الى آخر استأجرها من الناظر بعد مدة والعادة مستمرة على السقي المذكور للسفلى في العليا فهل يجاب الى ذلك ويجعل تعذر (الشريج) الاول عذرا له في عدم الاستحقاق للسفلى ؟

أجاب العلامة ابن زياد رحمه الله تعالى بما نصه ليس لصاحب العليا المنع مما ذكر والحال ماذكره والله اعلم ٠

وسئل ايضا عن رجل يستحق سقي أرضه من أرض جار له استحقاقا صحيحا شرعيا وبعادة قديمة من قديم الزمان وكلا الارضين يستحقان السقي من قناة تنزع الماء من الوادي المباح فاذا تعذر السقي للارض المستحق عليها (٢٣) سقي أرض الجار من مجراته المعتادة وجاء مالك الارض المستحق عليها السقي بالماء من مجراة أخرى تنزع الماء من القناة المذكورة برضاء مالك الاراضي المستحقين للسقي عن المجراة الاخرى فهل يستحق سقيه بالماء الذي جاء به من المجراة الاخرى ام لا ٠ أجاب : انه لايستحق سقي أرضه بالماء الذي جاء به من المجراة المذكورة على فرض تعطيل القناة ٠

وفي فتاوى شيخنا العلامة المزجد مايؤخذ منه ذلك والله أعلم ٠

قلت والفرق بين المسألتين ظاهر لان الشريج المبدل في الاول فكأنه هو عين الاول وفي الثانية المجراة مستحقة للغير فلايتصرف غيرهم فيها الا باذنهم كما (٢٤) هو معلوم من القواعد ، ويظهر أيضا ذلك من قول المجيب على فرض تعطيل القناة ،والله اعلم٠

الطرف الثاني:في استحقاق الاجراء للاعلى في ملك الاسفل اذا كانت لرجل أرض عالية وتحتها أرض سفلى فاذا امتلأت الارض العالية واراد صاحبها ان يفجرها الى الارض السفلى وكان بحيث يحصل الضرر على صاحب السفلى ، فقال صاحب السفلى اعدل عني الماء الى حد طرفي أرضك ليخف علي ضرر ذلك الضرر فامتنع فقال أرسله في أي مكان شئت فمن يجاب منهما ؟؟

اجاب العلامة ابن المقري رحمه الله تعالى انه ان كان على صاحب الارض العالية ضرر فالمجاب هو أي صاحب العليا لان الضرر لا يزال بالضرر وان كان لاضرر عليه والضرر على السفلى أجيب صاحب السفلى لقوله صلى اله عليه وسلم لاضرر ولا ضرار ، وهذا كله اذا كان مخرج الماء في العادة على صاحب السفلى اما اذا لم تكن عادة فلا يجوز اخراجه من ارضه والله اعلم . انتهى.

وفي فتاوى الاصبحي(٥٠) أنه ليس له الفتح من أرضه الى أرض غيره بغير رضى صاحب السفلى ان أضر به ولم تجر به عادة ، انتهى.

قال السيد السمهودي رحمه الله تعالى في فتاويه لما سئل عن الراجح في ذلك : الراجح ما اجاب به الشيخ اسماعيل المقري والاصبحي ومسألتهما فيما يضر بقاؤه من الماء بصاحب الارض الاولى وهو يريد الزام صاحب الثانية بصرف الماء المضر اليه وهو يمتنع من اجابته ، قال : واعلم أن ارسال الماء المضر بأرض الجار ليس من تصرف المالك في ارضه بل هو تصرف في ارض الجار بما يضره ، والمنع منه حيث لم تجرى العادة بارساله في ملك الآخر ظاهر الوجه والله اعلم . انتهى ما في الفتاوي المذكورة .

وفي فتاوي ابن زياد يفهم ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم .

قلت وقولهم يفهم جواز ذلك بحضور صاحب السفلى يكون له نظير في (٢٥) تخريجه ودفع ضرره واما في غيبته فيحتمل المنع عند تحقق حصول الضرر ويحتمل خلافه والاول الاوجه ، والله عز وجل أعلم.

الطرف الثالث : في الطرق المعتادة في أملاك الغير اذا كان بجانب شخص طريق ، فأخذ ذلك الشخص الطريق ، مما يلي أرضه وحوط عليها ثم هيأ للمارة طريق أخرى في موات وغيره كشاهق متصل بالطريق الاول من جانب أرضه الاخرى فهل يحرم على الآخذ ذلك أم لا فاذا قلتم بتحريم ذلك فهل يعزر بسبب ذلك حيث علم تحريمه ، وهل يجب على ولي الامر ان يأمر الآخذ المذكور بازالة مافعله بالتحويط على الطريق على المسلمين حيث ثبت ذلك عنده بالطريق الشرعي ويثاب على ذلك.

أجاب العلامة ابن زياد بما نصه : نعم يحرم على الآخذ ذلك واذا ثبت مافعله عند الحاكم بطريقه الشرعي وكان عالما بالتحريم عزره الحاكم بما يراه من انواع التعزيرات من ضرب او نفي او حبس ، وله ان يجمع بين النوعين اذا رأى ذلك ، ويجب على ولي الامر اصلحه الله تعالى ان يأمر الآخذ المذكور بازالة مافعله من التحويط حيث ثبت ذلك عنده بالطريق الشرعي ويثاب على ذلك الثواب الجزيل بالفعل الجميل والله اعلم. انتهى .

وفي فتاوى السيد السمهودي رحمه الله تعالى مانصه مسألة في فتاوى الجمال ابن ظهيره انه من له طريق في ملك غيره يجوز له ان يمشي بآخر معه كيف صورته.

---

٥٠ — هو ابو الحسن علي بن احمد بن اسعد الاصبحي ولد سنة ٦٤٤ وتلقى علومه على محمد بن ابي بكر الاصبحي وبرع في علم الفقه وكان علماء عصره يرجعون اليه ، درس بالمدرسة المظفرية وله من المصنفات : معين اهل التقوى على الفقه والفتوى ، وغرائب الشرحين، واسرار المهذب. توفي سنة ٧٠٣ — انظر ترجمته في كتابي حياة الادب اليمني ص ٤٥ ومصادر الفكر الاسلامي ص ١٨٢ — .

أجاب السيد المذكور بقوله ان من يثبت له الاستطراق في ملك غيره لاينحصر ذلك في استطراقه بل يجوز له ان يستتبع من اراد ادخاله معه الى ملكه لمقاصده والله أعلم · انتهى ·

قال العلامة باقشير في (قلائده) مسألة يفهم من كلام القاضي(٥١) حسين كما في (النفائس)(٥٢) أن من أخذ شيئا فبناه وابدل مثله من جانبها الاخر يجوز له ذلك وبه أفتى جماعة منهم الصفوني(٥٣) انتهى ·

قلت وظاهر ان محل هذا ان لم تكن متميزة بمحل مخصوص من الارض (٢٦) المبدل منها ذلك ويصلح الجمع بينه وبين جواب ابن زياد بأنه في تلك ابدال من موات او نحوه ولاملك له فيه وهنا أخذ من ملكه وابدل فيه ويؤيد ما استظهرته ماتفهمه عبارة القلائد ايضا حيث قال من له طريق في ملك غيره غير مختصة بشيء منه فأراد صاحب الملك أن يخصها بموضع لايضر المستحق ليبق الباقي مختصا به أجاب الشيخ تاج الدين قال : أظنه الغزى بأن له ذلك وليس لصاحب الطريق تعيين موضع ثم قال وفيه نظر قال الغزي(٥٤) وهو كما يقال ويدل للنظر قولهم من اشترى موضعا مما في ملك البائع جاز له الممر في أي جانب شاء بل جواز تخصيصهم له بموضع ولو بخبرته نظرا لعموم استحقاقه وان كان ذلك متجها لئلا يفوت عليهم كمال الاشفاع بملكهم · انتهى ·

فلو اقر شخص بطريق عين أي موضع زعم فان ادعى المقر له موضعا آخر والعموم في كل المواضع فالقول قول المقر كما مر وحيث طلب مستحق الممر من مالك الارض ان يشهد له على استحقاقه لزمه ذلك كما يلزم الراهن الاشهاد على الرهن اذا أخذه للانتفاع بخلاف من عليه دين فطلب الغريم الاشهاد به كما نقله الامام عن قطع الاصحاب كأنهم رأوه وثيقة كالرهن فلا يلزم كذا في آداب القضاء ويفرق بأن الممر قد يكون باعارة او اجارة · كذا في آداب القضاء للغزي ·

فاحتاط للاشهاد بالاستحقاق بخلاف الدين فانه مستحق تاوله فطريق صاحبه التوثق أولا والا فهو مقصر ، انتهى · لفظ القلائد · وسيأتي في الدعاوى عن الشيخ زكريا(٥٥) والشيخ ابن حجر مايؤيد ذلك ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق · قال المزجد في (عبابه) ان رفع التراب من الطريق الواسع وضرب اللبن واتخاذ الكيزان منه وبيعها ولا ضرر فيه مكروه والبيع صحيح ·

قلت ومفهومه الحرمة ان انتج ضرر بل كل ما عد مضرا في العرف حرم والله سبحانه وتعالى اعلم ·

---

٥١ — هو الحسين بن محمد المروزي قاض من كبار الفقهاء له تعليقه توفي سنة ٤٦٢ ·
— انظر الاعلام ج٢ ص ٢٧٨ — ·

٥٢ — النفائس كتاب قيم في الفقه تاليف علي بن ابي بكر الازرق اليمني المتوفي سنة ٨٠٩ — انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ١٩٤ — ·

٥٣ — الاصفوني هو عبد الرحمن بن يوسف بن علي الاصفوني من الفقهاء له مختصر الروضة توفي سنة ٧٥٠ هـ — انظر طبقات الشافعية ج ١٠ ص ٨١ — ·

٥٤ — هو عيسى بن عثمان العزي من فقهاء الشام تولى نيابة الحكم في دمشق وكتابه في أدب القضاء يسمى ادب الحكام في سلوك طرق الاحكام توفي سنة ٧٩٩ — انظر الاعلام ج٥ ص ٢٨٩ — ·

٥٥ — هو الشيخ زكريا بن محمد بن زكريا الانصاري ولد سنة ٨٢٣ له عدة كتب في الفقه ومنها عماد الرضى وسياتي ذكره توفي سنة ٩٢٦ ·
— انظر الاعلام ج ٣ ص ٨٠ — ·

وصل ورجع :

واذا تحول السيل الى غير طريقه المعتاد وأراد (٢٧) الذي أرضه بالشق المتحول أن يحيي موضعه ، ففي فتاوى العلامة ابن زياد رحمه الله تعالى انه لايجوز احياء موضع السيل فقد قال شيخ شيوخنا الكمال الرداد رحمه الله تعالى في شرح (الارشاد) : عمت البلوى ببلدنا ببيع سيلة الاوادي المباح بعد ان يعمروها ويوهبوها مزرعة ويثبت ذلك حكام العصر من غير دليل شرعي فلا حول ولا قوة الا بالله ، بل قدمنا الاجماع عن القاضي أبي الطيب(٥٦) انه لايجوز للامام اقطاع شوارع الماء وقد صرح البلقيني في التدريب بأن حافات الانهار من الحقوق العامة التي لاتملك بالاحياء وقال الشيخ الامام المجتهد تقي الدين السبكي (٥٧) في (شرح المنهاج) : مما عظمت به البلوى اعتقاد بعض العوام ان أرض النهر ملك لبيت المال وهذا أمر لادليل عليه وانما هو كالمعادن الظاهرة ولايجوز للامام اقطاعها ولا تمليكها ، انتهى.

وللسيوطي كلام في هذه المسألة أورده في شرح التنبيه وحاصله ماذكرناه والله اعلم.

(تتميم وافادة):

وحريم(٥٨) النهر كالنيل مما تمس حاجة الناس اليه لتمام الانتفاع بالنهر ومايحتاج لالقاء مايخرج منه فيه لو أريد حفره أو تنظيفه فلا يحل البناء فيه ولو لمسجد ويهدم مابنى فيه باجماع المذاهب الاربعة ولقد عم فعل ذلك وطم حتى ألف العلماء في ذلك وأطالوا لزجر الناس فلم ينزجروا ٠ قال بعضهم ولايغير هذا الحكم وان تباعد عنه الماء بحيث لم يضر من حريمه أي لاحتمال عودة اليه ويؤخذ منه ان ما صار حريما لايزول وصفه بذلك أي بالتباعد بزوال منزعه وهو محتمل ، انتهى نقلا عن (تحفة) الشيخ ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى والله اعلم.

وعبارة الروض وحريم القناة ماينقص ماءها او ينهار ترابها بحفره وما لاموات حوله لاحريم له كالدور المتلاصقة ، انتهت. وفي (العباب) و (آداب القضاء) للقاضي زكريا نحوه والله سبحانه اعلم ٠

المقصد الخامس (٢٨) ٠

في تصحيح عقد الاجارة والمزارعة والمخابرة وتعريف ذلك وما يفسخ الاجارة واحكام المستأجر وفيه مطالب :

(المطلب الاول) :

في العقود وما يتعلق بها :

اعلم أن اجارة نحو الارض لا تتأتى الا معينة بحيث لايتصور فيها اجارة الذمة بل لاتثبت فيها قال الشيخ زكريا في شرح منهجه واجارة العقار لاتكون الا على العين ، انتهى ٠ ويشترط لصحتها أمور أن تكون بأجرة معلومة الى مدة معلومة وتصح الاجرة حالة ومؤجلة وحيث أطلقت تأجلت كثمن المبيع المطلق ولان المؤجر يملكها بالعقد لكن لايستحق استيفاءها الا بتسليم العين ومن

---

٥٦ ــ هو ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري توفي سنة ٤٢٥ ٠

٥٧ ــ هو تقي الدين علي بن عبد الكافي بن علي السبكي ولد سنة ٦٨٣ وله عدة مصنفات في الفقه اشهرها طبقات الشافعية توفي سنة ٧٥٦ ٠
ــ الاعلام ج٥ ص ١١٦ ــ ٠

٥٨ ــ حريم الشيء هو ما حوله من حقوقه ومرافقه وسمي بذلك لانه يحرم على غير مالكه ان يستبد بالانتفاع به ــ انظر المصباح المنير ص ١٦١ ــ.

شرطها كون المنفعة متقومة والقدرة على تسليم العين او تسلمها فلا يصح استئجار أرض للزراعة لاماء لها دائم أو لايكفيها المطر المعتاد او نحوه لعدم القدرة على منفعتها حينئذ واحتمال نحو سيل نادر لايؤثر نعم لو قال ما مكر ولو قبل العقد فيما يظهر اذ لا ضرر عليه لانه ان لم يف له به تخير في فسخ العقد ولو قال أنا أحفر لك بئرا لتسقيها منها من موضع آخر صحت ان كانت قبل مضي مدة من وقت الانتفاع بها لها أجرة وخرج بالزراعة استئجارها لما شاء او لغير الزراعة فيصح وكذا لها أي الزراعة وشرط أن لا ماء لها على ما صرح به الجوري مخالفا لاطلاقهم البطلان٠

وبحث السبكي أنه ان امكن احداث مائها بنحو حفر بئر ولو بكلفة صح والا فلا وفيه نظر لما ذكروه في البيع أن القدرة على التسليم او التسلم بكلفة لها وقع لا أثر لها فليقيد قولهم بكلفة بما اذا لم يكن لها وقع ولم يكن لمدة التعطيل أجرة ويجوز ايجارها ان كان لها ماء دائم من نحو عين او نهر لسهولة الزراعة حينئذ ثم ان شرط أو اعتيد في شربها دخول او عدمه عمل به والا لم يدخل لان اللفظ لم يشمله ومع دخوله لايملك(٢٩) المستأجر الماء بل يسقى على ملك المؤجر كما رجحه السبكي ٠ وكذا يجوز استئجارها ان كفاها المطر المعتاد ولايجوز اجارة عين لمنفعة مستقبله فلو أجر السنة الثانية لمستأجر الاولى قبل انقضائها صح لاتصال المدتين واحتمال طر وعدمه بطر وانفساخ الاولى لايؤثر لان الاصل عدمه فان وجد ذلك لم يقدح في الثاني كما صرح به في العزيز وللمؤجر حينئذ ايجار ما انفسخت فيه لغير مستأجر الثانية لانه يغتفر في الدوام ، مالايغتفر في الابتداء وقضية المتن أن المستأجر الاول لو أجرها من غيره صحت اجارة الثانية له لما بينهما من المعاقدة لا للمستأجر منه اذ لا معاقدة بينهما وان وجد اتصال المدتين من ثم لو باعها المالك لم يكن للمشتري منه ايجارها من مستأجر الاول وبذلك كله افتى القفال بل قال ان الوارث لايقوم مقام الموروث في ذلك نظرا لما قاله من انتفاء المعاقدة بينهما وعكس ذلك القاضي والبغوي فقالا لايجوز حتى للوارث اذ ايجارها ممن في يده مدة تلي مدته دون من خرجت عنه قال السبكي وكلام للرافعي يشبه ان يكون مائلا اليه لكن الاول أعوص انتهى٠ والثاني هو المعتمد انتهى ٠٠ كما عبر به في التحفة ٠

اتحاف واسعاف :

وفي الفتاوى لابن زياد رحمه الله تعالى في باب الاجارة اذا كان شخصان يستحقان عناء محترما في الارض زادت به قيمتها بأنه لايصح اجارة نصف الارض من أحدهما ولاجميعها منهما وايضاح ذلك انه لو أجر نصف الارض من احدهما لم يتمكن من الانتفاع بما استأجره الا بالمهاياة التي لا يدخلها الاجبار ، ودعوى امكان الانتفاع بقسمة العنا وانحصار النصف المستأجر فيما تميز له من العنا غير صحيحة لما قلناه أن القسمة ليست لذات الارض بل للعنا وحده فيبقى(٣٠) الشيوع في الارض فيتعذر عليه الانتفاع وهو المانع من صحة الاجارة وكذا يتعذر الانتفاع لو لم يقتسما العنا ولامتناع التأجير من ثالث لوجود العنا فلو أجرها الناظر منهما تعذر الامتناع لعدم

الاجبار على المهاياة سواء اقتسما العنا أم لا لانهما لايجبران على المهاياة أيضا ويمتنع على الحاكم تأجيرهما عنهما من ثالث لوجود العنا فيها لهما فتحصل من ذلك امتناع تأجيرها منهما او من احدهما او من ثالث غيرهما وحينئذ فالطريق الى صحة تأجيرها منهما ومن غيرهما أن يرضيهما الناظر في عنائهما ثم يؤجرها منهما او من أحدهما أو من غيرهما هذا ماظهر لي في جواب هذا السؤال ، والله اعلم ، انتهى لفظ الفتاوي المذكور٠

قلت وهذا حيث كانت الزيادة عينا كزيادة الزبير والتراب الجبلى المباح اما الزيادة بالحرث فيجوز التأجير ولو على أجنبي قبل أرض صاحبه بالزيادة لانها أثر كالقصارة كما هو مقرر ٠ وسيأتي تأييده ان شاء الله تعالى في المطلب الثالث فتفطن لهوالله أعلم٠

تأييد وتأكيد :

ثم رأيت من افتى بنحو ذلك نقلا عن الكمال الرداد فالحمد لله على ذلك بل قد تقدم من فتاوى العلامة ابن زياد نقلا منها وعبارة المزجد في عبابه ويجوز أن يؤجر عينا سنة ثم يؤجر هو ووارثه والمشتري منه سنة اخرى قبل انقضاء الاولى من المستأجر لا من غيره وان انفسخت فينبغي أن يؤثر٠

قلت وهذا موافق القاضي والبغوي فتأمله ثمقالوان يؤجرها المؤجرلآخر ثميؤجرهاالمالك سنة اخرى من الآخر لا من المستأجر الاول ، انتهى والله الموفق ٠

(رجع) واركانها أي الاجارة بالاجمال خمسة كونها متقدمة وان لاتتضمن استيفاء عين قصدا والقدرة على تسليم المنفعة وحصو ل المنفعةللمستأجر ومعرفةالمعقودعليه عينا وصفة وقدر المنفعة ، انتهى ٠

وأما المزارعةفهي(٣١) عملالارض ببعض مايخرج منها والبذر من المالك والمخابرة وهي هذه المعاملة والبذر من العامل فلا تصح قيل باتفاق المذاهب الاربعة وللنهي الصحيح عنهما ولسهولة تحصيل منفعة بالاجارة واختارجمعجوازهما وتاولوا الاحاديثعلى ما اذا شرط لواحد زرع قطعة ولآخر أخرى واستدلوا بعمل عمر رضي الله عنه وأهل المدينة ويرد بانها وقائع انتهى عبارة التحفة ٠

ومن زارع على ارض بجزو من الغلة فعطل بعضها لزمه أجرته على ما أفتى به النووي رحمه الله لكن غلط فيه التاج الفزاري وليس كما زعم ففي البحر التصريح بما أفتى به٠ لكن في المخابرة فيحمل كلامه عليه وصرح السبكي بأن الفلاح لو ترك السقي مع صحة المعاملة حتى فسد الزرع ضمنه ولانه في يده وعليه حفظه فاذا دفع المالك للعامل مزارعة فالغلة للمالك لانه نما ملكية وعليه للعامل أجرة عمله ودوابه وآلاته ان كانت له وسلم الزرع لبطلان العقد وعمله لايحبط مجانا أما اذا لم يسلم فلا شيء للعامل على ما أخذ من تصويب النووي رحمه الله تعالى ، لكلام المتولي في نظيره في الشركة الفاسدة ٠٠ ورد بأن قياسه على التراضي الفاسدة أوجه لاتحادهما في أكثر الاحكام ، ولهذا توجيه يراجع له في تحفة ابن حجر من اراده وبالله التوفيق ٠

زيادة وايضاح :

قال في جواهر الجواهر للعلامة عمر الفتى رحمه الله تعالى :

(مسألة) اذا اعطاه أرضا فلم يعمل فيها شيئا نظر فان زارعه على ان يكون البذر من عند الزارع لزمه أجرتها في المدة التي عطلها في يده وان زارعهما على ان يكون البذر من عند رب الارض فلا شيء على العامل وان زارعه بأن يكون البذر عليهما لزمه نصف اجرتها وكذا الجواب فيما اذا عمل بعض العمل من حرثها وكزبرها ثم ردها على صاحبها لم يستحق شيئا في الاولى على رب الارض من أجرة عمله • وفي الثانية نصفها ويجب الزارع غلة أجرة نصف الارض في المدة التي بقيت في يده ، انتهى لفظه•

قلت وقد ذكر لصحتها (٣٢) طرقا كثيرة فمنها ان يستأجر المالك العامل بنصف البذر ونصف منفعة الارض ، مثلا شايعا ليزرع له النصف الآخر من البذر في نصف الارض مشاعا ويعين نصف الارض مشاعا وبهذا يعلم جواز اعارة المشاع والغلة لهما ولا اجرة • انتهى ••

ومنها ان يستأجر بنصف البذور ونصف منفعة الارض مثلا شايعين ليزرع له النصف الآخر من البذور في النصف الاخر من الارض فيشتركان على مثالنا هذا في الغلة مناصفة ولا اجرة لاحدهما على الاخر ويفارق الطريقة الاولى هذا بأن الاجرة ثم عين وهنا منفعة وعين وثم يتمكن من الرجوع وهنا لا يتمكن ولو فسد منبت الارض في المدة لزمه قيمة نصفها ثم لا هنا لان العارية مضمونة من العامل فتأمل ذلك فانه مهم والله اعلم•

ومنها ان يستأجر العامل نصف الارض بنصف البذور ونصف عمله ونصف منافع آلاته فان كان البذر من العامل فمن طرقه أن يؤجر نصف الارض بنصف منافعه وآلاته

ويشترط في هذه الاجارات وجود جميع شروطها كمعرفة نحو الآلات والدواب التي يحرث عليها وغيرها مما هو مذكور في مجاله فلا نطيل بذكره •

ومما ذكروه في لفظ عقد المزارعة أن يقول: استأجرتك سنة ابتداؤها من يومنا هذا الى انتهاء ذلك لتزرع لي ثلثي هذه الارض بمنافع ثلثها فيقول الحارث : رضيت ثم يكون البذر منها أثلاثا وتكون الغلة كذلك ، انتهى • كما وجد منقول عن التعليقة • ومن ذلك ما يعزى الى خط المزجد في صيغة التشريك بالثلث للشريك ولنحو المالك أن يقول نحو مالك الارض للشريك ألزمت ذمتك جحر عودين لسهمين من ثلاثة أسهم من الارض وتعنيتها وتنقيتهما وترويتهما وثلامتهما وتشتيه زرعها بمنفعة السهم الثالث منهما مدة سنة ثم ينذر المالك على العامل بثلث الطعام •• ونصف العشور والنشيج(٥٩) بربع ما يحصل له (٣٣) من مغل الارض من العجور (★) مايخرج والحال ان ثلث الطعام والعجور من التشريك والثلثان من نحو المالك ، انتهى كما وجدت •

فأيده عزيزة فيما يأخذه المالك من المستأجر عند عقد الاجارة من غير الاجرة قد سئل ابن زياد عن ذلك هل هو حرام أم لا ، وهل يفرق بين ما اذا كان المستأجر حربيا أو لا وحكى ان مثل ذلك قاعدة مطردة عند الكفرة احتراما لصاحب الارض فأجاب ان المستأجر اذا كان يدفع ذلك بطيب نفسه من غير اكراه له على ذلك حل تناوله ويكون في معنى الهدية لايحتاج الى ايجاب وقبول

---

٥٩ — مجرى الماء •

★ تصب الذرة وغيره •

ولايؤثر ذلك كونه في مقابلة العقد المذكور وقد عهد ذلك فيما اذا أهدى الزوج الى الزوجة بعد العقد بسبب العقد فانها تملكه ولايحتاج الى ايجاب وقبول ومايدفعه الرجل اليها صبح الزواج مما يسمى صبحية في عرفنا وما يدفعه اليها اذا غضبت لو تزوج عليها فان ذلك تملكه المرأة بمجرد الدفع اليها كما أفتى به ابن الخياط رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم.

المطلب الثاني :

فيما تنفسخ به الاجارة ومايوجب الفسخ، فله ان يفسخ بانقطاع ماء الارض المؤجرة للزراعة لا ان أبدله ماء ووقت الزراعة باقي ويغصب العين اذا كانت اجارة عين فان اجازوا التقدير بالعمل استوفاه اذا كانت عادة في المدة او بالزمان فان لم تمض للغصب مدة لها اجرة لم تنفسخ والا فان عادت انفسخت في الماضي فيسقط قسطه أو استوفى بقيمتها او لم تعد فيها انفسخت في الكل ويلزم الغاصب اجرة المثل للمالك لا للمستأجر . انتهى.

ولو تلف زرع الارض بآفة لم تنفسخ فان تلفت الارض بنحو غرق أو بطلت قوة انباتها استرد أجرة القابل لا الماضي أو بعده استرد أجرة القابل وكذا الماضي(٣٤)، انتهى.

ولو حبس المؤجر العين المؤجرة ولو لقبض الاجرة فان قد ربزمن فمضى كله انفسخ أو بعضه انفسخ في الماضي فقط ، انتهى.

ولو غصبت العين المستأجرة ولم يسع المستأجر في ردها لم يضمن ، انتهى من (العباب) وعبارة الروض وان مرض مستأجر الدابة او تلف متاعه لم تنفسخ في الباقي وكذا ان هلك الزرع بجائحة الا أن تلفت الارض فلو تلف الزرع وتعذر ابداله قبل الانفساخ بتلفها لم يسترد من المسمى لما قبل التلف شيئا او بعد تلفها استرد حصته ما بعد تلفها لانه لو بقيت الارض لاستحق المنفعة ، انتهى .

قال ويثبت الخيار بانقطاع ماء الارض لا أن أبدله ماء ووقت الزراعة باق ولوغصبت العين في اجارة العين فله الخيار وان أجازوا التقدير بالعمل استوفاه حين يقدروا بالزمان انفسخت فيما أنقص منه فان لم يفسخ فانقضت المدة انفسخت وليس للمستأجر والمرتهن مخاصمة الغاصب كالمستعير والمودع انتهى .

ثم قال يلزم المؤجر مايلزم الوديع من دفع ضرر عن العين . انتهى . وقال في العباب نحوه قال وان حبس المؤجر العين انقضت المدة او بعضها انفسخ في الماضي وثبت الخيار ، انتهى .

وعبارة (المنهج) وشرحه للقاضي زكريا رحمه الله تعالى (فصل) فيما يجب على المكري والمكتري .. لعقار او دابة عليه أي على المكري تسليم مفتاح الدار الى ان قال وليس المراد يكون ماذكر واجبا على المكري انه يأثم المكري بتركه أو انه يجبر عليه بل انه ان تركه ثبت للمكتري الخيار كما بينته بقولي فان بادر وفعل ماعليه فذاك والا فللمكتري خيار ان انقصت المنفعة لتضرره بنقصها ثم قال وتنفسخ بحبس غير مكتر له أي العين مدة حبسه ان قدرت بمدة سواء أحبسه المكتري أم غيره كغاصب لفوات المنفعة قبل القبض انتهى .

وفي (التحفة) للشيخ ابن حجر الهيثمي رحمه الله تعالى ويلزم المؤجر انتزاع العين ممن غصبها ودفع نحو حريق أو نهب عنها ان أراد (٣٥) دوام الاجارة والا تخير المستأجر ولو قدر علة المستأجر من غير خطر لزمه كالوديع ويؤخذ منه ان لو قصر ضمن وانه لايكلف النزع من الغاصب المتوقف على خصومه بل لايجوز كالوديع لانهما لايخاصمان وان سمعت الدعوى عليهما ، انتهى ٠ ثم قال واما غصب لمؤجر لها قبل القبض وبعده بأن امتنع من تسليمها فيفسخها٠٠

ثم قال على قول المتن(٦٠) ولو اكترى عينا مدة ولم يسلمها او غصبها او حبسها أجنبي حتى مضت تلك المدة انفسخت الاجارة لفوات المعقود عليه قبل قبضه ٠ وان جبر بعضها انفسخت فيه فقط ويحير في الباقي ولا يبدل زمن بزمان - انتهى٠ قال في (فتح الجواد) شرح الارشاد لابن حجر أيضا مانصه وليس المراد بكون ما ذكر على المكري اجباره عليه أو أن يأثم بتركه بل ان من وظيفته بلا اكراه حتى اذا ترك المكري ماعليه تخير المكترى ، انتهى ٠ ثم قال وقد يجبر على العمارة في الوقف ومال موليه ان كان الحظ له في دوام الاجارة لكن الاجبار ليس لحق المكترى ونزع العين معينة من غاصبها من يد مستأجر أو غيره فهو على مكرى بلا اكراه له عليه وان قدر عليه بلا ضرر ٠

لكن ان احتاج الى كلفة والا أجبر عليه هذا هو الذي يتجه وعليه يحمل ما وقع في الروضة من التناقض في ذلك - انتهى ٠ ثم قال وتنفسخ العينية معالقسط أيضا بحيلولة بين المستأجر والعين المؤجرة من المؤجر أو غيره كأن غصبت أو ابق القن أو ندت الدابة ان قدر عقد الاجارةبمدةفتنفسخ فيما انقضى منها وتسقط حصته من المسمى ويستعمل العين في الباقي فان استمرت الحيلولة الى القضاء المدة انفسخ العقد بالكلية ٠

أما اذا قدر بعمل فيستوفيه حين يقدر ولا فسخ ٠

أما اجازة الذمة فلا انفساخ فيها ولا خيار بل على المؤجر الابدال هنا - وان امتنع أجبرعليه- انتهى٠ ثم قال ولايخاصم(٣٦) مستأجر ولا مرتهن غاصبا للعين المؤجرة او المرهونة او سارقا أو مدعيا أنها ملكه وان امتنع المالك عن مخاصمته عنادا اذ لا ملك لهما ولا نيابة خلافا لما رجحه في (الحاوي) من انهما لايخاصمان ، انتهى لفظ ابن حجر

وفي فتاوىالعلامةابن زياد رحمهالله تعالى مانصه مسألة رجل استأجر عيناخرى على حرث عين معلومة لهما وعلى تلامها فحرث الاجير بعض الارض المذكورة وهرب او امتنع وتعذر وتجبر عن تمام ما استأجر عليه فما حكم ذلك ٠ أجاب نفع الله به : اذا هرب الاجير قبل تمام العمل استأجر القاضي له من ماله ثم بما يقترض كما صرح بذلك المزجد رحمه الله تعالى في (عبابه) ٠ فقال (فرع) من التزم عملا في ذمته ثم هرب قبل تمام العمل استأجر القاضي له من ماله ثم بما يقترض كما مر - انتهى ٠ وظاهره أن ذلك في اجارة الذمة وهو كذلك أخذا مما ذكروه في هرب العامل وعبارة الروض - وان هرب العامل في المساقاة او مرض قبلالتمام ولم يبطل عمله بل يثبت المالك عند الحاكم المساقاة والهرب ليتم العمل من ماله - الخ-

٦٠ - اي متن التحفة وهو منهاج . الطالبين للنووي .

قال شارحه العلامة زكريا الانصاري رحمه الله تعالى اذا هرب ظاهر كلامه كأصله انه اذا هرب العامل ليكترى وان كانت المساقاة واردة على العين والذي جزم به صاحب (المعين)(٦١) اليمني والنشابي المنع في الواردة على العين لتمكن المالك من الفسخ .. انتهى .

ونقل العلامة الرداد في كوكبه(٦٢) هذا التفصيل عن الشيخ تقي الدين السبكي قال وتوبع – انتهى مافي الفتوى المذكورة. وعبارة الشيخ في شرح منهجه نعم ان كانت المساقاة على العين فالذي جزم به صاحب (المعين) اليمني والنشائي (★) واستظهره غيرهما أنه لايكترى عليه لتمكن المالك من الفسخ – انتهى .

قلت وفيما اوردناه كفاية في التصريح بعدم اجبار المؤجر ، وحيث اطلق الخيار في هذا الباب فهو على التراخي المنقول المعتمد لان الضرر المتجدد ويمضي الزمان – انتهى.

فان قلت اذا لم يجبر المالك على تسليمها او انتزاعها ولو بالحاكم ترتب على ذلك حملة من المفاسد وتعطلت هذه المعاملة بالقدرة على انحلال عقدها .

قلت الذي يظهر لي من كلامهم أنهم اكتفوا في المعاقبة للمؤجر باسقاط الاجرة عليه من(٣٧) غير فسخ ولم ينظروا الى تلك المفاسد ولهذا صرحوا باجبار ناظر الوقف والولي في حق المولى بالاجبار لحق المولى وبقاء الوقف ان كان بقاؤه احظ .. وليس هو بحق للمكتري كما علم فيما مر .

فان قلت هل يفرق بين العمل وغيره قلت نعم أما البذر فتفسخ حالا كما أفتى به العلامة ابن زياد ، وذلك لاستغراقه جميع المدة وهو كتلف العين وان كان يحرث او نحوه انفسخت شيئا فشيئا وتخير.

فان قلت قد أجاب بعض العلماء كما في فتاوى الجمال الاشخر ان قولهم المستأجر لا يخاصم محله حيث كان الغاصب غير المؤجر أما اذا كان هو الغاصب فان للمستأجر مخاصمته في ذلك لئلا يفوت حقه كما نقله عن بعض (شراح المنهاج) قلت في ذلك اضطراب وقع في الروضة ورجحه صاحب (الحاوي) وخالفوه ولم ينقل الاجبار الا عن مذهب مالك رحمه الله تعالى كما ذكره السيوطي، فيما أظن والصحيح المعتمد الذي حررناه من كلام العلماء رحمهم تعالى وعليه الجمهور أنه ليس للمستأجر مخاصمة المؤجر ولاغيره ولايجبر المؤجر على ذلك ، ولا يأثم بفعله لان التفويت هنا راجع اليه وهو المسقط لحقه والمستأجر متمكن بازالة ضرره بالفسخ بل وعدمه كما سبق ولكن ينبغي ان يقال تبعا للحاوي ان اتخذ المؤجر ذلك ذريعة للفساد واسقاطا لعمل المستأجر ان كان سبق له كبير عمل أن يجبر على التسليم ولو بالحاكم اصلحه الله تعالى ليرتدع به أمثاله لكثرة فساد أهل الوقت اصلحهم الله تعالى ان قلنا يجوز تقليد الحاكم لمذهب اخر والحكم بالمرجوح في المذاهب تقليدا لقابله ولم يقل بذلك أحد لكن في فتاوى ابن زياد مالفظه والمعتمد ان القاضي المقلد ليس له الحكم

---

٦١ – يعنى به العلامة على بن احمد الصبحي المتوفى سنة ٦٤٤ السابق الذكر .

٦٢ – يعنى به كتاب الكوكب الوقاد شرح الارشاد للدين الرداد السابق ذكره .

(★) هو احمد بن عمر النشائي المدلجي ولد سنة ٦٩١ وتولى بالقاهرة سنة ٧٥٧ له عدة كتاب شرح الوجيز للغزالي وجامع المختصرات والابريز (الاعلام ج١ ص ١٨٠) .

بخلاف المعتمد في المذهب لاسيما وأكثـر قضاة الوقت رفعهم الله عن الناس فان أكثر أحكامهم كما رأينا مبنية على أهويتهم هذا في زمنه فكيف نسأل الله حسن الخاتمة وأما المقلد لغرض نفسه فيسعه تقليد القائلين به ويسوغ له ذلك بناء على الاصح وهـو التقليد ان كان له قدرة على الانتزاع لكن بشروطه المقررة فاستفد بذلك فانه مهم جدا والله اعلم (٣٨) نعـم قال السمهودي في (ألعقد الفريد في أحكام التقليد) وفي (المهمات) أخذا من شرح (المهذب) أن اطلاق الاصحاب اذا شمل بعض الاحكام ولم يصرحوا به وخالف بعضهم فصرح بخـلاف ماشمله الاطلاق فالصحيح الاخذ بما شمله الاطلاق وأفتى به الجلال البلقيني وكتـب عليه الولي العراقـي(٦٣) صـحيح ومعتمـد وجوابي كذلك ـ انتهى٠

قلت وهذه فائدة وقاعدة لمن رزقه الله تعالى السلام والمساعدة من هذا العلامـة المحقق فالحمد لله على ذلك وبالله التوفيـق فان قلت محمله في غير هذا وها أنا أسـوق لك ذلك أولا فتأمله وصورته : مسألة عـن قطعتي أرض احداهما قبلية لمالك يملكهـا والاخرى من يمانيها وهي أملاك سلطانيـة ولها حارث يده عليها متربته وفي وسـط القطعة الاملاك زبيرا من ترابها يحبس الماء اذ لولاه لم ينتفع بها للزراعة فادعى صاحب القطعة القبلية أن الزبير المتوسط محـدث وانه يضر بأرضه والحال ان الحارث المذكـور لم يحدثه فهل تسمع دعوى مالك القطعة على الحارث الى اخر السؤال فأجاب ابن زيـاد بما نصه : الخصم في ذلك الناظر نعم ان كان على الحارث في ذلك ضرر فله أن يطلب من الحاكم رفع ضرره بالطريق الشرعي وقول الشيخين المستأجر لايخاصم محله في البدل٠٠ أما مخاصمته في العين فالمنقول المعتمد الذي قرره السيد السمهودي رحمه الله تعالـى أن له المخاصمةفي العين والله أعلموقد قدمنا فيما نقلاه عن الروض و (العباب)أنهيلزم المؤجر مايلزم الوديع من دفع ضرر عـن العين فلا يعزب عنك ذلك وهذا من نظائره فتأمله وبالله التوفيق وهو حسبي ونعـم الوكيـل ٠

المطلب الثالث :

في أحكام المستأجر : اعلم أنه لابد اولا لهذا البحث من مقدمة يبنى الكلام عليها فنقول : مقدمة في ماهية العنا الذي يصير به المستأجر شريكا للعنا من حيث الاصطلاح وتعريفه : هل هو عين أو أثر أو مركـب منهما ٠٠ أما ماهيته عرفا : فهو اسم لمـا يكون في الارض من حرث وزبر فيها أن من غيرها كسيل او طرح يحصل منه زيادة في قيمة الارض على ماسيأتي بيانه ٠٠

وأما كونه عينا او أثرا أو مركبا منهمـا فيعرف مما نورده عن العلامة ابن زياد رحمه الله تعالى حيث قال في كتابه(٣٩) مزيل العنا فيما أحدث في الارض المزروعة من العنا(٦٤) ولفظه قال القمولي رحمه الله تعالى فيالهبة الحرث للارض أثر وأفتى العلامة أحمد بن موسى عجيل والاصبحي رحمهما الله تعالى أن الحرث عين على الاصح قال ولا تناقض بينهما فانه أثر على كل حال ولكن هل له

---

٦٣ ــ وهو ولي الدين احمد بن عبد الرحيم العراقي قاضي مصر له عدة كتب في الفقه والحديث توفي سنة ٨٤٦ ــ الاعلام ج ١ ص ١٤٤ ــ ٠

٦٤ ــ أنظره في هذا المجموع٠

حكم في حق من لايوصف بالتعدي كالمفلس والمستعير قولان أرجحهما نعم وهو الذي أجاب به ابن عجيل ثم صرح به بأنه تركه يفضي منه دين الميت ويورث وسيأتي عن فتاوى ابن الصلاح مايشهد لذلك ـ انتهى ـ وفي الروضة ان المفلس اذا قصر الثوب فهوصفة محضة والاظهر انها عين والمفلس شريك بها لانها زيادة محترمة بفعل محترم متقوم ـ انتهى .

اذا علمت ذلك ، ففي فتاوى ابن عجيل رحمه الله تعالى اذا غصب أرضا فحرثها وزبرها وزادت قيمتها بذلك وانتفع بها مدة فهل يلزمه أجرتها محروثة بقدر ماحرثه من ثلاثة اعوام واربعة فأجاب انه يلزمه أجرتها محروثة وهو ظاهر في أن الحرث أثر في حق من لايوصف بالتعدي .

وفي فتاوى القاضي مايشهد له وفي فتاوى السيد السمهودي رحمه الله تعالى مسألة اذا حمل السيل ترابا او حجارة او نحو ذلك لرجل الى أرض اخر فاختلط بالارض المذكورة بحيث لايتميز فهل هو كقولهم لو اختلطت حنطة بحنطة غيره او مائعة في مائع غيره وجهل قدرهما فالحكم كما ذكرنا في الحمام المختلط ام لا وهل يلزم صاحب التراب والحجارة أن يزيلها عن الارض المذكورة قبل المطالبة بما قال وكذلك صاحب الشجر التي حصلت أغصانها في ملك الغير أم لايلزمه الا بالمطالبة كما قال الاسنوي في شرح المنهاج اذا حمل السيل بذرا لغيره الى أرضه فنبت لايلزمه قلعه قبل المطالبة كما هو مقتضى كلامهم الجواب اذا حمل السيل ترابا او حجارة الى ارض اخر فاختلطت بحيث لايتميز فان كان يسيرا يعرض الناس عن المطالبة به عادة الحق ذلك بالسواقط التي جرت العادة بالاعراض عنها والا فهو كما لو اختلطت حنطته بحنطة غيره واذا طالبه صاحبه لزمه تمكينه (٤٠)من مقدار حقه ولا يلزمه ازالة ذلك قبل المطالبة بل يتوقف الحال هنا عليها لان ذلك قد صار مشتركا فلا بد من القسمة بعد الاتفاق على المقدار والله أعلم ـ انتهى مافي الفتاوي المذكورة .

وفي (التجريد)(٦٥) للعلامة المزجَّد بفتح الجيم غصب أرضا او طرح فيها ترابا فزادت به قيمتها ولم يمكن نقله لاختلاطه وانبساطه قال الرُّوياني(٦٦) فان كان نجسا كالاروات فلا شيء للغاصب او طاهرا فوجهان : أحدهما ان كان مستهلك فلا شيء والثاني يكون شريكا في ثمن الاصل بقدر الثمن للتراب كما لو صبغ الثوب بصبغة انتهى .

قال ابن زياد قلت وهذا وجه واما الحراثة فهي كما لو قصر الثوب فيصير شريكا بنسبة مازاد من قيمة الثوب كما هو مقرر في محله وفي فتاوى ابن زياد وابن الصلاح التصريح بذلك ..

وفي فتاوى الشهاب البكري(٦٧) رحمه الله

---

٦٥ ـ ويسمى ايضا تجريد الزوايد وتقريب الفوائد (انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٠٩).

٦٦ ـ هو عبد الواحد بن اسماعيل بن احمد الروياني ولد سنة ٤١٥ بطبرستان ورحل الى بخارى وغزنه والري له كتاب بحر المذهب يقال انه من اطول كتب الشافعية توفي سنة ٥٠٢ ـ الاعلام ج٤ ص ٣٢٤ ـ .

٦٧ ـ هو ابو الحسن محمد بن محمد بن عبد الرحمن البكري ولد سنة ٨٩٩ بمصر ، وكان يتردد الى مكة وله عدة كتب في الفقه والتصوف منها كتاب شرح العباب للمزجد اليمني وشرح المنهاج ووقفت على مجموعة فتاوى في مسائل الري عند اهل اليمن جمعها الفقيه عبد الرحمن بن عمر العمودي المتوفي سنة ٩٦٧ بعنوان المرعى الاخضر من فتاوى البكري وابن حجر بعد ان اضاف اليها فتاوى ابن حجر الهيثمي في هذا الموضوع . توفي البكري سنة ٩٥٢ (انظر الاعلام ج ٨ ص ٢٨٦) (ومصادر الفكر الاسلامي ص ٢١١)

تعالى مالفظه مسألة لو استأجر شخص من اخر أرضا للزراعة فحرثها وزبرها ولم يزرعها لعدم السقي فلما تمت المدة منعه المالك من أرضه فهل له ذلك وما يجب للمستأجر : فأجاب نعم للمؤجر المنع بعد انقضاء مدة الاجارة ويجب للمستأجر مازاد في قيمة الارض بسبب العنا - انتهى... قال العلامة ابن زياد وهو صريح في كون الشركة بزيادة القيمة لا بأجرة عمله .. وفي فتاوى الكمال(٦٨) نحوه .. وفي مجموع العلامة حمزة الناشري(٦٩) رحمه الله تعالى مالفظه مسألة أجر على اخر أرضا للزراعة بطعام معلوم مدة معلومة ولم تسق الارض في تلك المدة ومن عادتها السقي ولم يفسخ المستأجر فأراد المؤجر طلب الاجرة بعد حلولها من المستأجر فهل له ذلك ويلزم المستأجر التسليم شرعا : أجاب العلامة موسى بن زين العابدين الرداد رحمه الله تعالى : نعم : له المطالبة بالاجرة المسماة وان لم تسق الارض والحالة هذه والله اعلم ..

المسألة بحالها ولكن زبر المستأجر الارض وحرثها فانقضت مدة الاجارة ، ومنعه المؤجر السنة الثانية من زراعتها ، فما يجب في حرثه وزبره أجاب العلامة محمد بن علي بن الخل(٧٠) رحمه الله تعالى (٤١) انه يجب للمستأجر مابين قيمة الارض - محروثة ومزبورة وبين قيمتها خالية عن ذلك - انتهى .. من المجموع المذكور.

قال ابن زياد عقب نقله لذلك ورأيت من يتوقف في لزوم الاجرة اذا انقضت المدة ولم تسق الارض ولم يفسخ المستأجر ولامعنى له ا لابتقديم العرف المتأخر رتبة عن الشرع وقد علم ان الجمهور على خلافه قال وجدت بخط شيخنا علامة العصر الشهاب الطنبداوي مالفظه وجدت بخط القاضي وجيه الدين الناشري(٧١) - مسألة - اذا استأجر أرضا للزراعة ثم أجرها اخر فعنى فيها ولم تسق الارض فمضت المدة والعنا باق وأجر المالك من اخر ثالث وأراد صاحب العنا الرجوع بعنائه فالرجوع على المالك لا على المستأجر الاول في السنة الاولى ، والمرجوع به مازادت قيمة الارض لا ما غرمه من العنا قاله والدي رحمه الله تعالى ثم كتب بعد ذلك هذا اذا كانت الارض مملوكة فلو كانت موقوفة فعلى من المرجوع - انتهى .. ماوجدته بخط شيخنا - انتهى كلام ابن زياد المذكور .

وفي (الخادم) من (البحر) في اخر باب الاجارة : اذا استأجر ارض الوقف من الناظر للبناء فيها فبنى ثم أمره بالرفع ، قال الامام الحناطي(٧٢) : يلزمه أرش النقص من مال الوقف اذا كانت الاجارة صحيحة ، والمصلحة

---

(٦٨) يعني به الكمال الرداد سبق ذكره .

(٦٩) هو حمزة بن علي الناشري ولد سنة ٨٢٣هـ وتلقى علومه على جماعة من علماء زبيد وله عدة مصنفات في الفقه والادب وكتابه مجموع حمزة في الفتاوى توجد منه قطعة بالامبروزيانا بايطاليا توفي سنة ٩٢٦ - المصادر ص ٢٢٠ -.

(٧٠) هو محمد بن علي بن محمد بن سليمان الخلي نسبة الى قرية تسمى الخلة بفتح الخاء المعجمة وتشديد اللام كان يعرف بالشافعي الصغير تفقه على احمد بن جديل في سهفنه وكان يدرس في المذهب الشافعي والحنفي وله صلة بالملك المنصور عمر بن علي الرسولي ، ويقول الخزرجي لم اتحقق وفاته وهو من أهل القرن السابع .
(انظر طراز اعلام الزمن) .

(٧١) لعله عبد الرحمن بن محمد الناشري ولد سنة ٧٧٨ وتفقه على جماعة من العلماء له : جامع المختصرات توفي سنة ٨٢٦ (انظر مصادر الفكر الاسلامي ص١٩٦).

(٧٢) الحناطي هو الحسين بن محمد الطبري من فقهاء مذهب الشافعي وفاته بعد الاربعمائة .
(أنظر طبقات الشافعية ج ٤ - ص ٣٦٧).

في أجارته كذلك وان كانت فاسدة يؤمر بالرفع وأرش النقص على الناظر ويحتمل أن يقال لايلزمه شيء ..

قال ابن زياد وهو ظاهر في جواز بذل قيمة العنا من مال الوقف قياسا على بذل الارش بجامع المصلحة في ذلك ، وفي شرح (الروض) من العارية نقلا عن ابن الصلاح مايقتضي ذلك ويلتحق بذلك أراضي بيت المال ان رأى الامام ذلك بل أولى فان رأى الامام بيع الارض وجوزناه ، أتى فيه ماتقدم وسياتي هنا قريبا ان شاء الله تعالى ، ثم قال ابن زياد قال وظاهر صحة الاجارة قبل تسليم العنا والكلام في هذا البحث طويل جدا ولو استرسلنا فيه لخرجنا عن حد الاختصار المشروط فلنقصر على (٤٢) هذا القدر والله الموفق والهادي .

المطلب الرابع :

في حكم تصرفهما مجتمعين أو منفردين وفي اجبار أحدهما الى مادعاه اليه الاخر من البيع وعدمه ففي فتاوى الكمال الرداد مالفظه مسألة هل يجوز اجارة الارض من مستأجر بعد انقضاء مدة مستأجر اخر ان كان له عناء زادت به قيمة الارض ، قبل تسليم عنائه والصورة انه لم يحصل سقي ولم تزرع أجاب : لاتصح الاجارة والله اعلم وفيها أيضا مسألة : رجل اذن لآخر في زراعة أرض من غير عقد مزارعة صحيح عند من يصححها وانما جرى منه مجرد اذن فقط فحرث الارض ، وزبرها وقطع الاشجار التي تمص رطوبة الارض وهيأها على أكمل الوجوه التي يفعلها الزراع ثم رهن مالك الارض أرضه من اخر او باعها قبل ان ينتفع الزراع ، فهل يصح الرهن أو البيع ويرجع على الآذن بقيمة عمله أم لايصح شيء من ذلك لكون عمله محترما بالاذن الى اخر السؤال ، اجاب : اذا زادت قيمة الارض بذلك فليس للمالك ان ينفرد بالرهن او البيع اذ لايتأتى الانتفاع بالارض دون العنا المحترم - انتهى . والله اعلم - . وفيها أيضا رجل يملك أرضا شركها على آخر بما شيئا منها بمنفعة سهمين على اصلاح منفعة ثلاثة أسهم وشيئا منها بمنفعة سهم على اصلاح منفعة ثلاثة اسهم فباع المالك الاراضي المذكورة على اخر فأراد المشتري ابطال التشريك فهل له ذلك ، وهل يبقى الشريك على الشركة المذكورة والحال ماذكر اجاب : ان كان المالك باع الارض وقد حرثها الشريك وطيبها فالبيع باطل - انتهى..

قال العلامة ابن زياد رحمه الله تعالى في (مزيل العنا) المذكور بعد نقله لذلك ، وقد أفتى شيخنا علامة العصر الشهاب الطنبداوي بمنع الاجارة قبل تسليم العنا مرارا مع اطلاعه على كلام ابن الصلاح وكنت أفتيت بكلام ابن الصلاح مرة ثم أفتيت بعدها بخلافه اعتمادا على ما اقتضاه كلام (البيان)(٧٣) السابق فهو المعتمد في الفتوى لاسيما وقد أفتى به هذان الامامان الجليلان المتضلعان(٤٣) انتهت اليهما رئاسة الفتوى في زمانهما رضي الله عنهما ونفع بهما وبعلومهما - انتهى.

قال والحاصل انه اذا كان في الارض عناء لآخر امتنع على مالك الارض رهنها وبيعها واجارتها وكذا هبتها اذ الهبة انما تصح فيما يباع غالبا نعم ينبغي ان يقال بصحة

---

٧٣ - مؤلف شهير عند اهل اليمن من تاليف ابي الخير العمراني المتوفي سنة ٥٥٧ .

وففها ، والوصية والنذر بها لانها اوسع بابا من التمليكات بدليل صحة وقف ما لم يره على ما في الروضة خلافا لمقتضى المجموع وبدليل صحة الوصية والنذر بالمجهول - انتهى ..

وأما حكم البيع للعناء فقد ذكره العلامة ابن زياد في مؤلفه المذكور بما لفظه وأما العناء فقد تقدم وانه لايفرد بالبيع الا من شريكه ..

وقد عمت البلوى في هذه الاعصار وقبلها ببيع العناء ويسمونه بالنقلة قال وهو باطل والواجب انكاره أما النذر به فينبغي صحته كالوصية ، به فيما يظهر والله أعلم.

وقد أفتى شيخنا علامة العصر شهاب الدين الطنبداوي بجواز قسمة العناء المشترك بين اربابه ان كانت افرازا ، وصورة ما في فتاويه رجل بيده ارض املاك سلطانية وأرض وقف لله تعالى يستأجر ذلك ممن اليه وهو ، على ذلك من مدة قديمة وله في الارض المذكورة زبرا أقامها وهي باقية الى الان وصلحت الارض بالتعني بها واقامة زبرها فتوفي الى رحمة الله تعالى وخلف أولادا وأرادوا أن يقسموا الارض المذكورة وتكون أياديهم على ذلك على حكم عادة ابيهم فاقتسموها وتميز كل واحد من المذكورين شيئا منها بحكم المهايات والتراضي بينهم في ذلك ثم ظهر لبعضهم أنه مغلوب في قسمة ومغبون فيه ثم قال للورثة نرجع نقتسم قسمة اخرى غير الاولى ولايكون أحدنا مغلوبا ومغبونا ، فبعضهم رضي بذلك وبعضهم لم يرض وبسط أي الذي لم يرض على ماتميز له في القسمة الاولى وسقاه وحرثه وبذره وصار زرعا كاملا فهل للمغلوب المغبون في قسمه الذي تميز له أن يرفع أمره الى قاضي الشريعة المطهرة ويلزم صاحب الزرع اجرة المثل مدة بسطه للمغلوب مقدم المذكر كون الارض مشتركة مشاعة بين الورثة لعناء أبيهم واقامته لها بالزبر وغيره فما(٤٤) الحكم في ذلك - بينوا لنا بيانا شافيا أثابكم الله تعالى ونفع بكم.

أجاب : بما لفظه ان يرفع امره أعني المغبون على الغابن اذا ثبت الغبن في قسمة ماخلفه مورثهم ببينة عادلة لان الاعيان التي احدثها مورثهم وهي الزبر بالتراب الذي استولى عليه مما ساقه الماء من التراب الجبلي صار مملوكا لهم وكما نقله في (الخادم) للزركشي عن جماعة من متأخري أصحابنا فاذا كان مملوكا للمورث جرت فيه القسمة فاذا قسم وثبت بالبينة العادلة الغبن رجع المغبون على الغابن الذي غبنه بأجرة مثل الزائد ويتقاضيان فيما استويا فيه - وان قلنا بالرجوع لان القسمة تنقض حيث ثبت الغلط في قسمة الافراز وهو افراز بلا شك لاتحاد التراب الذي ساقه ماء النهر لايقال الارض موقوفة ولايجوز لاتحاد التراب الذي ساقه ماء النهر لايقال موقوفة ولايجوز قسمة الموقوف وكذا الارض السلطانية اذا هي لبيت المال فلا قسمة فيها للمستأجرين، وان اتفق مراضاة فهي مهاياة لاقسمة لانا نقول القسمة ليست لذات الارض اذ هي موقوفة كما ذكره السائل ولا للارض السلطانية وانما القسمة لما هو مملوك لما زاد فيها مما جره ماء النهر من التراب الجبلي الذي لم يتحقق له مالك ، فهو تبع للماء في الاباحة فيملكه من استولى عليه كما ذكره بالنسبة الى التراب وهم الباسطون

ولذلك جوزنا المقاسمة فيما زادت به الارض لا في ذات الارض فمتى ثبت بطلان القسمة بما ذكر من العين وهي قسمة افراز نقضت ورجع المغبون على الغابن بأجرة الزائد من نصيبه والله اعلم – انتهى ٠ الجواب : وبالله التوفيق ٠

ومما يتجه ايراده هنا ماذكره المحقق ابن زياد في تأليفه المقدم ذكره مما يحرص على معرفته ويحق حفظه حاو لجميع ماتقدم – ولفظه ٠

تنبيه مهم :

ينبغي التفطن له ولا تأباه القواعد وهي انه اذا استأجر أرضا للزراعة فحرثها وزبرها وزاد في ترابها ثم زرعها وانتفع بها مدة زراعته ثم انقضت مدة الاجارة وفيها زيادة وأراد (٤٥) المطالبة بها ومنع صاحب الارض من التصرف فيها بما مر ، والحال أنه قد انتفع بالزيادة التي زادها خصوصا اذا نقص اصحاب الارض من أجرتها المعتادة في مقابلة مايريده المستأجر من الحرث والزبر وتنقية الارض عما يضر الزرع فينبغي للمقومين ان ينظروا الى انتفاعه والى زيادته في الارض وان كان انتفاعه مساويا للزيادة فينبغي لهم أن لايجحفوا بمالك الارض فلا يثبت ، للمستأجر زيادة لاسيما اذا علموا نقص مالك الارض عن الاجرة المعتادة وان كان انتفاعه أقل من الزيادة فيه فينبغي ان يثبتوا زيادة لائقة بالنفعين ويدل على ذلك مافي فتاوى ابن الصلاح وغيره من تصوير الشركة بما اذا لم تسق الارض ولمتزرع علىعنائه ومقتضاه انه اذا زرع على العنا لايستحق شيئا في مقابلة ما انتفع به اذ لا أثر للزيادة مع وجود انتفاعه بها كما يؤخذ من فتاوى ابنالصلاح عند تأملها هذا اذا حرثها وزبرها بما لاتصلح الزراعة عليه فينبغي الا به اما اذا زاد فيها زبرا لايتوقف حصول الزراعة عليه فينبغي أن يقال لايشارك بزيادة القيمة به الا ان أذن له مالك الارض في ذلك اذ لا يستفيد بمجرد الاجارة فيما يظهر وانما تأتيالشركة بذلك حيث كان مالك الارض حال ان أحدث زيادة كالمفلس والابن فيما وهبه له والده ثم رجع فيه ونحو ذلك أما المستأجر فيتوقف في جواز ذلك له ، والله الموفق للصواب – انتهى ماذكره بحروفه ٠٠

(بسط واطناب بما له تعلق بهذا الباب):

مسألة فيما عمت به البلوى وهو أن الاراضي الموقوفة يستأجر حارثوها من نظارها فيحرثوها ويزبروها بترابها زبرا زايدا على مايتوقف حصو لالمزارعة عليه باذن النظار لهم في الزيادةالمذكورة ثميزرعونهاوينتفعون بها مدة زراعتها انتفاعا مساويا للزيادة الحاصلة (٤٦) بسبب الحرث والزبر الذي يتوقف حصول الزراعة عليه وهكذا كل سنة ثم اذا أراد احد النظار رفع يد حارث الارض التي له النظر عليها والتأجير من غيره لوجود المصلحة بذلك بأن كان أمينا ثقة غير مماطل بتسليم الاجرة – والحارث الاول – بضد ذلك يشهد له شهود بأنه ببيان له من الضمايد كذا وكذا من أول بسطة عليها الى حين رفع يده عنها واجملت أجرة الضمايد بمال كثير وشهد له شهود بأنه يملك الزبر الذي بترابها والماء مما استولى عليه مما يسوقه الماء من التراب الجبلي وقومه المقومون حينئذ بمال كثير ثم يقال للنظار أو لمن يريد استئجارها ادفع هذا المال الذي هو أجرة الضمايد او قيمة التراب ويرفع يده عنها

فهل هذا غير صحيح ولايلزم الناظر ولا من أراد استئجارها منه تسليم المال الذي هو أجرة الضمايد وقيمة التراب ولايسوغ الحكم بذلك أم لا وهل يقبل شهادة الشهود بأن التراب المذكور ملك للحارث المذكور ام لا ولو فرض ان الحارث المذكور انتفع بالارض المذكورة انتفاعا أقل من الزيادة الحاصلة بسبب الحرث والزبر المتوقف حصول الزراعة عليه فهل يكون مشاركا بها وهي التي يرجع بها فقط أم لا ولو ان النظار المذكورين أذنوا للحراث المذكورين في احداث الزبر الذي لايتوقف حصول الزراعة عليه فما الحكم في ذلك - افتونا ٠

الجواب : منقولا من مزيل العنا لابن زياد المذكور وظاهر سياقه أنه له ولفظه : اعلم أيها السائل أرشدنا الله واياك للصواب وجنبنا مايستوجب به العقاب ان الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله تعالى قال في (ترشيحه)(٧٤) مالفظه حادثة في زمن عبد الله ابن أبي القاضي القديم تلميذ ابن سريج وقع سؤاله في زمانه عن بيع التراب على الارض الموقوفة فأفتى عامة الفقهاء بالمنع، ورفعت الفتيا اليه فقال : مازاد فيها بعد الوقف بهبوب الرياح وغيره يجوز بيعه فتنبهوا ووافقوه - انتهى (٤٧) ونحوه في الطباقات الكبرى له فهذا نقل صريح في أن من زبر أرض الوقف بترابها وان كان مستأجرا لها لايملكه ولا يجوز له نقله ببيع ولا هبة ولا نذر ولاشيء من أسباب النقل ومنه يعلم بطلان أكثر هذا النقل لاراضي الوقف التي عمت البلوى به ، وذلك ان حراث أراضي الوقف يزبرونها بترابها ويزرعون على الزبر المذكور ويعيشون ويفوزون بزيادة الغلات واذا أراد الناظر رفع يد من ماطل بالاجرة منهم أو تغلب على شيء منها يدعي ان له في الارض المذكورة عنا يملكه فيقوموه المقومون بقيمة كثيرة ويشهدون عند الحكام بأن قيمته كذا وكذا من الدراهم وتثبت الحكام ذلك دينا على الوقف بمجرد ماذكر والعجب أنهم يشهدون بين يدي الحاكم ويقولوا في كذا وكذا ضمدا من مدة لسنين متقدمة يشهد الحال باندراس ذلك واستيفائه وذهابه مع مايعيشون ويفوزون به من زيادة الغلات في تلك السنين ويقومون بالضمايد بجملة كثيرة من المال يثبتها الحكام دينا على الوقف ويثبتون به مساطرا وأحكاما بأن الحارث المذكور يستحق المال المذكور دينا على الوقف حكم بغير ما أنزل الله عز وجل وداخل في وعيد ومن لم يحكم بما أنزل الله فيلجئون النظار الى اقتراض هذا المال وتسليمه الى الحارث المذكور وربما كان المال المذكور مساويا لقيمة الارض فهو في الحقيقة اشترى الاراضي الوقف من حراثها المذكورين واي باطل يزيد على هذا الباطل والعجب انهم يصرحون في شهادتهم بأن فلانا يملك هذا الزبر ، وتصغي الحكام لشهادتهم عملهم بمستند شهادتهم ولا يجوز سماع هذه الشهادة ولا الاصغاء اليها وعلى تقدير أن يكون في الارض المذكورة شيء من التراب الجبلي الذي ساقه الماء اليها فمن أين للشهود ان يثبتوا شهادتهم بأن هذا الزبر من التراب الجبلي ويقطع بكذب من بت

---

٧٤ - هو كتابه (ترشيح التوشيح وترجيح التصحيح) في فقه الشافعية .

(انظر الاعلام ج٤ص ١٨٥)

بشهادته (٤٨) بذلك اذ لايمكن تمييز ذلك التراب الجبلي من تراب الارض مع اختلاطه به فالواجب على الحكام أن لايبادروا على ثبت دين على الوقف بمجرد هذه الشهادة فان الاصل براءة الوقف من تعلق هـذا الدين الذي يثبتونه بمجرد هذه الشـهادة الفاسدة التي يقطع بعدم اسناد الشاهدفيها الى يقين من شهادته به والله عز وجلأعلم ـ انتهى جوابه بحروفه ٠٠

(الحاق مسائل) انتخبتها وهذبتهـا في متعلقات احكام المستأجر والمؤجر مـن الفتاوى المحققة المعتمدة ٠

مسألة استأجر ارضا من اخر اصلاح ، سهمين بسهم مدة معلومة وشرط المؤجر في عقد الاجارة ان يحرث الارض المذكورةعودين حجرا وروى أي روتولميفالمستأجرللمذكور بالشرط ، بل حرثها عودا روى مثلا وتلمها ببذرها بحسب شركتها وكانت تنقـص غلتها بذلك فهي اجارة فاسدة لعدم اجتماع شروطها من رؤية الآلات والدواب التي يحرث بها وغير ذلك من الجهالة ويجب على المؤجر للمستأجر حيث وقع عمله مسلما أجرة مثل عمله ودوابه في ثلثي الارض التي استعمله فيها ويجب على المستأجر للمؤجر اجـرة مثل ثلث الارض التي استعملها ببذرهوالغلة مشتركة بينهما بحسب بذرهما والله اعلم٠

ومنها استأجرمن آخر أرضا مدة معلومة بأجرة معلومة ليزرعها مايشاء في المدة ثم عناها وانتفع بها مثلها في المدة فلما انقضت المدة طلب المؤجر رفع يد المستأجر فادعى أن له فيها عناء فأجاب حيث عنا الارض المذكورة عنا يزيد على قدر الحاجة من غـير أن يأذن له المؤجر في ذلك فلايكون شريكا بالعناء الذي زرع عليه لاستهلاكه بالزراعة واذا زاد فيها عمارة لايتوقف حصول الزراعة عليها بغير اذن من المالك لايصير شريكـا بالزيادة المذكورة ، اذ لايستفيد ذلك بمجرد عقـد الاجـارة ـ انتهـى ٠ وقـد تـ ـدم نحـوه ومنهـا (٤٩) اسـتأجر أرضـا مزروعة مدة معلومة بأجرة معلومة ثم أن المستأجر أجر الموضع على شخص آخـر فاذا المؤجر الاول من المستأجر فلا تنفسـخ اجارة المؤجر الثاني وعليه الاجرة التـي استأجر بها يدفعها للمستأجر الاولوصاحب الارض وهـو المؤجـر الاول يرجـع عـلى المستأجر منه الذي وقعت الاقالة معه بأجرة المثل لان الاقالة هنا كالصادرة بعد التلف هكذا حرر هذه المسألة السراج البلقينـي في فتاويه والله اعلم ٠

ومنها اذا استأجر أرضا من آخر مزروعة اجارة صحيحة شرعية فأصلحها ثم حدث مطر كثير أعشبت منه الارض عشبا ينقص منفعة الارض نقصا تتفاوت به الاجرة فهـو عيب مثبت لخيار المستأجر بل المطر وحده اذا كثر ونقص منفعة الارض فهو عيب مثبت للخيار كما أفتى به العلامة ابن زيـاد رحمه الله تعالى قال كما أشار الى ذلـك الاذرعي في (توسطه)(٧٥) ٠

وحينئذ فان اجارة المستأجر لزمه المسمى وان فسخ بعد فان كان بعد مدة لا أجرةلزمه قسط الماضي من المسمى بحسب التوزيـع على أجرة مثل المدتين الماضـية والمستقبلة لا على قدر المدتين ان اختلفت قيمتهمـا والله اعلم ٠

---

(٧٥) ويسمى ايضا التوسط والفتح بين الروضة والشرح (انظر كشف الظنون ج١ ص ٩٢٠) ٠

ومنها اذا استأجر أرضا بشرط انها ساقية مستوفية بشربها المعتاد فبانت غير ساقية ثبت له الخيار بخلف الشرط ولا ينفسخ العقد بخلف الشرط واذا بان المؤجر كاذبا في كونها ساقية رجع المستأجر بما غرمه في الارض المذكورة بسبب التغرير فاذا فسخ الاجارة فعليه من الاجرة حصة مما مضى من المدة ـ انتهى ٠

قلت والذي عليه العمل اليوم وانطبق الاجماع عليه من غير نكير ان المستأجر لا يرجع بشيء في حالة التغرير ونحوه واذا انقطع ماء الارض مثلا أو فسخ المستأجر الاجارة توجه بوجه من الوجوه الموجبة لذلك أو لم يعمل فيها فلا يلزم شيئا فيما استولى عليه من المدة والظاهر أنا ان جعلنا المدة من(٥٠) حين العقد الصادر متقدما على المدة قلنا يلزم فيها ماتحتمله الارض المؤجرة وتصلح له مدة الاستيلاء عليها وان جعلناها من حين وقت الزراعة صار هذا العقد الصادر متقدما على المدة لكون المنفعة مستقبلة فيما يظهر ان قلنا بجوازه والصحيح الذي يظهر أن الاجارة ليست متقدمة على المدة لترتيب كمال الانتفاع على ذلك لكونه يشرع في العمل من حين العقد فعلى هذا يجب على المستأجر أجرة مامضى من المدة بما يصلح له الارض كما مر ويلزم المؤجر أجرة عمل الاجير بتفصيله على ماقدمنا عن الشيخ عمر المفتي وغيره فلا يعزب عنك ذلك فتأمله فانه مهم والله اعلم ٠٠

ومنها اذا استأجر أرضا كل معاد(٧٦) بالمعاد الشرعي بأجرة معلومة فقرار زبرها داخل في الزبر كما أفتى به العلامة ابن زياد ويلزمه أجرتها والله أعلم ٠

ومنها اذا استأجر أرضا معلومة مدة معلومة وبذر فيها شجرا يزيد بقاؤه على المدة فان شرطه المؤجر وأوقع العقد عليه فهو بالخيار بين أن يبقى الشجر بأجرة المثل او يتملكه بقيمته أو يقلع الشجر ويغرم للمستأجر أرش قيمته وهو مابين قيمته قائما ومقلوعا كما أفتى العلامة ابن زياد والله أعلم ٠

قلت يفهم منه انه اذا لم يشرطه ولم يقع العقد عليه قلع مجانا وهو كذلك والله أعلم انتهى ٠٠ ما أردت ايراده في هذا البحث وقد أطلت الكلام فيه بما يخرج به عن مقصود الاختصار الملتزم في هذا التأليف وذلك لكثرة فروعه وفي هذا غنآ ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق ٠

المقصد السادس:

في طرف مما تسمع فيه الدعوى والبينة بموجب مامر وتصحيح لفظها ٠

اعلم ان الدعوى لغة : الطلب ، وشرعا : اخبار عن وجوب حق على غيره عند حاكم ليلزمه به ، ويشترط لصحتها ظاهرا لا في نفس الامر ستة أمور وان لم تجر في دعوى الا الثلاثة الاول كما هو معلوم(٥١) :

أحدها : أن تكون معلومة الا في مسائل ٠
ثانيها : أن تكون ملزمة ٠
ثالثها : أن لا تنافيها دعوى أخرى ٠
رابعها : أن يقول في الدعوى على من لايحلف ولايقبل اقراره مع الثلاثة الاول ولي بينة أريد أن أقيمها أو دين على غائب وهو منكر ٠

(٧٦) المعاد عند اهل زبيد هو ثمانون قصبة او لبنة وهو بقدر فدان مصري (انظر تعاليق بغية المستفيد ص ٣٦)٠

خامسها : أن يقول في دعوى العين بنحو بيع أو هبة على من معي بيده مع الثلاثة الاول واشتريتها أو اتهبتها من فلان وكان يملكها أو سلمتها لان الظاهر انما يتصرف في ملكه ٠

سادسها : أن يذكر في الدعوى علىالوارث بدين مع الثلاثة الاول موت المدين وانه خلف تركة تفي بالدين ٠او ببعضه وانه بيد هذا الوارث وانه يعلم الدين ٠

ومما يستثنى مما تسمع فيه الدعوى مجهولة وقد عددها بعضهم قاضي القضاة جلال الدين البلقيني الى خمس وثلاثين مسألة ذكرها الجلال السيوطي في (كتابه الاشباه والنظائر(٧٧))ـ انتهى ٠

قال الشيخ زكريا في (عماد الرضا في آداب القضاء(٧٨)) ومنها دعوى أن له طريقا أو حق اجراء الماء في ملك فلان وحدده ولم ينحصر حقه في جهة منه فان انحصر وجب بيان قدره ، ثم قال قال في الاصل يعني العلامة عيسى الغزي(٦٩) رحمه الله تعالى وعليه يحمل اطلاق الثقفي الوجوب وعلى الاول يحمل اطلاق الهروي عدمه ـ انتهى٠

ولنذكر من ذلك مسائل تتضمن تفهم استقامة الدعوى والشهادة وما يتعلق بذلك فمنها لو ادعى حقا لايتميز كمسيل ما على سطح داره أو مروره في دار غيره ، وجب تحديد احدى الدارين ان كانتا متصلتين فيدعي ان له دارا بمحل كذا او يذكر الحد الذي ينتهي الى دار خصمه ثم يقول : وأنا أستحق اجراء الماء من سطح داري هذه على دار فلان في الحد الاول ، او الثاني مثلا الى الطريق الفلانية وان كانتا متفرقتين وجب ذكر حدودهما ـ انتهى٠

ومنها اذا كانت قطع متجاورة واتحد شربها واتحد طريقها أيضا قسمت أعيانا (٥٢)قال في الروضة ويجبرالممتنع على ذلك فهي كالارض الواحدة وتحويط التراب في ابعاضها الذي يسمى الزبير في عرف أهل اليمن كالبناء في الارض لايمنع الاجبار والله أعلم ٠ قلت وجرى على ذلك العلامة بامخرمة في فتاويه والله أعلم ٠

ومنها طريق مشتركة بين جماعة في وسط ملك انسان،يمرون فيه الىأملاكهم فيطلبوا أن يشهد عليه ويقر بحقهم وجب عليه ان يقر لهم ويشهد عليه بحقهم لكن بعد اشهادهم على انفسهم بأنه شريك لهم ان طلبه ، لانه ربما اقر لهم اولا أنكروه المشاركة متمكنين باليد ولا ينافي ذلك قول المدين لمن عليه دين أشهد عليه دينلم يلزمه كما قطع به الاصحاب لان الطريق مطروق في ملك المطلوب منه الاشهاد فهو اقرب الى الانكار من الدين انتهى ٠

وقد قدمنا في هذا الطرف الثالث فاعلم ٠

ومنها ماسئل عنه ابن عجيل اليمني ولفظه اذا ادعىشخصعلى آخر طريقا فقال المدعى عليه لك عليا اذا لم يكن في أرضي زرع أو قال هي بالقدم والحافر وأما الخف فلا فما الحكم في ذلك ؟

الجواب اذا كان مع خصمه بينة بأن له الاستطراق مع الزرع وعدمه او بالحق وغيره عمل بها والا فالقول قو لالمقر فيما اقر به وله تحليفه والله اعلم ٠ وكذلك قال القاضي جمال الدين ابن ظهيرة اذا لم يكن له حق

---

(٧٧) كتاب في الفقه مطبوع ٠

(٧٨) مطبوع ٠

(٧٩) سبق ذكره ٠

المرور الا بالقدم فله منع مرور الماشية - انتهى - قال السيد السمهودي في فتاويه وما ذكر من الجوابين فيه هو الظاهر والله أعلم ٠

ومنها تجوز الشهادة بحق اجراء الماء على سطحه أو أرضه أو طرح الثلج في ملكه اذا رآه الشاهد مدة طويلة بلا مانع ولايكفي قول الشاهد رأينا ذلك سنين - انتهى -٠

ومنها اذا أرادوا الشهود اقامة الشهادة على شراء دار قد تبدلت حدودها عما كانت وقت الشراء قالوا نشهد أنه اشترى دارا منذ عشرين سنة مثلا من فلان وهو يملكها أو (٥٢) كانت بيده وكانت يومئذ ينتهي حدها الاول الى كذا والثاني والثالث الى كذا والرابع الى كذا ثم على المدعي بينة بكيفية تبديل الحدود فيشهد بأن الدار التي كانت بيد فلان أي المحدد فيها الدار المدعاة قد انتقلت الى فلان حتى يقضى به هذا اذا لم يمكن الشهود تشخيص الدار عند الحاكم والا ستغنى عن بينة ثانية بالانتقال - انتهى -٠

ومنها البينة بالملك المطلق انما تسمع اذا كانت العين المدعاة بيد المدعي أو بيد من لم يعلم ملكه ولا ملك من انتقلت اليه منه أو لم تكن في يد أحد وفي غير ذلك قد تسمع لكن لايعمل منها كما لو انتزع خارج عينا من داخل بينة فأقام الداخل بينة بملكها مطلقا فانها تسمع وفائدتها معارضة بينة الخارج فقط لرد العين الى يده - انتهى٠

ومنها اقامة بينة ان المكان الفلاني فيه طريق يختص به واقام آخر بينة بأنه طريق المسلمين غير مختصة بذلك الرجل نظر ان كان اليد للاول بأن كان يتصرف فيه وحده قدمت بينة وان كان اليد للمسلمين بأن كانوا يسلكونها على العموم بلا منازع قدمت البينة الثانية لان معها زيادة علم انتهى٠

فائدة اذا شهد عند حاكم شاهدان فارتاب فيهما وبحث عنهما فلم يجد شيئا يوجب الريبة حكم مع الريبة خلافا لأبي حنيفة - انتهى كما ذكره الشيخ زكريا في آداب القضاء ٠

زيادة افادة بتعزيز وجادة وذلك ماسئل عنه المحقق ابن زياد رحمه الله تعالى ولفظه مسألة عن جماعة بأيديهم اراضي مزروعات الحرث يستحقون سقيها من قناة مسماة ولرجل اخر ارض مزروعة الحرث من أسفل أراضيهم تستحق السقي من قناة أخرى فكان اذا تعذر على سقي أرضه استعار من مستحقي تلك القناة قناتهم يسقي عليها أرضه واستمر على ذلك مدة ، ثم رجع الرجل بأحد الجماعة المذكورين وادعى انه يستحق سقي أرضه من الارض المجاورة له (٣٥) من الجانب الشرقي مثلا من قناة سماها تنزع الماء من الوادي المباح غير موجودة حال الدعوى ، يذكر المدعي ان المدعى عليه ادخلها في أرضه وزرع عليها هو والذين هم أعلى منه فهل تسمع دعواه وتقبل بينته على أحد الجماعة ويثبت ما يدعيه أم لابد من حضور كل الجماعة أم تسمع في حق المدعى عليه فقط أم يحتاج اعادة الدعوى واقامة البينة في وجه كل من الجماعة او كيف الحكم - أفتونا !

الجواب بما لفظه اعلم ان المدعي اذا أراد الاثبات على الجماعة المذكورين فلا بد من تعيين موضع الساقية ابتداء وانتهاء ومن

احضارهم والدعوى عليهم واقامة البينة عليهم بما ادعاه عليهم من الزبر والمنع له من السقي ولاتكف يالدعوى واقامة البينة في وجه واحد من الجماعة ليثبت ما ادعاه على الجميع فاذا أراد الدعوى على واحد من الجماعة بأنه زبر على الارض هو والجماعة المذكورون فلا بد أن يبين أنه خامس خمسة أو عاشر عشرة أي أنه زبرها عاشر عشرة أو خامس خمسة ليعرف حصة ماعليه مما يتوقف على المنع من تقديم منفعة الارض مسقية مدة انتفاعها بالسقي المذكوروحينئذ فاذا ادعى على واحد منهما انه شارك في المنع وانه عاشر عشرة ليغرمه أجرة العشر سمعت دعواه وبينته والا لم تسمع دعواه والله اعلم ٠

وسئل العلامة بامخرمة رحمه الله تعالى عن بينة قامت بجريان الماء في هذه الساقية عدوانا او بغير حق وقامت بينة اخرى انه يستحق فأيهما تقدم ، وهل اذا صرحت الاخيرة بأنها معتمدة في الشهادة على اليد مع تصرف صاحب اليد تصرف الملاك هل يأتي فرق أم لا ٠

أجاب اذا شهدت البينة بأنه يستحق اجراء الماء في الساقية المذكورة ثم أقام المدعى عليه بينة أن المدعي المذكور انما يجري الماء في الساقية المذكورة بطريق القهر والغصب الصادر من المجرى المذكور على(٥٥) الساقية المذكورة من المدعى عليه قدمت بينة الغصب ، ولا تقدم بما ذكره السائل ولايكفي قول الشاهد رأيت صاحب اليد يتصرف مدة طويلة كما قاله الرافعي وغيره الله اعلم ٠

وفي فتاوى العلامة ابن زياد ما لفظه : رجل جرت له عادة لايعرف ابتداؤها باقامة معقم لارضه في الوادي المباح تسقى منه اراضي ثم بعد ذلك يكسر المعقم لجاره فادعى جاره انه يستحق السقي لارضه بكسر المعقم المذكور قبل شيء من الارض المذكورة وان الشخص معتد بسقي تلك الارض قبل أرضه وأقام بذلك بينة ثم ان صاحب المعقم أراد اقامة بينة باستحقاقه لسقي الاراضي المذكورة قبل أراضي الجار المذكور وان يده ثابتة بحق فهل تقدم على بينة التعدي أو لا ؟؟؟

أجاب نعم تقدم البينة التي تشهد باستحقاقه وان يده ثابتة بحق على البينة التي تشهد بالتعدي والله أعلم٠

قلت وذلك لان مع البينة الاولى زيادة علم ومن حفظ حجة على من لم يحفظ والله أعلم٠

وفيها أيضا رجل جرت له عادة قديمة بالسقي لارضه من اراضي مزروعة لجماعة من جيرانه وهو يخشى المنازعة من بعض جيرانه واراد التسجيل فهل يصوغ لمن هو أسفل منه من الجيران وان كان بينة وبين مريد التسجيل اراضي تسقى قبل الجار ان ينصب خصما في الدعوى فيما ذكرويحكم بمقتضاه كما ذكره الغزي في (آداب القضاء) ويجيبه القاضي أصلحه الله تعالى الى ذلك بالطريق الشرعي ٠

أولا - اجاب نعم يسوغ للجار المذكور في السؤال ان ينصب خصما في الدعوى فيما ذكر ثم يقم مريد التسجيل البينة ويحكم بمقتضاها كما ذكر ذلكالغزي في ادب القضاء ويجيبه القاضي أصلحه الله تعالى بالطريق الشرعي والله أعلم ٠

الخاتمـــــة

المختوم بها هذا المنتخب أحسن الله نفعها وأجزل وقعها لأهل الطلب وحاصلها فيمـا يتعاطاه الزراع قبل تمييز الزكاة وفيهـا مسائل هذا ولنقدم (٥٦) أولا ، ماذكره في تحرير النصاب الزكوي بمكيال (زبيد) وذلك ماوجدته في مجموع العلامة حمـزة الناشري ولفظه فائدة قال شيخنا تقي الدين في الكلام على تحديد الواجب من الفطـرة بمكيال زبيد حيث شاع ان الاحتياط سـت ربيعات قال احضر الشعير بين يدي مولانا شيخ الاسلام قاضي القضاة وجيه الديـن عبد الرحمن الناشري واحضر مكيال زبيـد طاهري وهابي[٨٠] وميزان وختوم ووزن الشعير ستمائة درهم وخمسة وثمانون درهما وخمسة اسباع درهم بأوقية زبيد وذلك ثمانية وستون أوقية ونصف اوقية وخمسة أسباع درهـم بأوقية زبيد أخرج من كل أوقية نصف قفلة ليوافق الوزن المصري ... لان أوقية زبيـد تزيد على أوقية مصر بنصف قفلة فجـاء مقدار ذلك بالمكيال الزبيدي الطاهري خمس ربيعات ونصف ربيعة وحررت الربيعـة الشعير بالوزن بأوقية زبيد فكانت اثني عشر أوقية الا اثني عشر قيراطا وملاء الربيعـة المذكورة بمكيال زبيد من الطعام الـذرة البيضاء ست أوقية بأوقية زبيد اليوم والله أعلـم ..

ثم قال فائدة اخرى نصاب زكاة الحبوب مد ونصف الا ربع ثمن فالمد اصطلاحا بزبيد اثنان وثلاثون ثمنا ، والثمن عشر أزبد . هذا ماوجدته بخط القاضي محمد بن الحسين القماط ثم بعد هذا قال الفقيه الصالح هذا التقدير الذي ذكر يقتضي أن نصاب الزكاة ثمانية وأربعون ثمنا الا ربيع ثمن والذي تحرر لي أن نصابها خمسة واربعون ثمنا فقط، لان نصابها ثلاثمائة صاع وقد قالوا أن الصاع ست ربيعات واذا ضربت ستة في ثلاثمائة وجدت ذلك ألفا وثمانمائة ربيعة واذا اجملت ذلك وجدته اربعمائة وخمسين زبيديا فصح ذلك ما ذكرته فليتأمل والله أعلم ـ انتهى.

ثم قال واذا قلنا الصاع خمس ربيعات ونصف كما تقدم تحريره كان النصاب ألفا وستمائة وخمسين ربيعة قال من نقلتهـا من خطه وهو الجد العلامة سراج الدين أبو بكر بن أبي القاسم الاهدل[٨١] رحمه الله تعالى ولهذه الفائدة تتمة فلتنظر منه انتهى كما وجـدته .

وفي فتاوى العلامة ابن زياد مالفظه مسألة من العلامة السيد الطاهر الاهدل[٨١] رحمه الله تعالى ونفع به (٥٧) عن مقدار نصاب زكاة الطعام بمكيال زبيد في هذا الزمن . بينوا لنا بيانا شافيا وكم الوسق ، وكم الصاع بأوراق هذا الزمن أثابكم الله أجاب اعلم أن حصة الاوقية من أواقنا تسعة دراهـم اسلامية وثلث درهم وسبع درهم وثلث سبع درهم ، والرطل البغدادي الذي هو مائـة درهم وثلاثون درهما بأواقنا ثلاثة عشـر

---

٨٠ ـ نسبه الى الملك الطاهري عبد الوهاب بن داود بـن طاهر
(انظر اخبار دولته في بغية المستفيد ص ١٥٩ ـ ١٨٤) بتحقيقي .

٨١ ـ من افاضل العلماء ولد سنة ٩٨٤ بالمراوعة وتلقى علومه في زبيد وله عدة مصنفات فقهية منها البيان والاعلام بمهمات امكان الاسلام ورسائل اخـرى توفى سنـة ١٠٢٥ (انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢١٦) وهو جـد المؤلف . ومن الطريف ان صاحب الرسالة الزراعية المزعومة اورد ذكره بصيغة الجد ص ٦٥ وهو ليس من أجداده .

٨٢ ـ هو محمد الطاهر بن الحسين بن عبد الرحمن الاهدل ولد سنة ٩١٤ بقرية المراوعة واخذ عن ابن الديبع وله عدة مصنفات في الفقه والحديث توفي سنة ٩٩٨ (انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٥٥) .

أوقية ونصف أوقية وعشر أوقيةونصف عشر أوقيةواذا ضممت اليه ثلث وهو أربع أواق ونصف أوقية ونصف عشر أوقية بلغ ذلك عدد ١٨ أوقيـة وخمس أوقية وهو المد٠٠

والصاع بأواقنا الذي هو اربعة امـداد واثنان وسبعون أوقية وأربعة أخماس أوقية وثلاثمائة صاع بأواقنا احدى وعشرون الفا وثمانمائة واربعون ٠

والرطل هو مائة درهم وثمانية وعشرون درهما واربعة أسباع ، درهم هو بأواقنـا ثلاثة عشر أوقية ونصف أوقية واذا ضممت اليه ثلثه وهو أربع أواق ونصف أوقية بلغ ثمانية عشر اوقية وهو المد والصاع الذي هو أربعة أمداد اثنان وسبعون اوقية وثلاثمائة صاع بأواقنا واحد وعشرون ألفا وستمائة اذا علمت ذلك وعرفت ان المد على طريقة الشيخ محي الدين النووي رضي الله عنـه ثمانية عشر أوقيةبأواقي بلدنا وعرفت أيضا أن الربيعة الزبيدية ثمانية عشر أوقيـة بأواقي بلدنا أيضا ظهر ذلك ان المد ربيعة وان الصاع اربع ربيعات فالصاع بربيعة زبيد الان اربع ربيعات وهو الزبيدي في عرف أهل زبيد وعرفت ان الوسق ستون صاعا وان الصاع زبدي كما مر فيكون مجموع الوسق ستة اثمان بأثمان زبيد الذي كـل ثمن عشرة اصع فان النصاب الزكوي خمسة اوسق فيكون ذلك على طريقة النووي ثلاثين ثمنا وهو النصاب الزكوي هذا تحريره على طريقة النووي وقد علمت على طريقة الرافعي ان المد بزبيد خمس أوقية فأحوط في الفطرة طريقة الرافعي فيزيد على الزبدي أربعـة أخماس(٥٨) أوقية والاحوط في الزكاة طريقة النووي والله الموفق للصواب - انتهى ما في فتاوى المذكور بحروفه٠

قلت وما أجاب به المحقق ابن زياد هـو الموافق لمكيال هذا الزمان فالعمل عليه حيث لاخارص اذا جوزناه لان خرص[٨٢] الزرع غير ممكن لاستتاره وصعوبة تتبعه لكن اذا مر به الامام او نائبه اذا كان يرى ذلك فينبغي جوازه وهذه المسائل الموعود بها٠

المسألة الاولى قال العلامة ابن المقري في روضه لاخرص في الزرع قال في (البيان) لان الزرع مستتر في الاوراق فلا يمكن حزره قال الشيخ ابو حامد لانه لافائدة في خرص الزرع لانه لايجوز التصرف فيه بالبيع لان بيعه في سنبله لايجوز ولايمكن اكله في سنبله بخلاف الرطب والعنب قال في (العباب) ولا مدخل للخرص في الزرع - انتهى٠

المسألة الثانية لايجب في التمر والحب حق غير الزكاة ولايجب بعدها شيء وعن بعض السلف انه يجب الاطعام منها يوم الجداد والحصاد وهو عندنا مستحب ولذلك ورد نهي عن الجداد ليلا لفوات ذلك به وهذا يدل على ما تصدق به تمر أو حب لايجب اخـراج زكاة عنه لان الزرع لايزكي الا مصفى ولا خرص فيه قال العلامة باقشير في قلائده وبذلك أفتى شيخي العلامة بافضل جازما به بخلاف ما ذكره الاصحاب - انتهى- وفي العمدة لابن النحوي[٨٣] رحمه الله تعالى: لا يجـب في الثمـار والـزروع حـق غـير الزكاة وقال بعض السلف يجب ان يطعم منها يوم الجداد والحصاد وذلك مستحب عندنا ويستحب أن يكون جداد النخل نهارا ليطعم

---

(٨٢) خرص النخل اذا تدر ماعليها.

(٨٣) هو عمر بن علي بن احمد ابن النحوي المعروف بابن الملتن من العلماء اصله من الاندلس له عدة كتب في الفقه توفي سنة ٨٠٤ ٠

(انظر الاعلام : ج٥ — ص٢١٨)٠

الفقراء وروى النهي عن جداده ليلا سواء اوجب فيه الزكاة او لا والله اعلم ٠

وعند الشعبي(٨٤) والنخعي(٨٥) ومجاهد(٨٦) يجب في الزرع عند الحصاد اخراج شيء من السنابل وعند صرام(٨٧) النخل يخرج شيئا من الشماريخ(٨٨) وتجب الزكاة عند الكمال ـ انتهت(٥٩) رواية الشعبي وصاحبيه منقولة من المعاني(٨٩) البديعة لاختلاف الشريعة) ـ انتهى ٠٠

المسألة الثالثة مأخوذة من (شفاء الاشواق بحكم مايكثر بيعه في الاسواق)٠ للسيد العلامة السمهودي رحمه الله تعالى مانصه: ولا مدخل للخرص في الزرع وان اشتد قال في (شرح المهذب) بلا خلاف ولعدم التوقيف ولعدم تمكن الاحاطة به كالاحاطة بالرطب والعنب ـ انتهى٠

وقال ابن الرفعة وغيره ولان الزرع لايؤكل في حال الرطوبة والثمار تؤكل فيحتاج الى ان يخرص عليه ليتمكن من التصرف فيها وفي كتب المالكية خلافا في خرص الزرع وصحح بعضهم انه يخرص على المالك اذ كان غير مأمون اذا احتاج الاكل منه اذا وجدنا من يحسن ذلك ولا يخرص على ٠٠ المأمون ـ انتهى كلامهم ٠

ثم قال بعد هذا بنحو ورقتين وقد سبق انه لا مدخل للخرص في الزرع فيؤخذ من ذلك تحريم أكل الفريك(٩٠) وغيره قبل التصفية واخراج الزكاة على طريقة البغوي ولم أر من صرح به ولا يخفى مافي ذلك من الحرج الشديد فان ارباب الزروع كثيرا ما تشتد حاجتهم الى التناول من الفريك وغيره قبل التصفية وقد سبق مانقله ابن الرفعة عن الامام الغزالي من ان المنع الكلي خروج عن الاجماع وخلاف عمل السلف ونظر فيه ابن الرفعة بأن حل أكل الرطب للناس طريقة الاخذ بالخرص اذا قلنا انه تضمين وهذا لايتأتى في المنع من الفريك ونحوه اذ لامدخل للخرص فيه فالذي ينبغي جواز التناول من ذلك للمالك ويكون محسوبا عليه من التسعة الاعشار الخاصة به بل قياس مايأتي عن نص البويطي أكل المالك من ثمره وهو رطب عدم احتساب ذلك ثم أورد من الاحاديث ما قد يستدل به لذلك فراجعه وبالله التوفيق ثم قال وممن اختاره من القدماء الاصطخري(٩١) وابن القاضي واصحابنا البصريون والاجماع الفعلي عليه ـ انتهى ـ وذكر الاذرعي(٦٠) نحوه وقال ايضا ان الاجماع الفعلي على ذلك وانه المختار وهو قول مالك وأبي حنيفة وأحمد ـ انتهى والله اعلم ٠

وفي (فتاويه)(٩٢) مسألة عن الجهيش(٩٣) هل يجوز لصاحب الزرع أن يأخذ منه أم لا ومايجب عليه اخراج شيء منه أو القيمة٠

---

(٨٤) هو عامر بن شراحيل الشعبي تابعي من أهل اليمن ولد سنة ١٩ عرف بكثرة الحفظ والرواية توفي سنة ١٠٣ ٠ (أنظر الاعلام ج٤ ص ١٨) ٠

(٨٥) لعله ابراهيم بن يزيد احد الفقهاء المشهورين توفي سنة ٩٦ ٠

(٨٦) هو مجاهد بن جبر أحد المفسرين المعتبرين توفي سنة ١٠٤ ٠

(٨٧) تتطيعة ٠

(٨٨) جمع شمراخ وهو العنق مليء بالرطب٠

(٨٩) كتاب قيم في الفقه تأليف محمد بن عبد الله الريمي المتوفي سنة ٧٩٢هـ (أنظر في مصادر الفكر الاسلامي ص١٩١)٠

(٩٠) الحب فصل من سنبله ٠

(٩١) هو الحسن بن احمد بن يزيد الاصطخري كان من تلاميذ ابن سريج له عدة كتب في الفقه توفي سنة ٣٢٨ هـ ٠ (الاعلام ج ٢ ص ١٩٢) ٠

(٩٢) اي السمهودي ٠

(٩٣) الحب وهو لايزال اخضر في سنبله٠

أجاب ان كان المراد بالجهيش ما يستعمل بأخذه من الزرع عند اشتداده وقبل اوان حصاده وهو المسمى عندنا بالفريك فقد تكلمت على ذلك في المسألة الثامنة في (شفاء الاشواق) وحاصله ان قضية وجوب الزكاة بالاشتداد كما هو الاصح وتعلقها بالمال تعلق الشركة مع تعذرالخرص في الحبوب والقول بالامتناع في الثمار قبل الخرص امتناع صاحب الارض من اخذ الفريك وفيه حرج شديد فان ارباب الورع كثيرا ماتدعوهم الحاجة الى التناول من زرعهم قبل حصادها والمختار عندي الجواز في الفريك للحاجة اليه مع كونه لامدخل للخرص فيه كما بسطته في الكتاب المذكور ثم لايحيط الى ذلك حصة المستحقين بل يضمن المالك حصتهم منه ان لم نجر على ما اقتضاه نص البويطي في أكل المالك اذا ضمناه فقضية ماقالوه في اتلاف المالك الرطب اضطراب في وجوب حصة العشر من ذلك تمرا أو قيمة الحصة من الرطب واقتضى كلام السبكي تصحيح الاول كما بسطناه في المسألة العاشرة من (شفاء الاشواق) فان قلنا به فقياسه في الفريك أن يخرج المالك الحصة حبا يابسا والا فالواجب قيمتها من الفريك والله أعلم انتهى ما في الفتاوى للسيد المذكور ٠

قال العلامة باقشير في قلائده بعد نقله ماذكره السيد السمهودي عن قياس البويطي من اغتفار مايؤكل من الثمرة أن لايحتسب ما احتاجه رطبا قال ويدل للجواز أحاديث بالباكورة وأمر الشافعي الربيع أن يأخذ الباقلا الاخضر له بناء على صحة شرابه حينئذ وهو قول له اختاره كثيرون ومذهب الأئمة الثلاثة وفي المدونة(٩٤) من كتب المالكية يحسب على رب الحائط أي بستان النخل ما أكل او علف أو تصدق بعد يبسه ، قال مالك ولايحسب عليه بلحا وليس كالفريك بأكله من زرعه ولا الفول ولا الحمص الاخضر فيتحراه (٦١) أن بلغ نصابا زكاة من صنفه يابسا وقال في الموازنة(٩٥) وان شاء أخرج ثمنه بناء على أجزاء القيمة في الزكاة عندهم وسبق عن الحنابلة جواز الاكل له ولعياله ولايحسب وقيل لايجوز في ان ما يهديه هل يحسب روايتان ـ انتهى ما في القلائد ـ٠

وسئل الفقيه أحمد بن أبي بكر الزنبول(٩٥) عن أكل الجهيش قبل ماتجب الزكاة في الزرع فأجاب بأنه يجوز لكونه لم ينعقد بحيث يصلح ان يكون قوتا والزكاة لاتكون الا بعد الانعقاد ـ انتهى٠

ووجدت بخط الفقيه العلامة شيخ الاسلام جمال الدين محمد بن أبي القاسم اسحاق ابن جغمان(٩٧) مانصه : المتجهش من زرع واجبة فيه الزكاة تجب عليه القيمة للقدر الواجب من الجهيش على قياس ترجيح (الروضة) والاكثرين في الرطب٠ والله أعلم٠

ثم قال تستعاد هذه المسألة ٠

---

(٩٤) من أمهات كتب المالكية تاليف عبد الرحمن بن القاسم المالكي المتوفي سنة ١٩١ ٠

(٩٥) كذا في المخطوطة واغلب الظن أنها (المدونة) السابق ذكرها ٠

(٩٦) من اجلاء الفقهاء في اليمن ولد سنة ٦٣٦ في زبيد وارتحل الى الضحي لطلب العلم فاخذ عن العلامة اسماعيل بن محمد الحضرمي وعليه أكمل التفقه واخذ عنه جماعة من العلماء توفي سنة ٧٢٤ هـ (انظر العقود اللؤلؤية ج٢ص٢٤ وفيها ابن الرسول خطا مطبعي) ٠

(٩٧) محمد بن أبي القاسم جغمان ٠

وفي فتاوى العلامة محمد بن سعيد باشكيل رحمه الله تعالى انه اذا أكل وتصرف أي بالبيع بنيـة أنه يحسب ما أكله أو تصرف فيه على نفسه ويخرج زكاته فليس بحرام وان أكل وتصرف لابهذه النية فهو حرام فان الخرص انما هو مستحب عند الجمهور وبه قطع الاكثرون والمراد الاحتيـاط بصـرف الزكاة لعينه والاولى فعله لما لا يخفى فاذا فعل وحصل المقصود به فلا بأس واذا لـم يكن ثم خارص واراد من وفقه الله تعالى ان يحتاط فيما تبرأ به ذمته فلا يخفـى طريق الاحتياط ـ انتهى كلامه٠

ووجدت بخط سيدي الجد العلامة أبـي بكر بن القاسم الاهدل(٩٨) مانصه قال وجدت ماهذا صورنـه ٠

مسألة اجاب شيخ شيوخنا العلامة شمس الدين يوسف بن يونس المقري(٩٩) أن الخرص للذرة والدخن(١٠٠) والعطب(١٠١) وغيرذلك يعني تقدير حتى يؤخذ مايجيب فيه من الزكاة فيه خلاف وان كان بعض أئمة الشافعية نقل بأنه لايجوز خرص غير النخل والعنب اجماعا وهو امام الحرمين(١٠٢) رحمه الله تعالى فقد نقل عن مالك بأنه يجوز خرص ذلك عنـد الحاجة وذلك معروف والمسألة في الخرص فيها خلاف فأبو حنيفة لايجوز الخرص رأسا فاذا ندب من له (٦٢) ذلك من وال فوض اليـه السلطان ذلك لم يحكم بفسق الخارص ولا ترد شهادته بمجرد ذلك واما جواز ذلك فهـو بحسب اعتقاد ذلك وعلى كل انه اذا كان بأمر السلطان أو نائبه فلا يحكم بفسق الخارص المذكور لانه انما يفعل ذلك بتقدير يغلب على ظنه واجتهاده مثل مايفعـل بالنخل والعنب واذا طلب المتولي من بعض القضاة أن يعين له من الناس من يعدل في ذلك ويعرفه له أو يندب في ذلك فهذا ليس بحكم منه عليهم ولاهو لازم ولا يأثم الرعية الخارصون أن يخبروا ذلك على غلب ظنهم من غير ميل ولا رشوة ولا يفسقون بفعلهم ومن فسقهم فقد جهل الامر وتقبل شهادتهم بما شهدوا به كغيرهم من الناس والله أعلـم ٠

قال شيخنا رضوان الله عليه الذي أفتـى به جماعة من أهل حضرموت المفتين بعدن أن خرص الذرة والدخن وغيرهما مفسـق والظاهر ماقالوه ٠

وأما امر الامام او نائبه فلا يقال بتجويزه عند الامر كيف وأمر السلطان ليس باكراه على الاصح فالمعتمد الخرج كما سمعته من مشايخنا ورأيته فتيا لعلماء عدن والله أعلم ـ انتهى كلام شيخنا أبي العباس المهذب رضي الله عليهم انتهت الوجادة العزيزة ٠

أقول هذا هو شيخ(١٠٣) القاضي أحمد بن عمر المزجد صاحب العباب فاستفد ذلك كمـا وجدته مجموع حمزة الناشري رحمه الله تعالى

---

(٩٨) سبق ذكره ٠

(٩٩) هو موسى بن يوسف الجبائي التعزي ويعرف بالمقري من العلماء في الدولة الطاهرية اخذ عن ابن كبن وابن الخياط ومولده سنة ٨١٦ ٠

(١٠٠) الدخن نبات من فصيلة النجليات وحبه صغير ـ انظر خواص الدخن في المعتمد للملك الرسولي ص١٥١ ٠

(١٠١) هو القطن ٠

(١٠٢) هو عبد الملك بن عبد الله الجويني من الفقهاء المتكلمين وشيخ الغزالي توفي سنة ٤٧٨ ٠

(١٠٣) يعني به يوسف بن يونس السابق الذكر ٠

وقبره ملاصق لقبر الشيخ أحمد الصياد(١٠٤) من جهة اليمن في قبته نفع الله بالجميع ذكره في (النور السافر)(١٠٥) فاعلم ذلك والله أعلم ·

قلت وهنا دقيقة مهمة أغفلها الائمة ينبغي التفطن لها وعن مسألة تدور كثيرا وحاصلها : أن الشركاء في جهتنا وما والاها من البلدان لايخرجون زكاة حصتهم من الغلة الصائرة اليهم اكتفاء بما يخرجه المالك من العاشرة لولاة الامر اصلحهم الله تعالى وذلك غير كاف عنهم ويشهد لذلك ماذكره المحقق ابن زياد في فتاويه ولفظه ان العاشرة على من اشتد الحب في ملكه واقتضى كلامه انه اذا كانت الاجارة صحيحة والبذر منهما فالزكاة(٦٣) ، عليهما بحسب بذرهما ·· قال ولو شرطت العاشرة على احدهما فسد العقد فان زرعها العامل ببذره فالعاشرة عليه وللمالك الارض مثل أجرة الارض انتهى فاذا أخرجها احد الشريكين كعادة بلدنا أتجزى عن الاخر أم لا ؟·

ففي فتاوى ابن زياد المذكور نقلا عن (شرح المهذب) للنووي رحمه الله تعالى مالفظه قال اصحابنا لو أخرج انسان الفطرة عن أجنبي بغير اذنه لا تجزيه بلا خلاف فانها عبادة فلا تسقط عن المكلف بها بغير اذنه انتهى ·

قال السيد السمهودي في (حاشيته على الروضة) وهذا مادام من وجبت عليه الزكاة حيا واذا مات بعد استقرار الزكاة عليه فان للاجنبي أن يتبرع باخراجها عنه على الاظهر كالحاج · انتهى ·

وفي فتاوى العلامة بامخرمة أن لمن أخرج زكاة حصته من الشريكين التصرف في جميع حقه قال فيما يظهر وانما يمنع من التصرف في قدر الزكاة اذا كانت الزكاة باقية في المال بعد اخراج المذكور ولو بخرص الثمر على الثمر ·· وشركة المستحقين لاتمنع صحة القسمة على مارجحه الاصحاب واختاره النووي رحمه الله تعالى والصحيح الذي قرره في الفتاوى ان الشريك لايمنع من التصرف بعد اخراج زكاة حصته من الزكاة فغايته مافي الخلطة أن يجعل المال الخليط بمنزلة مال واحد وان الزكاة تتعلق بجميع مالهما الذي هو من جنس المختلط بناء على التعلق بالعين الا ان ماخرجت زكاته تعينت للزكاة عنه فينقطع التعلق به فاذا صحت القسمة واعتبرنا اخراج المخرج حصته من الزكاة فلا وجه للمنع من التصرف فيما قد أخرج واجبه مما خرج له بالقسمة الصحيحة فذلك أولى بالصحة والاجزاء – انتهى · ملخصا فاستفده ، واعتمده وبالله التوفيق واشكال وغيره ومما وجدت في هذه الازمنة اصلح الله حكامها أن غيرت وأهملت مراسيم السادة الكرام والقادة والعلماء الاعلام عن جاري عادتهم بالاذن في التصرف فيمايجب

---

(١٠٤) من كبار صوفية اليمن ولد في في نواحي زبيدواشتغل بالعبادة والاجتهاد توفي سنة ٥٧٩ (انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٢٧٢) ·

وتبته المشار اليها هي احدى المشاهد السبعة المزارة على باب (سهام) وهم :

١ — ابراهيم بن علي الفشلي ·
٢ — واحمد بن ابي الخير الصياد المشار اليه هنا ·
٣ — والفقيه عمر بن رشيد ·
٤ — والشيخ مرزوق بن حسن ·
٥ — الشيخ علي بن افلح ·
٦ — والشيخ علي المرتضى ·
٧ — والشيخ احمد المعترض وقيل غيره ·

(١٠٥) انظر النور السافر للعيدروس ص ١٣٧ ·

عليهم من الزكاة وتولى تفريقها بنظرهم على ذوي الحاجات ممن يستحقها من ذوي رحمهم وتجوز عليهم الصدقات(٦٤) وأبطلوا المراسيم الامامية الجليلات وفي ذلك من الاهانة والازراء بأرباب المناصب العليات من لايعرف قدرهم من الاعوان والخدام وأهل الجهالات مالايعلم الا عالم الجهر والخفايات.

وقد ورد في حقيقة معنى ذلك اجوبة وسؤالات فمن ذلك ما أجاب به شيخ الاسلام المحقق الجليل عبد الرحمن بن عبد الكريم زياد قدس الله روحه في اعلى الدرجات ولفظه أعلم انه جرت عادة الملوك ونوابهم المفوضين بمسامحة العلماء(١٠٦) والصلحاء في أراضيهم ونخيلهم احتراما للعلماء والصلحاء ودفعا لما ينالوه من الولاة والعمال من المطالبة بالديوان، والاعوان المستخفين بجانب العلماء والصلحاء المستهزئين بهم لا كثر الله من أمثالهم.

ومعنى المسامحة المذكورة ان العلماء والصلحاء يتولون تفرقة عشر اراضيهم ونخيلهم على نظرهم على ذوي رحمهم ومن يستحق ذلك وهذا أمر جائز لاشك في جوازه وقواعد الشرع تقتضيه أما هذه الالتزامات فخارجة عن عرف الشرع وحينئذ فيحرم على الملتزم الضامن من مطالبة هذا الرجل المسامح ويأثم بذلك اثما شديدا ثم من أعانه ورضي بذلك فهو شريك له في الاثم المذكور.

ويجب على الملتزم المذكور ردا ما قبضه من الشخص المسامح على وجه الصلح فان قبضه بغير وجه مسوغ للقبض في الشرع والملتزم المذكور صادق في اقراره بأنه لاحق له عليه ولا دعوى ولا مطالبة فهو آثم بمطالبته كما قدمنا واذا رفع الملتزم المذكور المسامح المذكور الى حاكم الشريعة المطهرة أصلحه الله تعالى وادعى عليه ذلك وجب على حاكم الشريعة قصره من مطالبته وزجره فلا يتساهل في ذلك بل يبالغ في الزجر عن المطالبة والمنع منها قياما بحق الشريعة واظهارا للمداراة ويترك ذلك ناشيء عن تهاونه بأحكام الشريعة التي أقيم فيها..

ويجب عليه الوقوف على أحكامها ولايتعداه الى حكم السياسة فقد خلط نواب الشرع أحكامه بأحكام السياسة (٦٥) وجهموا وجه الشرع وسودوه بذلك فلا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم - انتهى، ماذكره شيخ الاسلام ابن زياد في هذا المقام العزيز وحذفت السؤال ايثارا للاختصار.

نعم وجدت، منقولا عن البرهان ابن حجمان(١٠٧) رحمه الله تعالى مالفظه الولي ابن عجيل أفتى بأن الورثة يقتسمون المسامحة التي تسمح بها الملوك قسمة الارث.

وأفتى به أبو العباس الطنبداوي وشيخ مشايخنا ابن زياد - انتهى.. بحروفه.

(تذييل وتتميم) يحسن به التكميل والتختيم في مسائل من أمر الدين القويم، ضمنته اعذار الجمعة والجماعة والافطار في شهر رمضان الكريم وذلك وقت الحصاد ونحو ايام الزراعة ومبيح التيمم للمقيم

---

(١٠٦) انظر حول هذه العادة الحسنة التي سلكها ملوك الدولة الرسولية والطاهرية كتاب تاريخ وصاب . وحياة الادب اليمني في عصر بني رسول ص ٢٠ .

(١٠٧) بنو جغمان كثيرون وفيهم علماء ولعل المشار اليه هنا هو الفقيه ابراهيم بن الشرف بن أبي القاسم بن جغمان له عدة مصنفات في الحديث والفقه توفي سنة ٨٩٧ . (انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٤٩) .

والغالب جريانها على معاني هذه الصناعة في كل اقليم فمن ذلك ماورد من مسائل تجويز التيمم المرخصة على التفصيل لا التعميم٠

مسألة عن رجل في حد القرب فكان لوطلب الماء من اول الوقت خاف فوت نحو الوقت فتيمم وصلى هل يجب عليه القضاء أو لا واذا لم يطلبه من اول الوقت مقصرا حتى لم يبق من الوقت مايسع الطلب والصلاة فتيمم وصلى هل يجب عليه القضاء ام لا واذا خرج من بيته وقد دخل الوقت الى نحو الزهب الذي في حد القرب ثم لم يصل حتى لم يبق من الوقت مايسع الصلاة والطلب ثم صلى هل يجب عليه القضاء أم لا وهل يفرق بين هذه المسائل وهل حد الغوث فيما ذكر كحد القرب أو لا ؟ أجاب الجد العلامة المحقق سراج الدين أبو بكر أبي القاسم الاهدل رحمه الله تعالى وعلى ضريحه شآبيب مغفرته ورضوانه أبدا آمين بما نصهمنقولا من المسودة تقيدا للفائدة ولعل اللهسبحانه وتعالى أن يمن بوجود المبيضة فيما بعد ان شاء الله فيقابل عليها بل اوصى كل من وجده مصححا بذلك وهذا لفظ الجواب٠

أما المسألة الاولى فاعلم ان الحكم يختلف فيها بالسفر والاقامة فكان ينبغي في تصويرها بيان ذلك فان كان مسافرا وخاف فوت الوقت لو قصد الماء (٦٦) من اوله أو من حين نزوله تيمم على المنقول المعتمد عند النووي وغيرهخلافاللرافعيفيالثانية(١٠٨) ويصلي ولا قضاء عليه هذا ماذكره الشيخ ابن حجر في (امداده) مع تصرف مني يسير في اللفظ وحاصله في (التحفة) وغيرها من سائر شروحه ٠

قال في (الايعاب) عقيب قوله ويصلي بلا قضاء ويؤيده ماقاله جمع مايأتي من انه اذا علم ان النوبة لاتنتهي اليه الا بعد الوقت تيمم وصلى فيه بلا قضاء ونحوه في الامداد وغيره أيضا ثم قال في الايعاب : ومتى كان الذهاب الى الماء أي من أول الوقت بخروج الوقت امتنع وان قرب منه وتعين ايقاع الصلوات في وقتها لان مصلحة ايقاعها فيه راجحة على مصلحتها بالماء كما لايخفى -انتهى- ٠

وان كان مقيما فقد صرح الشيخ رحمه الله تعالى بأن المقيم لايجوز له التيمم وانخاف فوت الوقت لو سعى الى الماء لانه لابد من القضاء فهو مقصركما قالهالشيخان وغيرهما ويؤخذ منه أن المسافر مثله اذا كان بمحل يندر فيه وجود الماء لوجوب القضاء عليه أيضا هذا لفظه في الامداد وعبارته وفي فتح الجواد ولزم نحو مقيم طلبه والسعي اليه وان خاف فوت الوقت اذ لابد له من القضاء وقول السائل كثر الله فوائده اذا لم يطلبه من أول الوقت مقصرا ٠٠ الخ ٠٠ جوابه بعد فرضه في المسافر علم مما سبق وهو اعتبار قصد الماء من اول الوقت في حق النازل ومن حين النزول في حق غيره ومفهومه انه حيث قصر في ذلك المعتبر ولاعذر بأن آمن نفسا ومالا وفوت رفقة أثم وقضى الصلوات بالتيمم في هذه الحالة ٠

وقوله أجزل الله عوائده واذا خرج من بيته الى نحو الزهب القريب ٠٠ الخ جوابه قد علم مما مر أيضا وهو أنه لايجوز له التيمم وان خاف فوت الوقت بسعيه الى الماء لتقصيره الظاهر مع كونه في معنى الحاضر كما هو

(١٠٨) كتب على المخطوطة بعد هذا (هكذا في الاصل) .

مقتضى التصوير فان تيمم والحالة(٦٧)هذه وصلى فعليه القضاء فان فرض أن مقصده الذي خرج اليه على مسافة لايسمع منها النداء بشروطه المذكورة في الجمعة وكان عند وصوله بحيث لو قصد الماء فات الوقت فهي المسألة التي رجح فيها النووي مخالفا للرافعي فانه يتيمم ويصلي بلا قضاء ·

وقد سبق ذكرها أول المسطور وذلك لانه حينئذ يعد مسافرا سفرا قصيرا فله الترخيص·وهذا ونحوه مما لايختص بالسفر الطويل كالتنقل راكبا وماشيا ومن كلام الشيخ ابن حجر على هذه المسألة أخذت ماذكرته والله الموفق ·

وفي فتاوى شيخ الاسلام الطنبداوي أنه سئل عما لو خرج شخص من منزله جربته القريبة محضرة وقت الصلاة فطلب الماء فلم يجده وكان لو رجع الى منزله لفات الوقت فتيمم وصلى فهل تجب عليه الاعادة او لا ·· أجاب اذا كان الماء يعدم غالبا في جربته والمحل الذي يطلب منه لم يجب القضاء والا وجب لان المدار على غلبة عدم الماء وضده لا على السفر والاقامة ·

وسئل أيضا عمن لو طلب الماء في اثناء الطريق فاته الوقت قبل وصوله فتيمم وصلى هل عليه الاعادة ·

فأجاب لاتجب عليه الاعادة لان وجوب تحصيل الماء شرطه ألا يضيق الوقت بخلاف ما لو كان مقيما فانه يجب عليه تحصيله والصلوات به - انتهى ·· كما وجدته في جملة مسائل ملخصة من فتاويه رحمه الله تعالى فاستفده الى ما سبق عن شيخ الاسلام ابن حجر رحمه الله تعالى مما فيه الكفاية ان شاء الله تعالى في السؤال عنه وبالله التوفيق ··

وقول السائل زاده الله علما وفهما وهل فرق بين هذه المسائل جوابه انه قد علم مما تقرر انه لافق بينهما في الحكم الا بالنسبة للمسافر في الصورة الاولى فهو الذي يجوز له بل يجب عليه التيمم حيث خاف فوت الوقت بالسعي الى الماء على الوجه السابق فلا يعزب عنك ذلك الشرط المفهوم منه الذي لو قصر في مراعاته كان له حكم المقيم كما سبق بيانه ·

وقوله رعاه الله تعالى هل حد الغوث(٦٨) كحد القرب فيما ذكر ·

جوابه نعم كما هو مقتضى عبارة (الارشاد) وقد قرره شهاب الدين في شرحه حيث قال عقب تقريره قوله في مبحث طلب الماء بحد غوثه ان توهم وقرب أن تيقن ما نصه ويشترط في ايجاب الالتماس والقصد المذكورين ان يكون قد أمن نفسا الى آخره والالتماس في كلامه راجع الى التوهم والقصد عائد الى التيقن كما لايخفى - انتهى المقصود - نقله من السؤال والجواب حسب الغرض المقصود وبالله التوفيق·

أما عذر الجمعة والجماعة والفطر في رمضان فها أنا أورد فيه ثلاث مسائل ·

الاولى : ماسئل عنه القاضي العلامة أحمد ابن عمر المزجد ولفظه هل من اعذار الجمعة والجماعة الاشتغال بالبذر ونحوه اذا كان يخشى بالتأخير عدم الانبات أو ضعفه كما هو ظاهر ميل بعض مشايخنا المعتبرين قال لاتفويت أو لا يعذر ويقال هذا تحصيل وهل مثله الاشتغال بسقي الارض اذا خشي فوت الماء

وتنقية الزرع بحيث لو ترك التنقية في تلك الحالة خشي نقص الزرع عند أهل الاخبرة. أجاب ان ذلك عذر من الجمعة والجماعة فقد جعل الاصحاب من الاعذار كون خبزه في التنور يخاف احتراقه اذا ذهب الى الصلاة وفوات ماذكره سيدي أشد من فوات قرص والله اعلم .

الثانية : وفي فتاوى شيخ الاسلام زكريا الانصاري رحمه الله تعالى مسألة أقوام يخرجون الى المزارع ليزرعوا يوم الجمعة وبينهم وبين الجمعة وحل شديد ونهر يحتاج الى سباحة او لايمكن عبوره الا بمشقة فهل يلزمهم الحضور لصلاة الجمعة او تسقط عنهم ويصلون الظهر .

اجاب بأنه يلزم الخارجين للزراعة فيما ذكر الحضور للجمعة وتفويتها بذلك حرام الا أن يخشى يبس الارض ونحوه مما يفوت به مال فلا يحرم ذلك والله اعلم.

المسألة الثالثة : وفي فتاوى القاضي جمال الدين محمد بن عبد الله بن ظهيرة المكي رحمه الله تعالى أن الارض اذا سقيت(٦٩) من ماء السماء في رمضان ولم يقدر أهلها على بذرها لشدة الجوع والظمأ انه لايجوز لهم الافطار وفي شرح الاذرعي على المنهاج ان الحصاد يأتي في شهر رمضان ولا يطاق الصوم معه فانه يجب عليهم النية لكل ليلة ثم من تلحقه مشقة شديدة فله ان يفطر ومن لا فلا - انتهى ..

قال ابن كبن(١٠٩) في فتاويه وماذكر عن ابن ظهيرة(١١٠) لم نجده في فتاويه التي عندنا وماذكر عن الاذرعي هوالصواب ولافرق في ذلك بين البذر والحصاد وغيرها من الاعذار المبيحة للفطر والله أعلم والموفق للصواب واليه المرجع والمآب .

وفيما جمعته كفايته ونهاية ان شاء الله تعالى لاولي الالباب والحمد لله رب العالمين

قال مؤلفها رحمه الله ونفعنا الله ببركاته ولقد حملني ماوجدته من الطاعنين ومعارضة الحاسدين والباغضين على ان قلت :

ليس المصنف في التحقيق قد كملا
لكن مستهدف في صنعه جعلا

فان أتى بقويم قيل منه أتى
توافقا وسواه قيل قد جهلا

هذا لمن قد تصدى قبل مدته
معرض لهوان صح ذا مثلا

ونحت نفسي بهذا كونها طلبت
لرتبة عن علاها أحجم العقلا

وليس عندي من الآلات مسألة
ترد عني قبيح اللحن والزللا

شاني القصور مع التقصير يصحبه
من كل علم وعن تحقيق ما نقلا

لكن عسى حسن ظني فيك يبلغني
ما رمته ويرد الحسد بالعللا

أيضا ويتحفني حسن القبول له
ويستر العيب فيه ان يكن حصلا

نعم وعين الرضا تخفي العيوب كما
عين السخوط ترك الزيغ والخطلا

---

(١٠٩) محمد بن عبد الله بن ظهيرة .

(١١٠) هو محمد بن سعيد بن كبن من علماء اليمن درس في زبيد وله عدة مصنفات توفي سنة ٨٤٢ (انظر مصادر الفكر الاسلامي ص ٨).

وان يوافيــه ضعـف في مقاصــــده
ففي خوافيــه مايكســيه كـل حــلا

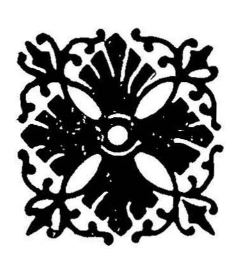
وقد روى في حـديث صـح مسـنده
سـيروا الى الله عـرجا هكذا تصـلا

هذا دليلـي لمـن قد جـاء يعـذلني
فيما قصدت بـه وجـه الكـريم عـلا

(٧٠)والحمد لله رب العالمين الذي بنعمته وكرمه تتم الصالحات وتنجح المبرات واسأل من فضل الكريم انيجعله سالما منالاغلوطات موافقا للصواب في جميع الحالات ورحم الله امرءا رأى فيه خللا فأصلحه وموهما فأوضحه او سقيما فصححه او مخالفا لقول الاصحاب فنقحه ليحوز بذلك الثواب الجزيل بالقصد الجميل وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الولي الكبير سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ٠

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب وكان الفراغ من تحصيله بعد صلاة العصر يـوم الربوع على سبعة وعشرين يوما خلت مـن شعبان المعظم سنة ألف وثلاثمائة وعشرة والحمد لله رب العالمين بقلم محصله لنفسه ولمن شاء الله من بعده الفقير الحقير علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بنسليمان ابن عمر مقبول الاهدل فتح الله عليه آمين٠

□ ★ □



مصادر دراسة

أبي محمد الحسن الهمداني

محمود ابراهيم الصغيري

في النصف الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، انتقلت * أسرة بكيلية همدانية من مكان يدعى المراشي (١) ، غربي برَط ، الى موضع من شمال صنعاء يدعى « الرحبة » . وكان على رأس هذه الأسرة إثنان : داود بن سليمان ذي الدمنة وابنه يوسف .

عاش يوسف ، في الرحبة ، سنوات بعد موت أبيه . غير أنه في أواخر عمره (٢) انتقل الى صنعاء . وكان له ولأولاده « بصر بالإبل لم يكن لأحد من العرب » (٣) .

ورزق يوسف في صنعاء « مالاً كثيراً وثروة طائلة لا سيما من الماشية » ، التي شكّلت في ذلك التاريخ « المصدر الوحيد لنقل البضائع والأثقال بين عواصم اليمن وقراه » (٤) .

يقول أبو محمد الهمداني (٥) عن نسبه وتسلسل أجداده : « فأولد سليمان ذو الدمنة داود فأولد داود يوسف المقرّ (٦) ، فأولد يوسف محمداً ويعقوب ، فأولد محمد يوسف أبا الصعاب ، فأولد يوسف محمداً (الاصفر « لقب ») والحسن ويعقوب (فدرجا) فأولد محمد الأصفر يوسف ويعقوب (فدرج يعقوب) * .

---

* قدر محقق الجزء العاشر للإكليل ، الاستاذ محب الدين الخطيب زمن الانتقال فقال : « ان النقلة من المراشي الى الخارد كانت في اواسط القرن الثاني للهجرة في خلافة ابي جعفر المنصور ، والنقلة من الخارد الى صنعاء في الربع الاول من القرن الثالث زمن المعتصم او الواثق » — ص يج من المقدمة . ولم يشر الى دليلة . ولربما قال بهذا التقدير بناء على راي آخر له وهو اعتقاده بأن الزمن الفاصل بين تاريخ ولادة صاحب الاكليل وتاريخ الانتقال يقترب من « نصف قرن » . وهذا قليل برأينا . خاصة اذا درسنا زمن الانتقال الاول على ضوء مولد الهمداني ، كما سنرى .

* درج : — فلان : مات . درج القوم : انقرضوا . المعجم الوسيط ج١ / ص٢٧٦ . المختار الصحيح / ص١٧١ .

وهذا بيت بزبيد من تهامة . وأولد يعقوب ابراهيم ومحمداً وأحمد ، فأولد ابراهيم محمداً والحسين وعليا (درجوا) وأولد محمد ابراهيم وعبد الله (« درج » وعبد الله [٧] وفاطمة (أم مالك بن الحسن الذي فيه المراثي) من أبيه . وأولد أحمد الحسن (لسان اليمن) وابراهيم . وأولد ابراهيم أحمد ويعقوب ومحمدا (درج) ورثاه عمه [٨] » أ هـ .

ولولا وجود عبارة واحدة في النص السابق لنشأ لدينا وهم تاريخي يقول بأن ابا محمد : صاحب الاكليل هو :

الحسن بن أحمد بن يعقوب بن محمد الاصفر بن يوسف أبي الصعاب بن محمد بن يوسف المفدا بن داود بن سليمان ذي الدمنة .

غير أن أبا محمد حين قال بأن : « محمد الاصفر أولد يوسف ويعقوب » ثم ذكر أن الأخير « بيت بزبيد من تهامة » انما قطع أي وهم في انه لا ينحدر عن يوسف أبي الصعاب ، خاصة وان العبارة المباشرة بعد « تهامة » هي « واولد يعقوب ابراهيم ومحمداً وأحمد » .

والمتأمل في النص السابق لابد انه لاحظ امكانية نشوء مثل هذا الضرب من الأوهام التاريخية .

وانطلاقا من هذا التوضيح يستطيع المرء ان يقول ان يوسف المفدا عاش في صنعاء عددا من السنوات وتربى ابنه يعقوب في يسر حاله وعزه . فنشأ الطفل في بيئتين : بيئة جزئية تشكلها أسرته « شبه البدوية » . وأخرى كلية هي حاضرة اليمن الاولى : صنعاء .

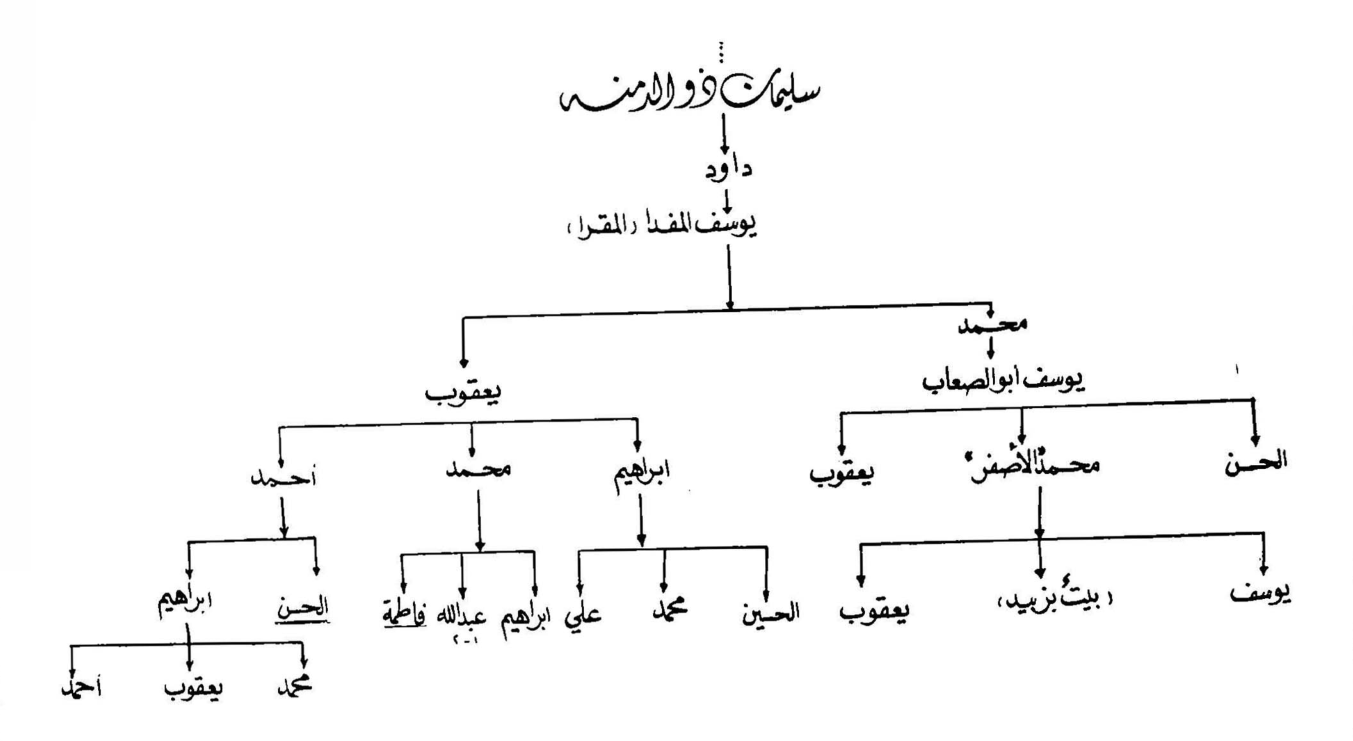
وكان ان ميسور الحال أولا وعاش في إحدى منارات الثقافة في أوائل العصر العربي الذهبي ، ثانيا ، بدأ في أسرته ، ومن خلاله ، أول جسر مع المعرفة .

فاتصل يعقوب « بذوي الفقه والمعرفة والتقى بهم في المساجد والمنتديات » [٩] ، فشكل هذا الاتصال أساسا طيبا وهادفا لتربية ابنه : أحمد . وأصبح أحمد يتاجر بالذهب [١٠] ويشتغل بالتعدين ، وعرف كرحالة يجوب الآفاق فدخل « الكوفة والبصرة وبغداد وعمان ومصر » [١١] .

ويرى الشيخ حمد الجاسر [١٢] ان « عناية آله بالصناعات كالتعدين وغيره ، أمور تلفت النظر ، وصلة آله بالعراق ـ البلد المتحضر ـ كانت قديمة ، فقد كان أبو جده ـ كذا [١٣] ـ محمد بن يعقوب ، يعرف بالبصري ، وهذا هو عم الهمداني الذي تزوج الهمداني ابنته » .

وفي يوم الاربعاء [١٤] الموافق (١٩) تسعة عشر خلت من شهر صفر سنة (٢٨٠ هـ) ، ثمانين ومئتين للهجرة [١٥] ، رزق أحمد بن يعقوب بولده : الحسن صاحب الاكليل ، واشهر رجال اليمن عبر العصور ، واكثر أهلها القدماء فكراً وفلسفة ودراية بالتاريخ واتجاهاته .

وبعد هذا التسلسل الذي بدأ بالمراشي ـ الرحبة ـ صنعاء ، ولد الحسن بن احمد بن يعقوب بن


سليمان ذو الدمنه
داود
يوسف المفدا (المقرا)
محمد
يعقوب
يوسف ابو الصعاب
الحسن
محمد الأصغر
يعقوب
ابراهيم
محمد
أحمد
يوسف
(بيت بزبيد)
يعقوب
الحسين
محمد
علي
ابراهيم
عبدالله
فاطمة
الحسن
ابراهيم
محمد
يعقوب
أحمد

يوسف المفدا بن داود بن سليمان ذي الدمنة ، فيحاضرة اليمن الاولى : صنعاء • وأصبح بلا جدال ، العاشق الاول والاهم في تاريخها • ولعله ما يزال •

ولكن ابا محمد جاء في زمنٍ من أكثر الازمان اليمنية تناحراً وتعرضاً للعواصف السياسية المدمرة •

إذا لم يأت عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م الا وكانت اليمن قد بدأت تتفكك من الداخل بعد انشقاقها عن جسد الدولة العربية العباسية في أيام المأمون (٨١٣ ــ ٨٣٣) م •

ويعتبر الأمير محمد بن زياد مؤسس الدولة الزيادية في مدينة زبيد ، عام ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، اول امير في اليمن أعلن خروجه على الخلافة العباسية ،« في الوقت الذي قطع بنو طاهر في خراسان صلتهم التامة بالدولة العباسية » [١٦] •

وبعد هذا التاريخ بدأ العقد اليماني ينفرط امارات ٍ ودويلات ، بعد أن كانت «ولاية» أو عضواً متماسكاً في جسد الدولة العربية المركزية •

ويعود سبب نجاح ابن زياد في قطع صلته ببغداد والاستقلال باليمن ، الى مجموعة هائلة من العوامل الداخلية في اليمن ، اذ لم تهدأ اليمن من الثورات العاصفة ضد الخلافتين : الأموية والعباسية ، قبل استقلال ابن زياد بأكثر من مئة عام ، بدءا بثورة القيل [١٧] عباد الرعيني ضد والي اليمن يوسف بن عمر الثقفي سنة ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م ، وانتهاء بثورة يمانية حوالي عام ٢٠٢ هـ/٨١٧ م ، كانت سببا في أن المأمون قلد محمد بن زياد الأعمال التهامية [١٨] • وما بين العامين المذكورين مرت اليمن بثورات محلية أحاط القاضي الشماحي بمداخلاتها وأسبابها ، منها : ثورة طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي وابي حمزه المختار الأزدي ، التي اندلعت من حضرموت اولا ثم شملت اليمن كله وأخيراً «التهمت اليمن والحجاز» [١٩] سنة ١٢٩ هـ/ ٧٤٧ م •

ولعل أخطر تلك الثورات : ثورة القيل الهيصم [٢٠] بن عبد الرحمن الهمداني التي استمرت بين عامي (١٧٤ ــ ١٨٨) هـ / (٧٩٠ ــ ٨٠٤) م •

وبالرغم من ان القَيل الهيصم قد وقع في الأسر وسحب أسيرا الى بغداد لكي يلقى مصير القتل أمام الرشيد ، الا أن السياسة التي أطلقها الرشيد لقائده حماد البربري، حين قال له : أسمعني أصوات أهل اليمن [٢١] هي التي قطعت علاقة اليمن بالخلافة العباسية ، ومن هنا كانت ثورة الهيصم «فاتحة لقيام الدول اليمنية» [٢٢] •

ولهذا نرى ان ما ذهب اليه بعض المؤرخين حين قالوا بأن « الخلفاء العباسيين استمروا بإرسال ولاتهم الى اليمن بين الحين والحين ، ولكن ظهور دولة بني زياد فسح المجال لبروز بعض دول مستقلة أخرى »[٢٣] ، لا يعكس الحقيقة التاريخية المحلية في اليمن .

فلو لم يكن الشقاق كبيراً مع مطلع القرن الثالث الهجري لما نجح ابن زياد في إعلان استقلاله .

وهذا يعني ان دولته كانت نتيجة محلية لواقع مفكك مجروح .

وبعد سنوات من تاريخ دولة ابن زياد ، ظهرت دولة يمانية ثانية في مكان آخر هو «شبام كوكبان » . فأسس يعفر بن عبد الرحيم[٢٤] دولته اليعفرية عام ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م .

ومع نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، تفاعلت عوامل وجود دولتين أخريين ـ غير السابقتين . فخرج من (يافع) بجنوب اليمن : علي بن الفضل الخنفري الذي مد نفوذه في سنوات قليلة من يافع الى لحج ، أبين ، الحجرية ، تعز ، صنعاء . و «اتسعت دولته فشملت صنعاء وعدن » [٢٥]

وكان دخوله[٢٦] صنعاء في سنة ثلاث وتسعين ومئتين للهجرة الموافق سنة ست وتسعمئة للميلاد . واتخذ من المذيخرة (في العُديـن) عاصمة لدولته .

وأما صديقه منصور اليمن : إبن حوشب ، فلقد انطلق من شمال اليمن ، وبدأ نشاطه بعدن لاعه ، الواقعة بالقرب من مَسْور وحجّة ـ في الجنوب الشرقي من قضاء حجة [٣٧] . وعلى رغم ان ابن حوشب وابن الفضل كانا صديقين كما هو معروف في قصة تطول الا ان ذلك الزمن العنيف انعكس عليهما وفيهما فتحاربا وانقطعت بينهما اسباب الود ، لذا استقل كل واحد منهما بإمارته [٣٨] .

وفي موقع آخر من شمال اليمن أيضاً ظهرت دعوة لدولة يمانية خامسة هي الدولة « الهَدَوِيّة » بصعدة ، نسبة الى الهادي يحيى ابن الحسين حوالي عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م . وهي دولة تضافرت لها عوامل البقاء فدامت اكثر من ألف عام في تاريخ اليمن . رغم انها في أحقاب مختلفة من التاريخ لم تستطع ان تمتد بنفوذها الى خارج مجال صعدة . ولكنها احتفظت بتماسكها حتى في العهود التي كانت تحاصرفيها بجيوش امارات مختلفة بين بعضها ، متفقة على إزالتها .

وهكذا نجد ان الربع الأخير من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي كان ينطوي على « مأزق تاريخي » لكل المفكرين العلماء والسياسيين الدعاة .

وعلى رغم اعترافنا بالأثر الخطير الذي تركته حمى الدعوات وانفجار الحروب وغدر الأبناء بالآباء من أجل السلطان والملك ، الا أن ذلك « المأزق الصعب » نشأ ، بالدرجة الأولى ، عن مصادمات حادة بين واقع سياسي اجتماعي مفكك مضعضع ومحاولات أو تجارب قاصرة كان هدفها الرئيس تجسيد « الوحدة السياسية والاجتماعية » .

ومن الصعب ان تفهم الهمداني ومؤلفاته

بمعزلٍ عن متراجحة عقلية تقع بين الحاصرتين التاليتين :

(تفكك اليمن بشكل حاد من جهة ، وقصور الخيارات التي تنوعت أشكالها وأنماط القائلين بها من جهة أخرى .)

وإذا أردنا ان نضع تأزم اليمن التاريخي . في ذلك الحين ، على ضوء الخيارات التي اختارها لوحدة البلاد أهل ذلك الزمان . فان هذه الخيارات ــ بعد الانفصال عن بغداد ــ لا تخرج عن الاشكال التالية :

١ ــ الوحدة عن طريق الخيار العسكري .

٢ ــ الوحدة عن طريق وحدة العقيدة .

٣ ــ الوحدة من خلال سطوة مجموعة على الكل اليمني (عن طريق العشيرة أو القبيلة ..)

ولم تكن هذه الخيارات الثلاثة سهلة على كل ذي قدمين عاقل ، وعلى وجه الخصوص حين « ينفد » أحدهما بشكل تعسفي .

ومعلوم ان اليمن لم تكن تعاني من «وحدة العقيدة » غير أنها وقعت ــ في وقت مبكر ــ في تعدد الاجتهادات ، فتعرضت لدوامة لم تلق بعدها الا التفكك الاجتماعي والتناحر السياسي.

ويجري اعتقاد بأن أمر البلاد لم يحسم ، لفترة طويلة ، على ضوء المفهوم الوحدوي ، حتى عام ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م ، وقيام علي بن محمد الصليحي .

ففي هذا العام أظهر أبو الكامل : علي بن محمد الصليحي وحدة البلاد فامتدت دولته من « مكة حتى حضرموت » [٢٩] ولم تعرف دولته بتطرف او تساهل في ادارة أمر وحدة اليمن .

وأما الخيار الثالث فلقد تداخل بشكل تعسفي دائم مع الخيار الأول . ويتضح ذلك من الدول والامارات التي نجحت بعض القبائل أو الأسر في إقامتها .

وأمام هذه الخيارات الصعبة ، أعلن أبو محمد الحسن الهمداني في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري توصله الى خيار رابع وهو « الوحدة من خلال وحدتين » :

وحدة الحضارة اليمنية عبر التاريخ .

ووحدة العقيدة أووحدة الاجتهاد المتوازية أبداً مع الوطنية وعناصرها .

وعلى الرغم من ان هذا الخيار الجديد كان حلا فاصلا لمأزق البلاد الا ان ضمور الوعي الوطني في القاع النفسية لكثير من الدعاة السياسيين والمغامرين العسكريين قد أضفى على هذا الخيار الموحِّد مفهومات غير مستقبلية دفعت بهم الى اتهامه في عقيدته [٣٠] وتصفيده بالأغلال والاشاعات وتخرصات زعانفة الشعر .

ولا شك انهم نجحوا في شق « الوحدة بين الوحدتين » التي نسجها ابن الحائك [٣١] . وأصبح القول بالحضارة اليمنية مخالفاً فيعُرفهم لوحدة العقيدة. كما ظهر اي بحث يؤكد على مجد اليمن ووجدانها التاريخي ــ في عرفهم أيضاً ــ ضرب من العصبية اليمنية أو القحطانية .

وواضح لكل انسان انهذا الموقف النظري خاطىء بالقطع . غير ان ما ينبغي التنبيه اليه هو ان ذلك الموقف النظري من الهمداني لا

يجب بأي وجه أن يقودنا الى مدافعة تنطلق أيضا من أساس ظري خاطىء . وهذا هو المأخذ الذي لمسه عدد من الباحثين على استاذنا وعلامة اليمن الكبير القاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي .

وبعد هذا الاساس الفكري الذي نعتقد انه يسمح بفهم مؤلفات الهمداني واتجاهه الحضاري في تأليفها ، ينبغي الا يغيب عن ذهن الباحثين عامل من أخطر المسائل الثقافية خطورة وأبعدها أثراً على القضايا والأفكار ، الا وهو : الخلق الفني .

وكما لايشك اثنان في علو شأن الهمداني ، علمياً وفلسفياً وتاريخيا ، لا نعتقد أيضاً ان أحداً قد فاتت عليه تجليات الهمداني الفنية . فصاحب الاكليل كان شاعراً .. وبارعاً في الوصف وتنظيم المرافعات والقضايا . وكان ، كما يظهر ، في مصنفاته يتمتع بقدرات خاصة حافظت في جميع مؤلفاته على نوع من أنواع الكلام ربما حق لنا أن نسميه « العبارة الفنية » أو الحارّة .

وتكشف الدراسة لعباراته عن رجل ذي شخصية قوية .. وحادة أحياناً . ولكنه ، بلا جدال ، ظل ــ كما يخبرنا التاريخ ــ منسجماً أولاً مع اتجاهه النظري الحضاري . وظل ، ثانيا ، متماسكاً في ذاته على رغم كل العواصف التي دارت حوله أو انقضت عليه .

ولا ريب في أن استيعابنا لانسجام وتماسك ابي محمد الهمداني لا يعني انه لم يكن خاضعاً، في عدد من المواضع من مؤلفاته ، لتغلب الخلق الفني على الروح العلمية .

ولهذا يحق لبعض الباحثين ان يأخذوا عليه « التساهل » ولا نقول « التزيّد » . وعلى فرض ان ابا محمد كان يتزيّد في المواضع التي تمس يمنيته ، فهل بامكان أحد تجريد العلم وفصله عن الانسانيات ؟ فاتجاهاته في الكتب التي وصلت الينا تؤكد على انه كان يعاني من شعور وطني حاد بضياع اليمن وتمزق وجودها الحضاري الوحدوي .

نعم . كان الهمداني في أخبار وروايات الأمجاد اليمنية يتساهل ولا يحقق . ولكنه لم يجنح الى الاباطيل أو توليد الأوهام والأقاصيص المخترعة . وما أتى الينا منه نقول عن معاصريه وسابقيه كما اشار اليها في مواضع مختلفة .

ولا نعرف بين معاصريه شخصية عربية اقتربت منه كثيراً غير ابي الطيب المتنبي الذي ولد بعده بنحو ثلاث وعشرين سنة . فلقد كان المتنبي صورة حيوية لدفق انساني حار ، وحارق أحياناً . لم تضع في أفقها غير الصعب .. والغاية الغامضة .

وإذا سأل سائل : ما هي الغاية التي كان يطلبها المتنبي في الأمصار العربية ، لوجد نفسه أمام أجوبة لا نعتقد انها تخرج عن إطار يؤكد على ان ابا محمد كان يجاهد بالشعر سعياً وراء انشاء إمارة عربية ضاربة .

وفي الجانب الآخر خطا الهمداني خطوات واسعة كاشفاً في مؤلفاته عنصر الحضارة العربية القديمة لليمن ، تخليداً منه لعناصر « وحدة اليمن الطبيعية » ، وتثبيتاً لهويتها الحضارية العربية بالتعيين .

وليس غريباً ان يلتقي العملاقان عند هدف واحد وباسلوبين مختلفين ، فالعصر كان مأزقاً لذوي الضمائر العربية المشرقة ـ كما هو عليه حالنا في القرن العشرين •

كما انهما بتمسكهما الحاد بماذهبا اليه انما أرادا أن يعبرا عن اغتراب داخلي تكرس وجوده نتيجة التقاطع الحاد بين واقع مفتت وضمائر مشرقة احياناً الا ان انها ظلت قاصرة • فكتبا بلغة « البعض » ولكنهما كانا يطلبان « الكل » • وتلك لغة معروفة معلومة في تاريخ اللغة العربية واستخداماتها الفنية •

ولهذا كان ابو محمد قضية في عروبة اليمن• كما كان أبو محسد قضية في عروبة العرب •

ويتوقف المرء ويسأل :

ما هو مصدر اعتراض بعض أهل عصره على كشوفاته وتأكيداته على الحضارة العربية اليمنية ودورها في صياغة وجوداليمن في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ؟ ـ وهل هناك تنافر بين القول بوحدة الحضارة والدعوة الى وحدة العقيدة ؟

ليس لهذين السؤالين جواب مغاير لفهم يرى بأن بعض أهل عصره تحسس في نفسه شعوراً يعارض بين الوطنية والعقيدة • وعلى رغم انه محال في تاريخ العقيدة الا أن هذا هو ماجرى في التاريخ • فلم تستكشف لهم بصيرتهم السياسة الفارق الساطع بين أن يكون المرء يمنياً بالمولد ويمنياً بالحساسية الوطنية • وعلى العكس تماماً ان العربي اليمني بالمولد اذا لم يكن عارفاً طريقه الى كيفية تكونه العربي اليمني ، انما هو مادة هوجاء ضد حركة التطور العربي في اليمن • وعلى وجه الخصوص حين تظهر دعوات مغامرة أو نزوعات اقليمية ضالة •

وهكذا يظهر في أفق التاريخ اليمني ان الزعانفة الشعراء الذين صادموا ابا محمد ودفعوا به الى « التساهل » المعرفي ، هم الذين ظل مترسباً في أعماقهم شيء من الجاهلية الأولى • فغامروا ضد شرعية الحضارة اليمنية ، سعياً وراء مكاسب بخسه ربما كان الملوح بها في تلك المرحلة بعض من « الأبناء » • أ ومن هم في سويتهم من ذوي الدونية الوطنية •

ولو كان لأولئك الزعانفة تمرس بالوطنية المستقبلية الهادفة لوجدوا أنفسهم اكثر الناس دفاعاً عنه وسعياً اليه والى اتجاهاته الفكرية •

ولكن مفاهيمهم الضالة للوطنية المستقبلية الهادفة هي التي حاصرت ابا محمد ووضعت يديه الطاهرتين في أصفاد ، لم يتأمل فيهما جيداً مواطنو عصره حين دار بهما في القرى والهضاب نفر من العاطلين عن التفكير •

هكذا انتهى رجل « أنطق » الحجارة وقال لأول مرة في تاريخ الآثار ان هناك لهجات وحضارات مرت بهذا الجزء من الوطن العربي الكبير • وتلك قضية لم يستوعبها أحد في تاريخ العرب في العصر الوسيط ، حتى القرنين الأخيرين • بل انها كقضية علمية في تاريخ الحضارات لم يشرع في الافادة بها علماء العالم الا منذ النصف الثاني من القرن الماضي فقط •

وتؤكد على أنه لم يغب عن بالنا « تساهله»

في دور الحضارة العربية اليمنية ، ولكنه لم يطلب التخليق والتطاول ، وانما كان يدافع عن « وجود » شعب مزقته الحروب وظلت الخيارات أمامه دون الرصيد المطلوب لتخليد هوية « وحدويته الداخلية » .

ولا ينبغي ان ينشأ في الذهن وهم يقول بأن الكاتب ضد « الأبناء » — مثلاً — لأنهم من غير أهل اليمن ، مولداً . فمثل هذا الوهم لا يمكن الاستدلال عليه لأن الكاتب يميز بين ان يكون الأبناء مواطنين ، وبين ان ينظروا هم انفسهم الى انهم « أبناء » مميّزون من خارج اليمن . وهي نظرة يترافق معها بالعادة مفهوم غير وطني لمسائل النضال كافة .

وعلى سبيل التبسط : كان النجاحيون دعوة اقليمية فجة في العصر الصليحي لأنهم خرجوا على جسد الدولة المركزية اليمنية في عصر من أكثر عصورها متانة وازدهاراً . ولم يعد يشفع لهم رأي آخر نحمله وهو ان أصولهم التاريخية الأكسومية ترتد مباشرة الى اليمن .

وعلى صعيد آخر . ليس مهماً ان نقف كثيراً عند رأي مؤرخي الدولة الرسولية حين صنعوا نسباً غسانياً لمحمد بن هارون وولده وأحفاده ، وليس مهماً كذلك ان يشيع عن أسرة بني رسول قول يذهب الى أنهم ينتسبون الى جبلة بن الأيهم « ولذلك فهي تقول — كأسرة — بأنها تتصل بملوك سبأ (٣٢) » .

اننا معنيون فقط بدورهم في صناعة التاريخ اليمني وازدهار الاسس الحضارية والوجدانية لهذا الجزء من الوجود الانساني العربي . وذلك أمر تم كما اتفق عليه عدد من المؤرخين (٣٣) .

حياة الهمداني :

لانعرف شيئاً أكيداً عن أول حياته (٣٤) غير ان هناك ما يدل على أنه شارك أهله في عملهم وهو الجِمَالة و « حمل الحجاج والتجار الى مكة من صعدة » (٣٥) .

وفي الصفحة ٣٥٦ من كتابه الهام « صفة جزيرة العرب » ، يقول ابو محمد :

«وكنت أنظر الى التجار اذا حملناهم الى مكة يأكلون سُفرهم طرية الى نصف الطريق، ويابسة تدق وتطر الى مكة ، وكنا نستعمل في أسفارنا خبز الملة والسمن واللحم والكشك والمهاد » . وفي الصفحة ذاتها إشارة أخرى من أبي محمد الى عمل والده : أحمد بن يعقوب .

فيقول « قال أبي رحمه الله تعالى : سألني رجل ببغداد بماذا تأمون في سفركم .. ؟ »

ويتفق عدد غير قليل من المصادر على أنه جاور بمكة في احدى رحلاته اليها ، فطاب له المقام فيها وهو في اول عمره (٣٦) ، كما يدل على ذلك اجتماعه بالخضر بن داود ، احد علماء مكة .

وكان القاضي الاكوع قد ذكر ان الهمداني جاور بمكة (٣٧) سنة ٣٠٦ للهجرة ، غير أنه في الطبعة الاخيرة من الجزء الثامن (٣٨) للإكليل قال ما نصه :

« رحل الهمداني من صعدة الى مكة المشرفة لأداء فريضة الحج، وللإنتهال من مناهلها العذاب فأخذ الحديث عن الخضر بن داود

وسائر المساند ، والسنن وسيرة ابن اسحاق، كما أخذ عن العلامة أبي علي الهجري في اللغة ، والجغرافية ، وعن العلامة اللغوي النحوي أبي رياش القيسي ، أما عن الأعراب ورؤسائها فقد أخذ الشيء الكثير ، ومكث في مكة المشرفة سبع سنوات كما يحدثنا في تفسير الدامغة » .

وينقل الشيخ الجاسر[٣٩] ــ عن الورقة ٩٣ من شرح الدامغة ــ ان الهمداني نص على أنه اجتمع بالخضر بن داود سنة ٣٠٧ هـ .

وهذا التحديد من قبل العالمَيْن المعاصرين يعني أنه بدأ المجاورة وعمره لا يتعدى ستاً وعشرين سنة . وأمضى فيها نحو سبع سنوات. وحوالي عام ٣١٣ هـ / ٩٢٥ م عاد الى صعده ، بعد ان « أقتنى كتباً ودواوين شعرية ومؤلفات عربية هامة في الأنساب »[٤٠] ، ولعله أيضا وقف على نقول عربية مبكرة لكتب بطليموس[٤١] ، والمستدركات العربية الشهيرة عليها .

استقرار الهمداني في صعده :

وبعودته من مكة الى صعدة ، بدأت مرحلة هامة في حياة الهمداني الفكرية ، ولربما في تاريخ الثقافة العربية في اليمن .

ويشير تأليف الهمداني لقصيدة (الدامغة) التي تقع قرابة ستمئة بيت[٤٢] الى انه منذ أن استقر في صعدة حتى سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ، لم يتمتع براحة[٤٣] . فلقد سلخ عدة سنوات بائسة في خصومة مع شعرائها . وما بين سنتي (٣١٩ هـ/ ٩٣١ م) و (٣٢١ هـ/ ٩٣٣ م) أمضى أيامه في السجن[٤٤] . وأما عام ٣٢٢ هـ/٩٣٤م ففي حروب مع القبائل الثائرة على الإمام الناصر.

ونقل الشيخ حمد الجاسر[٤٥] عن ابن فهد صاحب مخطوطة « الدر الكمين » ، عن الخزرجي في « تاريخ اليمن » ، فقال « ان الهمداني ولد بصنعاء ، وبها نشأ ، ثم ارتحل في شبيبته الى مكة فجاور بها وقتاً ، وكتب صدراً من الحديث والفقه ورواه ثم رجع الى اليمن فنزل صعدة . »

وهكذا نصل الى أن الهمداني بدأ :

- حياته في صنعاء في يوم الاربعاء : ١٩/٢/٢٨٠ هـ الموافق ١٠/٥/٨٩٣ م .
- ثم رحل عام ٣٠٦ هـ/٩١٨م الى مكة ــ عبر صعدة ــ وهو ابن ست وعشرين سنة .
- فجاور بها سبع سنوات بين عامي ٣٠٦ هـ/ ٩١٨ م و ٣١٣هـ/٩٢٥ م .
- وعاد منها في العام المذكور واستقر في صعدة ثلاث سنوات ، قضى أيامها كما يظهر في خصومه مع شعرائها .
- وفي عام ٣١٦هـ /٩٢٨ م اشتط العداء بينه وبين شعرائها فأخرج قصيدته الشهيرة « الدامغة » .
- وفي وقت لاحق انتقل من صعدة الى صنعاء ، فلم « يمكث طويلا حتى زج في غياهب السجن[٤٦] يوم الاثنين ٢٤ من شهر شوال سنة ٣١٩ هـ / ٩٣٢ م » .

مجموع سنوات الهمداني في صعده :

وبعد هذا التثبّت التاريخي يطالعنا سؤال هام وهو :

كم عدد السنوات التي امضاها الهمداني في صعدة ؟

● يقول الشيخ الجاسر [٤٧] : « وقد أوضح الهمداني انه أقام في صعدة عشرين سنة ونرى ان هذه المدة كانت قبل سجنه سنة ٣١٩ هـ ، أي أنه عاد من مكة بعد سنة ٣٠٧ هـ » .

● وأما القاضي الأكوع [٤٨] فانـه يقـول : « انتقل الهمداني الى مدينة صعدة الواقعة شمال اليمن ومكث فيها عشرين سنة عبّ فيها العلوم حتى ارتوى وتعرف الى قبائلها اليمنية والمناطق التي تحيط بها كما يحدثنا في الجزء الأول » .

ونلاحظ أن مصدر تأكيد الشيخ الجاسر والقاضـي محمد على أن أبا محمد أمضـى في صعدة عشرين سنة هو قول الهمداني في الجزء الاول ، صفحة ٢٧٥ ، الطبعة الثانية :

« وقد سكنت بها عشرين سنة ، فأطلَلْتُ على أخبار خولان وحمير وأنسابها ورجالها ، كما أطللتُ على بطن راحتي وقرأت بها سجلَّ محمد ابن أبان الخنفري المتوارث من الجاهلية ، فمن أخبارهم ما دخل في هذا الكتاب ، ومنها مـا دخل في كتاب الايام » .

●● فهل هذه السنوات العشرون بعـد العودة من مكة ، ام هي مجموع لعدد السنوات التي سكن فيها صعدة ، قبل الإنتقـال منها والعودة اليهـا ؟ .

واضح أننا لا نستطيع ان نعتبر هذه السنوات بدءاً من عام العودة من مكة الى صعـدة . واذا عدنا الى الثَبْت التاريخي السابق يمكننا ان نضيف ما يلي :

● ولد الهمداني في صنعاء عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م.

● وفي عام ٢٩٢ هـ/ ٩٠٥ م انتقل من صنعاء الى صعدة وكان عمره اثنتي عشرة سنة .

● وأمضى الأربعة عشر عاماً بين عامي ٢٩٢ هـ و٣٠٦ هـ في صعدة مع أبيـه ، أو بين صعـدة ومكة .

● وجاور بمكة بين عامي ٣٠٦ هـ و ٣١٣ هـ ــ كما ذكرنا .

● وبعد عودته من مكـة امضى الهمداني في صعدة حوالي ست سنوات فقط ، لأنه في عام ٣١٩ هـ سجن في صنعاء ، ويظهر ان عام ٣١٩ هـ هو العام الذي خرج فيه الهمداني من صعدة الى صنعاء .

ومن هنا ينطبق هذا الثَبْت مع النصوص المنقولة عنه ، وعلى وجه الخصوص تحديده لعدد السنوات التي مكثها في صعدة .

سجن الهمداني :

اشار الهمداني [٤٩] في « المقالة العاشرة من سرائر الحكمة » الى ان الملوك « غضبت عليه يوم الاثنين ٢٤ شوال سنة ٣١٩ هـ ، وأدخـل السجن ، وأجريت الايمان والعهود بالله ان لا يخرج الاّ على لوحه ميتاً ، ثم فسح له في ابتناء مسكن يتسع فيه ، وسمح له بزيارة الاخوان وقضاء الحوائج في سبعة أشهر و ٢٤ يوماً ، وعندها أبدل بالقيود الثقال قيداً خفيفاً ، ولـم يزل الأمر على ذلك تسعة أشهر وأربعة أيـام ونصف فصار كأنه في معزل . وبعد ٢٤ يومـاً أطلق من القيد الخفيف وزادت الحالة به فرجة ، فنقل من السجن العظيم ، الى ما هو في عداد

المنزل، فنقل من بلدٍ الى بلدٍ، وطيف به مصفّداً الى موضع غربة، فلقي من ذلك الأمرّين ».

« فلما كان يوم الأحد ٢٧ شعبان سنة ٣٢١ هـ أذن باطلاقه فأطلق ».

« ثم رد الى السجن ثانية، فلم يمض فيه يوماً ثم أطلق فخيّر ثم أطلق من الموضع، وبعث به مغرّباً مع حَفَظَةٍ أينما وصلوا من قرية سجنوه، فأقام على ذلك ثمانية أيام، ثم فَلَتَ من النهج الذي قصد به نفسه وذلك بعد ٦٤٩ يوماً تكون شهوراً تامة ٢١ شهراً و ١٩ يوماً ».

وأورد إبن فهد [٥٠] في الدر الكمين — الورقة ١٠٢ — مسألة سجن الهمداني فقال :

« وكان صاحب أمرها — يعني صعده — في ذلك الوقت الإمام الناصر لدين الله .. وكان في صعدة عدة من الشعراء المنتسبين الى عدنان منهم الشريف الحسين بن علي بن الحسن بن القاسم الرسي، وابو الحسن بن أبي الأسد السلمي، وأيوب بن محمد البرسمي، وكان أيوب ينسب الى الفرس، فبلغ الهمداني أيام إقامته في صعدة ان هؤلاء — كذا — يتعصبون على قبائل اليمن، ويتناولون أعراضهم بالأذى، فكتب لكل واحد من الثلاثة قصيدة فلما بلغهم قوله اشتدّ ذلك عليهم، ونصبوا له، ووبّخوه بالكلام وتألبوا عليه، فقال فيهم أبياتاً، فلما تفاقم الأمر بينه وبين الشعراء المذكورين، وأفحمهم جميعاً وفرادى دخلوا على الإمام الناصر لدين الله وقالوا : إن ابن يعقوب هجا النبي ﷺ. فتوعده الناصر، فخرج من صعدة الى صنعاء، وكانت للأمير أبي الفتوح الخطاب ابن عبد الرحيم بن يُعفر الحوالي من قبل عمه الامير أسعد بن أبي يُعفر، وكتب الناصر الى الأمير أسعد — وكان بينهما مودة شديدة — يشكو اليه ابن يعقوب، ويقول: انه هجا النبي ﷺ فأمر اسعد ابن أخيه الخطاب بسجنه فسجنه، وكان له في السجن أشعار كثيرة، من التحريض والتوبيخ وغير ذلك، وكان سجنه سبباً لزوال ملك الناصر، وقتل أخيه الحسين بن يحيى الهادي » أ هـ.

وفاة الهمداني :

اشار صاحب الأعلام [٥١] الى ان الهمداني توفي بعد عام ٣٦٠ هـ، مستنداً في ذلك كما ذكر الى رأي القاضي محمد بن علي الاكوع. بينما يقول القاضي الأكوع [٥٢] انه « ثبت لديه ثبوتاً لا يقبل الشك ان وفاة الهمداني كانت فيما بين سنة ٣٦٠، وما بين سنة ٣٥٠ هـ — كذا — كما استخرجت ذلك من الجزء الثاني والعاشر والتاريخ المجهول الذي بخط جدنا سنة ٧٢١ هـ » أ هـ.

وهذا يعني ان رأي القاضي محمد هو ان الهمداني توفي ما بين سنتي ٣٥٠ هـ و ٣٦٠ هـ. وليس بعد التاريخ الأخير.

ولا شك في ان الاستاذ الأكوع قد أفاد المعاصرين في اعلانه لمولد الهمداني أولاً. وإلغائه لقول صاعد الأندلسي ثانياً.

ويعتبر القاضي صاعد صاحب « التعريف [٥٣] بطبقات الأمم » أول عالم أشاع ان وفاة الهمداني كانت عام ٣٣٤ هـ. كما سنرى في ملحق الملف (اظر صدى ذلك في ترجمة القفطي).

ونأمل في المستقبل ان نقف طويلاً عند مسألة وفاة الهمداني •

مؤلفات الهمداني :

قائمة القاضي محمد بن علي الاكوع [٥٤] الحوالي :

١ ــ الإكليل ــ عشرة أجزاء ــ (ظهر منه أربعة أجـزاء) •
٢ ــ السير والأخبار (مفقود) •
٣ ــ صفة جزيرة العرب (مطبوع) •
٤ ــ المسالك والممالك اليمنية (مفقود)
٥ ــ اليعسوب (مفقـود) •
٦ ــ الأيـام (مفقود)
٧ ــ سرائر الحكمة (وطبع منه المقالة العاشرة)
٨ ــ الزيج (مفقود) •
٩ ــ توحيد الزيج (مفقود)
١٠ ــ القوى في الطب (مفقود)
١١ ــ الحيوان (مفقود) •
١٢ ــ المطالع والمطارح (منه نسخة في مكتبة الاسكندرية)
١٣ ــ الجوهرتان العتيقتـان المائعتـان مـن الصفراء والبيضاء • ويقول القاضي الاكوع : (موجود منه نسختان وهو على وشك الظهور)

« وعلى العموم أصدره كريستوفر تول في أبسالا عام ١٩٦٨ م • »

١٤ ــ الحرث والحيلة (مفقود)
١٥ ــ مفاخر اليمن ووقائعها (مفقود)

« انظر مقالـة : عمرو بن معـدي كرب الزبيدي في هذا العدد من « الإكليل » ، حول نسخة الجزء الثالث المزعوم في بيروت »

١٦ ــ أخبار الابل (مفقود)
١٧ ــ أخبار الأوفياء (مفقود)
١٨ ــ اسماء الشهور والأيام (مفقود)

« ويبدو ان هذا الكتاب وكتاب الأيـام هما كتاب واحـد »

١٩ ــ الدامغـة (مطبـوع)
٢٠ ــ تفسير الدامغة (مطبـوع)
٢١ ــ ديوان شعر الهمداني (مفقود)

« ويروى انه يقع في ستة مجلدات ، على رأي ابن خالويـة كما نعلـم ، ونعتقد أنـه دون ذلك الا ّ اذا فهمنـا المقصود بالمجلـده وحجمها في القرن الرابع الهجري / العاشـر الميلادي »

٢٢ ــ الوشي المرقوم (مفقود)

« ويقول الاستاذ الاكوع [٥٥] ان أحمد أمين تكلم عليه في فجر الاسلام ، صفحة ٦٢ • ولا نستطيع ان ننقل عن معاصر كما نعتقد • »

تراجم الهمداني :

لما كان أبو محمـد الهمداني متقدمـاً في عصره ، لذا تعددت مصادر ترجمته ، بدءاً مـن القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وانتهاءً بدراسات العرب والمستشرقين في القرنين : الماضي والحاضر •

وإضافة الى ان هذه المصادر تكشف عـن جوانب هامـة ومجهولـة في حياة الهمدانـي ومؤلفاته ، الا ّ انها بدرجة أهم تفيدنا في النقول التي ضاعت أصولها في التاريخ • أو هي في أقل

......

التقديرات تؤرخ لأزمان ظهور بعض كتب الهمداني ،

وعلى سبيل المثال :

● أطلع الحافظ ابن عساكر مؤرخ مدينة دمشق الشهير على الجزء الثالث من الاكليل ، في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي على رغم أن هذا الجزء مفقود منذ قرون . — اظر تهذيب تاريخ ابن عساكر : ج ٧/ ص ٣٦ و ٣٥ .

ولهذا السبب وجدنا ان من الضروري وضع ثَبْتٍ حسب الامكان ، لأهم العلماء والمؤرخين الذين ترجموا للهمداني .

وأول من ترجم (٥٦) للهمداني .

● محمد بن سعيد بن عمر الهمداني ، صاحب سيرة الامام الناصر أحمد بن الإمام الهادي يحيى . وهو معاصر للهمداني .

● محمد بن الحسين الكلاعي الوحاظي الحميري المتوفى سنة ٤٠٤ هـ .

● أبو العم مسلّم بن محمد بن جعفر اللحجي المتوفى في حدود سنة ٥٥٠ هـ . في كتابه «الاترجة»

● ابو القاسم صاعد بن الحسن المتوفى سنة ٤٦٤ هـ في كتابه « طبقات الأمم »

● علي بن الحسن القفطي الشيباني المتوفّى سنة ٦٤٦ هـ في كتابه « أنباه الرواة في انباه النحاة » .

● علي بن الحسن الخزرجي الزبيدي المتوفّى سنة ٨١٢ هـ .

● والسيوطي في «بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة » .

ولقد لاحظ محقق كتاب « بغية الوعاة » المذكور الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم ان الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي وهم في اسم الهمداني فأتى على ذكره مرتين : مرة باسم الحسن بن أحمد . وأخرى باسم الحسين بن أحمد (اظر : ج ١ / ط ١/ ١٩٦٤م — ١٣٨٤ هـ من الكتاب المذكور — صفحة ٤٩٨ : الحسن . وصفحة ٥٣١ : الحسين) .

وكان الاستاذ عبد الله الحبشي قد لفت نظر الباحثين الى غياب مؤلفات الهمداني « المفقودة » منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي .

وفي دراسة نشرها بعنوان « مؤلفات الهمداني المفقودة » قال « لعل أجزاء الإكليل المفقودة أتلفت في حياة الهمداني نفسه إذ لو كانت موجودة لرجع اليها المؤرخون القدامى امثال المؤرخ أحمد بن عبد الله الرازي المتوفّى بعد سنة ٥٠٠ هـ . فهو لم يرجع في كتاب « تاريخ صنعاء » الا الى الأجزاء المعروفة لنا . وكذلك المؤرخ اليمني احمد بن محمد الأشعري من علماء القرن السادس وهو من الأوائل الذين نقلوا من الهمداني . فهو لا يرجع في كتابه « اللباب » الا الى الأجزاء الثلاثة التالية :

الأول ، الثاني ، العاشر — الخاصة بالانساب — (اظر جريدة الثورة اليمانية — صنعاء . الصفحة الثامنة، تاريخ ٩/٤/١٩٧٦ م) ولكن هل يعني هذا أن نعتبر الأجزاء

المفقودة قد « فقدت » قبل القرن السادس الهجري ؟

من الصعب ان نطلق حكماً عاماً في هذه المسألة ، خاصة وأن جمال الدين القفطي المولود عام ٥٤٨ هـ والمتوفّى عام ٦٤٦ هـ قد وصف لنا الأجزاء العشرة ثم قال(٥٧) بالنص :

« ولم أر منه الا أجزاء متفرقة وصلت الي من اليمن ، وهي الأول ، والرابع يعوزه يسير ، والسادس ، والعاشر ، والثامن » . ومعلوم ان الرابع من الأجزاء المفقودة .

وكذلك ذكر لنا انه وقف على كتب هي بالنسبة لعدد من مترجمي الهمداني من الكتب الضائعة والمفقودة .

وهي :

- المسالك والممالك
- كتاب الطب المسمى بكتاب القوى
- صناعة النجوم المسمى بسرائر الحكمة .
- وكتاب الجواهر العتيقة ـ كذا .
- وكتابه في الطالع والمطارح
- و زيج الهمداني .

(انظر صفحة ٢٨٣ من كتاب القفطي المذكور) .

ومن تراجم الهمداني أيضاً :

- روضات الجنات لمحمد بن باقر الحاجي (من علماء القرن التاسع الهجري) طبع فاس ١٣٠٧هـ /ص ٢٣٨ .
- طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة الاسدي ـ نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٢١٤٦ . تاريخ تيمور .
- كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ـ طبع استانبول سنة ١٣٦٠ هـ
- إخبار العلماء باخبار الحكماء للقفطي طبعة الخانكي سنة ١٣٢٦ هـ .

(وينبغي الاشارة الى ان هذا الكتاب منتزع من « انباه الرواة »)

- تلخيص اخبار اللغويين لابن مكتوم ، احمد ابن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم . نسخة بخط المؤلف بدار الكتب المصرية برقم ٣٠٦٩ . تاريخ تيمور .
- معجم الأدباء لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ـ طبعة عيسى الحلبي سنة ١٣٥٥ هـ .
- طراز اعلام الزمن لمؤرخ اليمن الخزرجي .

ومن ابرز المعاصرين :

- كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي : ج٤/٢٤٩ وما بعدها ، طبعة ١٩٧٥ م .
- الأب انستاس الكرملي ـ مقدمة الجزء الثامن ـ طبعة ١٩٣١ م .
- نبيه أمين فارس ـ الجزء الثامن طبعة برنستن ١٩٤٠ .

وكان المستشرق النمساوي « ملر » قد نشر مقتطفات منه بفيينا عام ١٨٨٩ مرفقة بترجمة ألمانية .

- محب الدين الخطيب : العاشر، طبعة القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- والأمير شكيب ارسلان الذي أوضح

اهتمامات مبكرة بكتب الهمداني : (انظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد العاشر ، الجزء السادس ، حزيران ١٩٣٠ م / محرم ١٣٤٩ هـ .

الصفحة ٤٣٩ وما بعدها : بعنوان « آراء وأفكار : كتاب الاكليل للهمداني . »

● د. يوسف محمد عبد الله وكانت رسالته للدكتوراه عن جوانب التلاقي والتباعد بين كتب الهمداني والنقوش المكتشفة في العصر الحديث. وتأمل المجلة أن تنشر هذه الرسالة الهامة بعد أن يأذن الاستاذ الباحث د . يوسف عبد الله بترجمتها عن الالمانية .

ولا شك في أن القائمة تطول وتتسع لعدد كبير من الباحثين . غير أن هناك اسمين كبيرين قد تركت بحوثهما أثراً حاسماً على مترجمي حياة الهمداني ودارسي مؤلفاته .

وهما القاضي محمد بن علي الاكوع الحوالي . والشيخ حمد الجاسر . ولقد درس الشيخ حمد الجاسر حياة الهمداني بعناية وتمكن وأظهر منذ الخمسينات اهتماماً علمياً بالغاً بصاحب الاكليل وصفة جزيرة العرب .

(انظر دراسته للجزء العاشر من الاكليل : المجلد ٢٥ / الجزء الاول / مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق . ١ كانون الثاني ١٩٥٠ /١٢ ربيع الاول ١٣٦٩ هـ .) ــ وهذه دراسة على شكل مراجعة لطبعة الاستاذ محب الدين الخطيب، كتبها الاستاذ الجاسر بعد اقل من سنة من طبعة الخطيب للعاشر عام ١٣٦٨ هـ .

واظر مقدمته الهامة لكتاب («صفة جزيرة العرب » ــ طبعة بيروت المذكورة)

● وأما القاضي محمد بن علي الأكوع فانه بلا جدال صاحب الكشوفات الجديدة في حياة الهمداني ومؤلفاته . ولا يخلو كتاب من كتبه التي حققها الا ونجد فيه اشارة الى الهمداني أو توضيحاً لمسألة اثارها الهمداني في مؤلفاته .

ولهذا لم نجد مبالغة في قول القائلين :

ان القاضي محمد همداني اليمن في القرن العشرين . ولعله في العصور الحديثة كلها .

المصادر والاحالات :

(١) الاكليل : ج١/ص ٤٩ ، طبعة ١٩٦٨ ، مقدمة العلامة محمد الاكوع . والاكليل : ج ١٠ / ص١٩٩ . ومقدمة « صفة جزيرة العرب » للشيخ حمد الجاسر/ص ٧ . طبعة ١٣٩٤ هـ /١٩٧٤ م .

(٢) الاكليل : ج١٠/ص ١٩٩، القاهرة ١٣٦٨هـ

(٣) المصدر السابق .

(٤) الاكليل : ج١ / ص ٥٠ .

(٥) الاكليل : ج١٠/ص١٩٧ وما بعدها

(٦) اورد المحقق للجزء العاشر ان « المقرا » كتبت كذا في نسخة (م) . وهي نسخة ذكر في مقدمته انه اعتمدها في التحقيق ــ انظر المقدمة ، صفحة : ح . غير انه اشار الى ان النسخ الاخرى التي وقعت في يده ذكرت « المفدا » . ويميل الكاتب الى ما اورده العلامة محمد الاكوع ، وذلك بترجيحه للأخيره : الاكليل : ج١ / ص٤٧ .

(٧) قال المحقق : « بتكرير عبد الله مرتين سمي احدهما باسم اخيه الذي مات » . الاكليل : ج١٠ /ص ١٩٨ . واعتقد ان هناك اضطراباً مطبعياً في أوضاع الاقواس والحاصرتين الكبيرتين .

(٨) اي صاحب الاكليل : الحسن بن احمد الهمداني .

(٩) الاكليل : ج١ / ص ٥٠

(١٠) كتاب « الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء » . صفحة ١٤٧

(١١) « صفة .. » / ص٨ ، ٣٦١ .

(١٢) « صفة .. » / ص ٨ .

(١٣) ان القول بأن ابا جد الهمداني هو محمد بن يعقوب لابد ان يكون قولاً خاطئاً . ربما مصدره السهو أو الوهم . فلجد صاحب الاكليل ـ وهو يعقوب ـ ثلاثة ابناء ، وهم : ابراهيم ومحمد واحمد . ومن ولد احمد كان صاحب الاكليل . واما محمد فقد أولد فاطمة وثلاثة اخوان لها . وعليه فان فاطمة هي بنت محمد . ومحمد هذا عمه . او هو ابن جده . وهذا تسلسل ذكره الشيخ بعناية في الصفحة الثامنة ذاتها .

ولعل الشيخ حمد مشى وراء عبارة غامضة وردت فعلا في الجزء الاول من الاكليل ، الصفحة ٤٤٥ ، الطبعة الثانية ، وهي :

« وحدثني أبو جذي ـ كذا بالذال ـ محمد ابن يعقوب البصري : قال عندنا في البصرة من خولان : بنو بحير، وبنو خيار ، والتناغم ..الخ».

(١٤) الإكليل : ج١ / ص ٧٥ . و « المقالة العاشرة من سرائر الحكمة » ، ص ١٩ و ٩٦ . والإكليل : ج٨ / ص ٢٩ ، تحقيق العلامة محمد ابن علي الاكوع . وهو أول دارس للهمداني اعلن هذا الاكتشاف الذي يحدد مولد الهمداني باليوم، والشهر والسنة .

(١٥) لسهولة التحويل واشاعته فان ٢٨٠/٢/١٩ هـ توافق ٨٩٣/٥/١٠ م

(١٦) « الدول الاسلامية » : ستانلي بول ـ بارتولد ـ خليل ادهم ، ترجمة محمد صبحي فرزات ، اشراف وتعليق محمد أحمد دهمان ، القسم الاول ، صفحة ١٨٩ .

(١٧) اليمن : الانسان والحضارة للقاضي عبد الله الشماحي ، طبعة ١٩٧٢ م صفحة ٨٥ .

(١٨) « قرة العيون باخبار اليمن الميمون »لابن الديبع ، تحقيق العلامة الاكوع ، طبعة ١٣٧٤ هـ / ص ١٤٧ .

(١٩) الشماحي / ص ٨٥ وما بعدها .

(٢٠) ورد اسمه « الهيضم » في صفحة ١٤١ ، ثم تكرر الخطا ثلاث مرات في صفحة ١٤٣ ،وذلك في « غاية الاماني في اخبار القطر اليماني » ـالقسم الاول ـ تاليف : يحيى بن الحسين بن القاسم ، تحقيق سعيد عاشور، طبعة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م. ولقد اخذت بتصحيح العلامة الاكوع ، وعلى وجه الخصوص ما اورده حول هذه المسالة في هامش صفحة ١٣١ من كتاب «قرة العيون» لابن الديبع.

واورد الشماحي هذا التصحيح / ص ٨٧ وما بعدها .

(٢١) وردت هذه الكلمة في عدد كبير من المصادر: ابن الديبع : ص / ١٣١ ، والشماحي / ص٨٨ .

(٢٢) الشماحي / ص ٨٨ .

(٢٣) الدول الاسلامية ـ القسم الاول / ص١٨٧

(٢٤) ورد في المصدر السابق : يعفر بن عبد الرحمن / ص ١٩١ .

(٢٥) « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من ملوك » للخزرجي ، الورقة (٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠) . مخطوط الجامع الكبير بصنعاء .

(٢٦) انظر تعليقات القاضي الاكوع في« تاريخ اليمن » لعمارة اليمني ، صفحة ٥٤ وما بعدها . طبعة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م . ونصوص ابن الديبع في «قرة العيون» / ص ١٧٨ . ومصدر الخزرجي المذكور سابقاً .

(٢٧) « قرة العيون » / ص ١٨٣ .

(٢٨) كان ابن الفضل اقوى من ابن حوشب حتى انه فرض على الاخير حصاراً خانقاً انتهى بصلح . ومع ان ابن الفضل التزم بهذا الصلح كما يظهر في التاريخ الا ان ابن حوشب دخل في «لعبة»

غامضة ضد ابن الفضل كان من نتيجتها موت صديقه . ولا شك في ان هـذه « اللعبة » قـد ازالت اماراتـه مباشرة بعـد موت ابن الفضـل بسنوات قليلة . والمؤلم في تاريخنا اليمني تهافت عدد غير قليل من المتعلمين على راي يذهب الى اتهام ابن الفضل في عقيدته . ومصدر هذاالتهافت اعتماد البعض على مصادر تاريخية حبّرها اعداء ابن الفضل . ولهذا السبب اعترض علامة اليمن محمد الاكوع على الآراء التي نال من خلالها بعض المؤرخين بأخلاق ابن الفضل فشكك فيها . انظر تعليقه في صفحـة ١٨٨ من « قرة العيـون » . وراجع راي القاضي الشماحي في كتابه المذكور / ص ١٠٩ .

(٢٩) « الدول الاسلامية » ـ القسم الاول / ص ١٩٤ . و «غاية الاماني» . القسم الاول / ص٢٤٧

(٣٠) الاكليل : ج١/ص٦١ . و « صفة »/ص١٥ والاكليل : ج١٠/ص : ك

(٣١) ابن الحائك : الاعلام للزركلي/ج٢/ص١٧٩ معجم الادباء /ج٤ :صفحة ٢٣٠ وما بعدها .

(٣٢) « الدول الاسلامية »/ص ٢٠٢ .

(٣٣) انظر : « حياة الادب اليمني في عصر بني رسول » للاستاذ عبد الله الحبشي . والعقود اللؤلؤية للخزرجي ، طبعة لندن .

(٣٤) « صفـة » / ص ٨ .

(٣٥) المصدر السابق .

(٣٦) « صفة »/ ص ٩

(٣٧) الدامغة / ص ٨١

(٣٨) الاكليـل : ج٨/ ص : ٣٠ ـ ٣١ . طبعـة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م . تحقيق العلامـة الاكوع . طبعة دمشق .

(٣٩) « صفة » / ص ٩

(٤٠) المصدر السابق .

(٤١) الاكليل : ج ٨/ ص ٣٠ ، طبعة ١٩٧٩ م .

والمقالة العاشرة / ص ٢١ .

(٤٢) « الدامغة / ص ٥٥ .

(٤٣) « صفة » ص ١٧

(٤٤) المصدر السابق . والاكليل : ج٨/ ص٣١ . والمقالة العاشرة / ص ١١٥ .

(٤٥) « صفة » / ص ٩

(٤٦) الاكليل : ج٨/ص٣١ ؛ طبعة ١٩٧٩ م .

(٤٧) « صفة » / ص ١٧

(٤٨) الاكليل:ج٨/ص٣٠ وانظر الدامغة/ص٥٥. والاكليل : ج١/ ١٩٩ طبعة اولى . والاكليل : ج١/٢٧٥ ، طبعة ثانية .

(٤٩) صفحة ١١٥ ، طبعة دمشق ١٩٧٩ م و « صفة » / ص١٦ . والاكليل ج ٨ ص ٣١ .

(٥٠) من نقول الاستاذ الجاسر : « صفة » / ص ١٤ ـ ١٥ .

(٥١) الاعلام : ج٢/ ص ١٧٩

(٥٢) الاكليل : ج٨/ص٣٢. وانظر « صفة » ص ٢٩ . و « المقالة العاشرة » / ص ٢٣ .

(٥٣) طبع كتاب القاضي صاعد الأندلسي عدة مرات بعنوان « طبقات الأمم . على رغم ان السطر الأخير في الكتاب ينص على انه « تعريف بها » . ولقد وجدنا في فهارس المكتبات التركية نسخة لهذا الكتاب انفردت بالعنوان التالي : « التعريف بطبقات الامم » . وذلك أقرب الى حجم الكتاب، على رغم اهميته .

(٥٤) «المقالة العاشرة » / ص ٢٢ . طبعةدمشق ١٩٧٩ م .

(٥٥) المصدر السابق / ص ٢٣ .

(٥٦) المصدر السابق / ص ١٧ .

(٥٧) القفطي : « انباه الرواة » / ج١ / ص ٢٨٢

—★—

الملحق الأول :

نص ما كتبه القفطي المتوفى عـام ٦٤٦ هـ ٠

الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود(*)

ابن سليمان ، المعروف بذي الدمينة بن عمروبن الحارث بن أبي حبش بن منقذ بن الوليد بن الأزهر بن عمرو بن طارق بن أدهم بن قيس بن ربيعة بن عبد بن عليان بن أرحب(١) بن الدعام ابن مالك بن ربيعة بن الدعام بن مالك بن معاويةابن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان ٠ الأديب النحوي الطبيب المنجم الأخباري اللغوي اليمني المعروف بابن الحائك ٠

نادرة زمانه ، وفاضل أوانه ، الكبير القدر ،الرفيع الذكر ، صاحب الكتب الجليلة ، والمؤلفات الجديلة ٠ لو قال قائل : انه لم تخرج اليمن مثله لم يزل ، لأن المنجم من أهلها لاحظ له في الطب، والطبيب لايد له في الفقه ، والفقيه لايد له في علم العربية وأيام العرب وأنسابها وأشعارها ، وهو قد جمع هذه الأنواع كلها ، وزاد عليها ٠

فأما تلقيبه بابن الحائك ، فلم يكن أبوه حائكاً ، ولا أحد من أهله في أصله حائك ، وانما هو لقب لمن يشتهر بقول الشعر ٠ وكان جده سليمان بن(٢) عمرو المعروف بذي الدمينه شاعرا، فسمى حائكاً لحوكه(٣) الشعر ٠

وكان آباؤه ينزلون المراشي(٤) من بلادبكيل(٥) ، ثم انتقل داود بن سليمان ذي الدمينة الى الرحبة(٦) من نواحي صنعاء ، ثم الى صنعاء،وكان بها ولده ٠

وكان رجلا محسدا في أهل بلده ، وارتفع له صيت عظيم ـ أعنى الحسن ابن أحمد هذا ـ وصحب أهل زمانه من العلماء، وراسلهم وكاتبهم٠

فمن العلماء الذين كان يكاتبهم ويعاشرهم أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري ، وكان يختلف بين صنعاء وبغداد ، وهو أحد عيون العلماء باللغة والعربية وأشعار العرب وأيامها ، وكذلك أبوه القاسم ، على ما ورد في أخبارهم ٠وكان يكاتب أبا عمر النحوي صاحب ثعلب ، وأبا عبد الله الحسين بن خالويه ٠

وأقام بمكة دهرا طويلا ، وسار الى العراق** ، واجتمع بالعلماء ، واجتمعوا به فيما قيل ٠

---

* المرجع : انباه الرواة على انباه النحاة ـ طبعة القاهرة ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م : ج١/ص٢٧٩ وما بعدها . ولقد ابقينا على ارقام الهوامش والتراجم بعد تدويرها واستبعدنا ما صنعه المحقق في الهوامش خشية الاطالة .

** انفرد القفطي بذكر مسير الهمداني الى بغداد ولم نجد الى الان ما يثبت ذلك . (م)

وسار في آخر زمانه الى ريدة(٧) من البون(٨) الأسفل من أرض همدان ، وبها قبره وبقية أهله٠

وكان ملوك اليمن وأجلاؤها يكرمونه ويقربونه ، وكان خائفا من المستولين على صعدة(٩) ، لكلام بلغهم عنه ٠

وقصد مرة أحد أجلاء اليمن ـ ويعرف بابن(١٠) الروية المرادي ـ من مذحج ، وامتدحه في سنة شديدة ، فأكرمه ، وأنزله أجمل منزل ، وطول عليه في تأخير ، فأقام شهرا ، وهو في قلق من أمر أهله ، وما تركهم عليه من الاعسار في ذلك الوقت ، فلما انقضى الشهر استأذنه في الرجوع الى أهله ، فاذن له ، فرجع كئيبا صفر اليد ، مما قصده له ، ولما صار قريبا من أهله تلقاه بنوه وأقرباؤه على هيئة جميلة ، ومراكب نفيسة ، فأعجب بذلك ، وسألهم عن سببه ، فقالوا : هو ما بعثت لنا ٠ ففطن للأمر ، وسألهم صورة ما سير اليه ، فذكروا جملة كثيرة ، من مال وملبوس ومركوب ومفترس٠ ففرح وأمعن في مدح ابن الروية المذكور ، وبالغ في وصفه ، واشتهرت هذه المكرمة بالبلاد اليمنية ، وسار مديحه له ٠ وكان ابن الروية هذا قد ولي أعمال صنعاء زمانا ، ثم استقر أمره بالسر(١١) ، وبها ولده ٠

وممن كان يكرمه من ملوك اليمن ويرعى حقه اسماعيل بن ابراهيم النبعي الحميري ، وهو من آل ذي نبع بن الحارث بن مالك بن اليشرج(١٢) بن يحصب بن دهمان بن مالك بن سعد بن عدي بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة بن سبأ الأصغر ، ثم من ولد شرحبيل بن ذي نبع ٠

والأنبوع ممن ولى الملك باليمن ، وكان ينزل بضبا من أعمال التعكر(١٣) ، وفيه يقول :

يطلبن من عرض البلاد وطولها ... بلداً به النبعي اسماعيل

فضياء غرته وريح نواله ... لوجوههن الى حماه دليل

وكان مصنفا للكتب في كل فن ، فمن ذلك كتابه في « السير والأخبار » ، وكتابه المسمى « باليعسوب » في فقه الصيد وحلاله وحرامه والأثر الوارد فيه وكيفية الصيد ، وعمل العرب فيه ، وغريب ذلك ونحوه ، والشعر فيه ، وهو كتاب جيد جدا ، مفيد للمتأدبين ٠

كتابه في معارف اليمن وعجائبه وعجائب أهله ، المسمى « بالاكليل » ، وهو عشرة أجزاء : الجزء الأول في المبتدأ ونسب مالك بن حمير ، والجزء الثاني في أنساب ولد الهميسع من ولد حمير ونوادر من أخبارهم ، والجزء الثالث في فضائل اليمن ومناقب قحطان ، والجزء الرابع في سيرة حمير الأولى ، والجزء الخامس في سيرة حمير الوسطى ، والجزء السادس في سيرة حمير الاخيرة الى الاسلام ، والجزء السابع في ذكر السيرة القديمة والأخبار الباطلة المستحيلة ، والجزء الثامن في القبوريات ، وعجائب ما وجد في قبور اليمن وشعر علقمة بن ذي جدن وأسعد تبع ، والجزء

التاسع في كلام حمير وحكمهم وتجاربهم المرويةبلسانهم ، الموضوع للرطانة عندهم ٠ والجزء العاشر في معارف همدان وأنسابها ونتف من أخبارها ٠

وهو كتاب جليل جميل ، عزيز الوجود ، لم أر منه الا أجزاء متفرقة وصلت الي من اليمن ، وهي الأول ، والرابع يعوزه يسيره ، والسادس ، والعاشر(١٤) ، والثامن(١٥) ٠ وهي على تفرقها تقرب من نصف التصنيف ، وصلت في جملة كتب الوالد(١٦) المخلفة عنه ، حصلها عند مقامه هناك ٠

وقيل : ان هذا الكتاب يتعذر وجوده تاما ، لأن المثالب المذكورة (فيه) ، في بعض قبائل اليمن ، (و) أعدم أهل كل قبيلة ما وجدوه من الكتاب ، وتتبعوا اعدام النسخ منه ، فحصل نقصه لهذا السبب ٠ وكتابه في « أيام العرب » كتاب جميل ٠

وكتابه في المسالك والممالك باليمن(١٧) ، وعندي منه نسخة وردت في الكتب اليمنية ـ رحم الله مخلفها ٠ وكتابه في الطب المسمى بكتاب « القوى(١٨) » ٠ وكتابه في صناعة النجوم ، المسمى « بسرائر الحكمة(١٩) » ٠ وكتاب « الجواهر العتيقة(٢٠) » ٠ وكتابه في « الطالع والمطارح » ٠ وزيجه الموضوع ٠

وله من التصانيف الشاذة الى البلاد ما يكثر ولا يكاد يعرفه أهل اليمن ٠ وله كتاب « القصيدة الدامغة النونية(٢١) » على معد والفرس ، وهي قصيدة طويلة ، وقد شرحها ولده ، فيها علم جم ، ولله الحمد ، أحضرت في جملة الكتب اليمنية أيضا ـ رحم الله مخلفها ـ وهذه القصيدة أحدثت له العداوة من النزارية والمتنزرة ٠ وله شعر جميل كثير ٠

ولما دخل الحسين بن خالويه الهمداني النحوي الى اليمن ، وأقام بها بدمار(٢٢) جمع ديوان(٢٣) شعره وعربه وأعربه ٠ وهذا الديوان بهذا الشرح والاعراب موجود عند علماء اليمن ، وهم به بخلاء ٠ وشعره يشتمل في الاكثر على المقاصد الحسنة ، والمعاني الجزلة الألفاظ ، والتشبيهات المصيبة الأغراض ، والنعوت اللاصقة بالأعراض ، والتحريض المحرك للهمم المراض ، والأمثال المضروبة ، والاشارات المحجوبة ، والتصرف في الفنون العجيبة(٢٤) ٠

قال القاضي صاعد بن الحسن الاندلسي قاضي طليطلة ـ رحمة الله ـ في كتابه(٢٥) : « وجدت بخط أمير الأندلس الحكم المستنصر بالله ابن الناصر عبد الرحمن الأموي أن أبا محمد الهمداني توفي بسجن صنعاء في سنة أربع وثلاثين وثلثمائة » ٠

الملحق الثاني :
نص ما نشره شكيب ارسلان في عـام ١٩٣٠ م ٠

ليس فيمن كتبوا عن جزيرة العرب وخططها وجغرافيتها ومسالكها وممالكها من يفضل أبـا محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف الهمداني (بالدال المهملة نسبة الى همدان) فهو صاحب كتاب « صفة جزيرة العرب » الطائـر الصيت المنقطع النظير في بابه وصاحب كتاب « الاكليل » المشهور أيضاً والذي تتحسر الناس عليه و لاتظفر به ٠

وقد كنت في القسطنطينية منذ خمس سنوات فجمعتني الأقدار بحضره الصديق الشريف علي ابن عمر بن هزاع من ابناء عم الملك حسين بن علي وهو أقرب أبناء أعمامه اليه أشراف مكة ٠ ولما كان الشريف علي بن عمر من الضاربين بسهم في الأدب والمولعين بالاطلاع تذاكرت واياه أمر الكتب العربية في الاستانة فقال لي انه اطلع في خزانة جامع بايزيد على كتاب الاكليل للهمداني ٠

ولما كان هذا السفر نادر الوجود عزمت ان اذهب مرة مع حضرة الشريف الى خزانـة كتب بايزيد حتى نطلع على الاكليل ثم جدّت امور عدتنا عن هذا الامر ٠ وبرحت الاستانة على ظن اني راجع اليها فلم يقدر لي الرجوع اليها وفاتني النظر الى كتاب الاكليل ٠

ثم قرأت في كلام لسعادة الاخ العلامة شيخ العروبة وفيلسوف الآثار والصحف المكتوبـة احمد زكي باشا امتع الله بطول حياته ان كتاب الاكليل مفقود وانهم بحثوا عنه كثيراً فلم يجدوه حتى هذه الساعة ٠

فكتبت الى احمد زكي باشا أذكر له ما رواه لي الشريف علي بن عمر ٠ فجاوبني بأنه لا يظن ذلك او قديكون وقع سوء فهم في المسألة٠

والاستاذ احمد زكي باشا يعرف خزائن الاستانة وقـد كان طوّف فيهـا ونقب ونسخ واستنسخ وصوّر بالفوتوغرافيا وقيد واودع ما أودع في كناشاته ٠

فكتبت في العام الماضي الى الاخ الاجـل الافضل خالد بك القرقني من عيون أعيـان طرابلس الغرب اذ كان في الاستانة واخبرتـه بالقصة ورجوته أن يقتصّ لي أثر هذا الكتاب في خزائن الاستانة مبتدئاً ببايزيـد حيث كان الشريف علي بن عمر بن هزاع قال لي أنه عثر على الاكليل ٠ فجاءني من خالد بك الجـواب الآتي أنقله بالحرف :

« أمس (٢٥ مارت سنة ١٩٢٩) مضيت الى مكتبة بايزيد وكان مديرها وجهينة أخبارها غائباً فانتظرت مدة ثلاث ساعات تصفحت خلالها كل الفهرست العائد للكتب العربية ولم أعـثر على الاكليل فعند مجيء المدير راجعته فأفادني بما يأتي :

« مسأله ده بالان بوق ياكلش واردر » نعم ان حضرة الشريف علي بن عمر اطلع على جـزء من هذا الكتاب (وهو الجزء السابع أو الثامن) عند المرحوم شيخ الاسلام حسني افندي قبل خمسة عشر عاما تقريبا وبعد وفاته اشتراه خالص

بك وبعد وفاة هذا الاخير اشترت كتبه مكتبة بايزيد ومن ضمنها هذا الكتاب . وكان بها الى مدة قريبة اذ أمرت حكومة انقرة بنقل هذه الى مكتبة دار الفنون فهو الآن هناك . وقد توجد النسخة عينها بمكتبة علي اميري افندي والمحتمل ان تكون الأجزاء الاخرى من الاكليل بايطالية من جملة الكتب التي جلبها (غريفيني) من اليمن » .

«وسأوافيك بذيل الخبر بعد اطلاعي على على الجزءين ان شاء الله » .

ثم جاءني من الاخ المشار اليه كتاب تالٍ بتاريخ اليوم التالي أي ٢٦ مارت من تلك السنة يقول فيه :

« وُفقت للاطلاع على كتاب الاكليل لابي محمد الحسن بن يعقوب الهمداني بمكتبة دار الفنون تحت نمرة ٦٢٤٢ من كتب خالص افندي في قسم التاريخ منها وذلك بعد فحص طويل ومراجعة مكتبة بايزيد مرة أخرى .

تفحصت أكثره فوجدته عائداً لأحوال اليمن والتعريف ببلدانها الخاربة وبيان ما وجدوا في مقابرها المنسية من اللؤلؤ والحجارة الكريمة وغيرها من الذخائر . وليس به تاريخ البتة ولا اسم ناسخه ولا فيه مقدمة . بل يستمر في عبارته كما سترى . وهذا يدل على كونه تابعا لما قبله . يبتدىء بعد البسملة (ليس الا) هكذا :

وعن الشرفي عن محمد بن خالد بن عبد الله القسري قال كنت مع مروان بن محمد فهدم ناحية من تدمر فاذا اساس الحائط رخام طويل فاجتمع قوم فقلبوا الطبق وظن مروان أن فيه كنزاً الخ » ويداوم على هذا النمط في حكاياته عن المدن الغامرة وما نقلته الرواة عن المقابر القديمة التي تشبه قبور الفراعنة . وقد يذكر عدة بلدان وقصور كانت مشيدة عامرة وبعدها خربت مثل « ناعط » و « غمدان » و « قصر الذيل » و « قصر سحرار » و « بينون » و « ظفار » الخ ويصف كلا منها ويستشهد بأبيات قيلت في حقها مثل :

وقد كان بينون عزٌ وسؤدد
وفي ناعطٍ ملكٌ قديمٌ ومفخرُ

ومثل :

وأسأل بينون وحيطانها
قد نطقت بالدر والجوهر

(ارى الشطر الاول هكذا غير مستقيم الوزن ولعل هذا من النساخ)

ومثل :

أبعد غمدان لا عينٌ ولا أثرٌ
أبعد بينون يبني الناس بنيانا

وتجد المؤلف بعد نقله لبعض الاخبار المبالغ فيها ينتقد ذلك الكلام ويرجع لتحليل الاشياء وتحكيم العقل والذوق السليم فيها على طريقة ابن خلدون المعلومة . وفي الكتاب عدة قصائد مطولة واشعار بعضها متينة الاسلوب والبناء ويوجد كثير من روايات وأشعار وقصائد رجل يقال له علقمة بن ذي الأحدب الاصفر ونسبه هكذا : (من ولد علقمة ذي الاحدب الاكبر بن الحارث بن زيد بن الغوث بن سعد

ابن شرحبيل بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة بن سبأ الحميري) .

وأهم هذه القصائد مرثية يقال انها احدى المراثي السبع . منها :

لكل حبيب ما انحنى مضطجع
والموت لا ينفع فيه الجزع
والنفس لا يحزنك اتلافها
ليس لها من يومها مرتجع
والموت ليس له دافع
اذا حميم عن حميم دفع

(أوزان مختلفة) وقد تكلم الهمداني عن كتابات موجودة بالخط الحميري وذكر حروف المسند ورسم أشكالها . وبحثه مفيد جداً . ونسخ صورة كتابة وجدت بجامع صنعاء بهذا الخط .

والكتاب يتم وفي آخره قصيدة طويلة جداً للقاضي العالم علي بن احمد العوسجي الحياري . وهي تسمى بذات الاصول جواباً للامير عز الدين محمد بن امير المؤمنين المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان رحمه الله تعالى . أولها :

نفى طيبَ النوم الاسى المتأوبُ
ووجد "مقيم" في الحشى ليس يذهب
عشية ودّعت الاحبة للنوى
وبانوا وحبات القلوب تأوّبُ

وآخرها :

حميتُ به أحساب قومي ولم أزل
أدافع عن اعراضهم وأذبّب
اذا امتهنت اعراض قوم اذلةٍ
فاني عليهم مُشفق" متحدّبُ
ومازال من قومي عروش" مصونة"
وبكر" تبذ ء القائلين وثيبُ
اذا رويت كادت من الغيظ انفس"
تغص وكاد الحلم عنهن يعزب

وقد تجد التنقيط ناقصاً في أكثر الكتاب . وتجد غلطات من الناسخ .

وبعد هذه القصيدة يتم الكتاب بجملة « تم هذا الكتاب » وليس هناك تاريخ ولا شيء آخر كما ذكرت لك آنفاً .

ثم اني مشيت الى مكتبة المرحوم علي أميري افندي لأطلع على النسخة التي هناك من الاكليل وأعرف هل هي عين هذه ام لا فقال لي خازنها انه يعلم وجود كتاب الاكليل بها ولكن فيرست الكتب العربية أرسلت الى المجلد ولا تعود الا بعد اسبوع والخازن لا يمكنه ان يهتدي الى الكتاب الا بعد الاطلاع على النمرة. وأفادني ايضا أنه سمع من المرحوم علي اميري أفندي ان لهذا الكتاب أجزاء أخرى في اليمن وقد اجتهد في اقتنائها فلم يوفق .

سأرجع بعد اسبوع للاطلاع عليه ان شاء الله وأفيدك » . انتهى كلام السيد خالد القرقني .

قلت فأما كتاب « صفة جزيرة العرب » للمؤلف المذكور فلم نطلع منه الا على الجزء الثاني مطبوعاً في مدينة « ليدن » بمطبعة بريل سنة ١٨٨٤ وليست لهذا الجزء مقدمة بل أوله هكذا : بعد البسملة : « معرفة أفضل البلاد المعمورة . أفضل البلاد المعمورة . أفضل البلاد المعمورة من شق الارض الشمالي الى الجزيرة الكبرى وهي الجزيرة التي يسميها بطليموس مارُوي تقطع على أربعة

أقاليم من عمران الشمال الى الخامس فجنوبيها اليمن وشماليها الشام وغربيها شرم أيلة وما طردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر وشرقيها عمان الى البحرين وكاظمة والبصرة وموسطها الحجاز وارض نجد والعروض وتسمى جزيرة العرب لان اللسان العربي في كلها شائع وان تفاضل الخ » • وفي آخر الجزء المذكور أرجوزة عن طريق الحج من اليمن الى مكة يسردها وبتمامها يتم الكتاب ويقول : كملت الارجوزة وكمل بكمالها كتاب جزيرة العرب والحمد لله رب العالمين وصلواته على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الطاهرين وسلام » ولا تاريخ ولا شيء يشبهه • ثم يذكر المعلم داود هنريك موللير أستاذ الالسن الشرقية في دار الفنون في مدينة وِينا انه طبع هذا الكتاب وتم طبعه في سلخ شهر أيار سنة ١٨٨٤ •

وسننقل من «صفة جزيرة العرب» للهمداني بعض شواهد الى رحلتنا الحجازية المسماة « بالارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى أقدس مطاف» ولكننا نجد معلوماتنا عن الهمداني هذا وكتبه قاصرة • فهل يفيدنا الاخ الاستاذ احمد زكي باشا في هذا الموضوع ما تشفي به الغليل ؟ فان تفضل بشيء فهي عادته •

لوزان :

شكيب ارسلان

عضو المجمع العلمي العربي

(المجمع) بعد ورود الرسالة المنشورة اعلاه جاء من صاحبها الأمير الكتاب الآتي نصه :

سهوت في رسالتي الماضية الى هذه المجلة عن ان انشر ما كتبه اليَّ حضرة الشريف علي بن عمر من استانبول جواباً على سؤالي اياه بشأن كتاب الاكليل للهمداني فها أنا ذا الآن فاعل ان شاء الله •

قال بعد الترجمة :

فاما استفساركم عن كتاب الاكليل للهمداني فالذي كنت رأيته وأخبرتكم به هو المجلد الثامن من الاكليل للهمداني وهذا الكتاب الآن نقلوه من مكتبة بايزيد العمومية الى مكتبة دار الفنون ونسخة أخرى من المجلد بعينه موجودة في مكتبة المرحوم علي أميري أفندي في الاستانة ونسخة أخرى في مكتبة برلين عندكم ونسخة في ايتاليا بين كتب غريفيني ولعل التي هناك نسخة تامة جامعة لسائر الاجزاء لولوع الطاليان بكتب اليمن كما يسمع •

هذا ما عندنا من العلم بهذا الشأن فالسلام في البدء والختام انتهى •

وفي اول مرة أذهب فيها الى برلين سأفحص عن الكتاب في خزانة كتبها كما أني في اول مرة اذهب فيها الى رومة سأسأل عن كتب غربفيني هذا لعل اليد تظفر بكتاب الاكليل كاملا • وقد كتبت الى العلامة الشريف عبد الرحمن بن زيدان نقيب العائلة السلطانية بمكناس أسأله هل يعلمون شيئاً عن هذا الكتاب في المغرب لان الشريف المشار اليه من العلماء المحققين وعنده خزانة كتب نادرة المثال وسنرى ما يكون من جوابه •

لوزان :

شكيب أرسلان

خاتمة

لقد تم اختيار الملحقين السابقين لغرضين أساسيين :

اولهما : نقل الصورة التيأدركها بعض القدماء عن أبي محمد الحسن الهمداني ٠

وثانيهما : اظهار اهتمام المعاصرين العرب في الربع الأول من هذا القرن ، أو بعده بسنوات قليلة ٠

فجاءت ترجمة القفطي أكثر شمولا من المادة المتفرقة التي أوردها القاضي صاعد الأندلسي في « طبقات الامم » ، وأكثر وضوحا من ترجمة ياقوت التي وردت في « معجم الأدباء » ولعلها أخيرا : أظهرت بعضا من القضايا الغامضة المرتبطة بالهمداني ومؤلفاته وعلى وجه الخصوص : بعض الكتب المفقودة ٠

وأما مقالة الامير شكيب ارسلان فانها تعكس ادراك المعاصرين لأهمية كتب الهمداني ، فجاءت مقالته معبأة بحرارة انسانية نادرة، أضاءت أمامنا دروبالبحث من جديد عن المفقود من كتب الهمداني في مكتبات وخزائن تركيا وايطاليا وغيرهما ٠ ولولا الخوف من اتساع حجم هذا الملف عن صاحب الاكليل لأعدنا نشر مقالين هامين للشيخ حمد الجاسر ، أولهما عن الجزء العاشر ، وثانيهما عن الجوهرتين العتيقتين٠ « كلاهما نشر في مجلة المجمع قبل ثلاثين عاما ٠ »

ولأهميتهما اعتمد عليهما العلامة جواد علي في « المفصل » وعمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » والزركلي في « الأعلام » وغيرهم ٠

وعدا « النقص » الذي لازم ملاحق هذا الملف ، نعترف بأن هناك ضرورة علمية قصوى من وراء دراسة « الأثر المحتمل » لنشوان بن سعيد في الأجزاء المكتشفة من الاكليل ٠ فلقد جاءت الينا برواية نشوان ، وبلسانه أيضا قال انه « تصرف » في بعض المواضع ٠

وسيبقى أمامنا الكثير حتى نصل الى « لسان اليمن » : الجغرافي ، والنسابة ، المؤرخ ، الشاعر ، الفلكي ، الطبيب ، الآثاري ، العارف بالمعادن والجواهر والمناجم والنباتات والصخور وعلم الأرض وغيرها ٠

سيبقى الكثير حتى نكتشف علوم ومؤلفات الرجل الذي أحب اليمن وحضارتها حبا فوق تصوراتنا للوله والتدله ٠

رحم الله ابا محمد ذلك العالم العاشق الذي اكتشف فثار فيه حب ذاكرة العرب الأولى : اليمن ٠

—*—

حول تاريخ الفلك في العصر الوسيط في اليمن*

● د. دافيد كنج

● كان علماء الفلك في العالم الاسلامي من القرن الثاني الهجري الى القرن العاشر الهجري من ابرز علماء الفلك في عصرهم . ففي خلال هذه القرون الثمانية قام علماء الفلك من المسلمين بأرصاد جديدة ووضعوا الجداول وابتكروا الاجهزة الجديدة . وبوجه عام فقد حققوا تقدما في كل ناحية من نواحي ذلك العلم الذي كان محلا لاهتمامهم .

ولقد انتقل جزء صغير جدا من اعمالهم وانجازاتهم الى أوربا في العصور الوسطى بينما ظل الجزء الباقي وهو الجزء الغالب دون ان ينتقل الى خارج العالم الاسلامي . وهذه الاعمال القليلة التي وضعها الفلكيون المسلمون والتي عرفتها اوربا في العصور الوسطى هي الان معروفة الى حد ما لدى مؤرخي العلوم ، ولكنها لاتمثل بحال ما انجازات المسلمين في الفلك .

ان العدد الضخم للاعمال الفلكية الاسلامية والتي لم تكن معروفة في اوربا خلال العصور الوسطى ، انما تعكس في الحقيقة الانجازات القيمة التي حققها هؤلاء الفلكيون ، وهي الان معروفة فقط عن طريق الدراسات الحديثة للمخطوطات .

وتحتفظ المكتبات الكبرى في العالم العربي بمجموعات ضخمة من المخطوطات العربية العلمية ، ومعظمها لم تمتد اليه يد الدراسة في الازمنة الحديثة . وأكبر هذه المجموعات ، وهي حاليا موجودة في اسطنبول وفي القاهرة ، تحتوي على الآلاف العديدة من المخطوطات العلمية . وهذه المصادر الثمينة لم يجر تبويبها تبويبا مناسبا بعد .

ولقد لاحظنا وجود بعض الاختلافات بين النصين الانجليزي والعربي الا انها ظلت شكلية . وتشكر - الاكليل - الدكتور كنج على رسالته التي ضمت النص الانجليزي المذكور والى جانبه دراسة هامة عن الفلكي اليمني : ابي العقول ، ستنشر في العدد القادم .

وكل ماوضع بشأنها لايتعدى ان يكون قوائم بأسماء المخطوطات واسماء مؤلفيها ، كما ان كثيرا من هذه المخطوطات جاء ذكر بيانها على أنها مثلا « مقالة في علم الفلك » او « جداول فلكية » دون ذكر أية معلومات اخرى عنها . وعملي في القاهرة حاليا كمدير مشروع مؤسسة سيتسونيان الامريكية في تاريخ علم الفلك الاسلامي يتضمن اجراء حصر أولي للمجموعة الضخمة من المخطوطات

★ تنشر المجلة ، النص العربي الحرفي للمحاضرة كما اعتمدها د. كنج والقاها باللغة العربية بتاريخ ٤-١٠-١٩٧٤ في جامعة صنعاء . ورغم ان الاستاذ الحبشي قد وضع عليها استداركا اثبتناه أيضا في المجلة ، الا ان المحاضرة لم تنشر منذ حينه .

وهناك اختلافات شكلية بين النصين العربي والانجليزي كما سيلاحظ القارىء للنصين في هذا العدد . وتشكر المجلة الرسالة الكريمة التي وجهها الاستاذ كنج الى رئيس التحرير ، والتي ضمت النص الانجليزي للمحاضرة المذكورة ، ودراسة اخرى هامة عن ابي العقول : الفلكي اليمني الذي يعود الى الاستاذ كنج الفضل في اكتشافه .

وستنشر في العدد القادم ، بعد ترجمتها الى العربية .

العلمية المحفوظة في القاهرة ، ولاسباب سأوضحها في سياق كلمتي هذه فاني مهتم بنوع خاص في المجموعات المحفوظة في مكتبات صنعاء وتعز ايضا ٠

وتشتمل المكتبات الكبرى في اوربا ايضا على المئات من المخطوطات العربية في علم الفلك ٠ وقد نشر لكثير من هذه المكتبات فهارس دقيقة ، ووضع مؤرخو العلوم دراساتهم وأسسوها بصفة رئيسية على المخطوطات العربية الكائنة في المكتبات الاوربية فيما يتعلق بتاريخ علم الفلك في العصور الاسلامية ٠ ومن الواضح تماما انه انه اذا امكن دراسة المجموعات الموجودة في اسطنبول والقاهرة ومكة ومشهد وفي اليمن، فان الصورة التي لدينا عن انجازات العلماء المسلمين ستتحسن الى مدى بعيد ٠

وأود ان اذكر هنا اسمين لعالمين اضافت بحوثهما الكثير من المعلومات التي لدينا عن علم الفلك الاسلامي ٠ اول هذين العالمين هو مؤرخ العلوم السويسري هاينريخ سوتر ٠ ففي عام ١٩٠٠ قام سوتر بوضع قائمة لجميع علماء الفلك والرياضيات من المسلمين وكذلك اعمالهم ٠ كما انه اضاف الى هذا بيانات لجميع مخطوطات اعمالهم مما كان معروفا لديه ٠ وتضمنت قائمته ما يزيد على خمسمائة اسم ٠ وقد سئل مرة عن السبب في أنه لم يضع كتابا عن تاريخ علم الفلك الاسلامي ولكنه ادرك ان معظم الاعمال التي وضع قائمة بها لم تجر بشأنها اية دراسات في العصور الحديثة ٠ والعالم الثاني هو المؤرخ الامريكي ادوار كنيدي ، ففي عام ١٩٥٠ قام كنيدي بوضع قائمة لجميع المؤلفات الفلكية الاسلامية المعروفة باسم « الزيج » (جمعها أزياج) ٠ والزيج كتاب يتضمن جداول لتحديد مواقع الكواكب ولحساب الكسوفات والاقترانات ولحل مشاكل فلكية اخرى ٠ ومعظم الازياج هي جداول كبيرة تشتمل احيانا على مئات عديدة من الصفحات ٠٠ ولقد نشر منها ثلاثة ازياج فقط ، وهي أزياج العلماء الثلاثة المشهورين :الخوارزمي، والبتاني ، والبيروني ٠ غير أن قائمة الازياج الاسلامية التي وضعها كنيدي تضمنت ١٢٠ زيجا ، كما استطاع كنيدي أن يحدد مكان العشرات من هذه الازياج في مكتبات المخطوطات حول العالم ، رغم ان العديد منها كان قد فقد بدون أمل في العثور عليها٠

وقد بدأت دراساتي في علم الفلك الاسلامي ببحوث في مختلف الازياج ٠ بيد أنني منذ خمس سنوات مضت اكتشفت مخطوطا عربيا في دبلن - ايرلانده ، يحتوي على مجموعة من الجداول في علم الميقات وكانت هناك مائتا صفحة تقريبا من هذه الجداول تتضمن مايربو على ٣٠٠٠٠ قيد - أعني رقما - وجميع هذه الجداول كانت محتسبة للقاهرة وكانت تهدف الى حساب الوقت من ارتفاع الشمس وتنظيم مواقيت الصلاة ، ولم نكن نعرف قبل ذلك ان الفلكيين المسلمين كانوا قد وضعوا جداول مماثلة محتسبة لكل من دمشق والقدس وتونس وبغداد واسطنبول ، واخيرا وليس بآخر لمدينة تعز٠

ويوجد فعلا الآلاف من المخطوطات لدراسة علم الفلك الاسلامي وهي مخطوطات الازياج، وجداول للميقات ، وقوائم لمواضع الكواكب، ومقالات عن الاجهزة الفلكية وغيرها عن موضوعات فلكية اخرى ، مثل رؤية الهلال في غرة الشهر العربي ٠

وأعود الآن الى الموضوع الرئيسي في محاضرتي هذه ألا وهو تاريخ علم الفلك في اليمن • وأود أولا أن أذكر أنني لن أهتم في حديثي هذا بالفولكلور الفلكي ، ولكن بعلم الفلك الرياضي فقط • وكما تعلمون دون شك ، فان أوائل الثقافات التي ظهرت في جنوب الجزيرة العربية اهتمت كثيرا بالفولكلور الفلكي ، وكذلك بفصول السنة المتغيرة وبحركة الكواكب اثناء الليل • وقد استمر ربط الدورات الزراعية بالفلك حتى يومنا هذا كما ترون مثلا في تقويم الجيل الجديد المنشور سنويا في صنعاء • وما أود الحديث عنه انما ينصب على علم الفلك الرياضي في اليمن وهو الذي كان أكثر تعقيدا من مجرد الفولكلور الفلكي والذي تم اكتشافه خلال السنوات القليلة الماضية فقط ، وهذا من بحوث جرت على مخطوطات يمنية محفوظة في أوربا • ومن الاسباب الرئيسية لزيارتي هنا هو اعتقادي بأنه سيمكن لنا الحصول من المخطوطات المحفوظة في اليمن على صورة اكثر وضوحا لاجتهادات وأنشطة علماء الفلك في اليمن•

وأول عالم فلكي يمني ينبغي ذكره هنا هو العالم الحسن بن احمد الهمداني صاحب كتابي الاكليل وصفة الجزيرة العربية والذي عاش في القرن الرابع الهجري وقام الهمداني بوضع زيج عم استخدامه في اليمن • على أن الزيج الذي وضعه لم يعد موجودا الآن• كذلك فاننا لانعرف بوجود أي فلكي يمني آخر يكون قد ظهر فيما بين القرن الرابع الى القرن السادس الهجري ، على انه فيما بين القرنين السابع والثامن الهجري أي خلال ايام بني الرسول كانت هناك أنشطة كبيرة في علم الفلك في اليمن•

ومن علماء الفلك اليمنيين الذين ظهروا في منتصف القرن السابع الهجري العالم محمد ابن أبي بكر الفارسي – وبناء على ماذكره الخزرجي، فان الفارسي ولد في عدن ، وكان من أهم أعماله زيج كبير يشتمل على جداول للكواكب وغيرها من الجداول الفلكية محسوبة خصيصا لعرض مدينة صنعاء – وقد أهدى الفارسي زيجه الى السلطان المظفر يوسف ابن عمر ، وأسماه بالزيج المظفري • وتحتفظ مكتبة جامعة كمبريدج بمخطوط لهذا الزيج ، وكما تشير ملحوظة مدونة على غلافه الخارجي ، فان هذا المخطوط تم شراؤه في المخاء عام ١٦٣٩ مقابل ٢٠٠ ريال ، وقد أجريت أول دراسة عليه عام ١٨٢٠ عندما نشر البروفسير (صمويل لي) وصفا مختصرا له • وفي السنوات القليلة الماضية استطعت أن أعثر على نسخة أخرى من هذا الزيج في المكتبة الظاهرية في دمشق –★

★ **ملاحظة من المحرر :**

● يذكر هنا الدكتور كنج انه عثر على « الزيج المظفري » ، ولم يشر الى ان المخطوطة اليمنية الوحيدة في الفلك في المكتبة الظاهرية لا تحمل هذا العنوان . وانما تحمل العنوان التالي :

« الزيج المجموع لطول صنعاء اليمن »

● ووصف المخطوطة مبسوط في كتاب « فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية — علم الهيئة وملحقاته » ، قام بوضعه عام ١٩٦٩ الاستاذ ابراهيم خوري . من اصدار مجمع اللغة العربية بدمشق .

● وبعد عنوان المخطوطة الظاهرية ، تشير الصفحة ٧٨ من كتاب الاستاذ خوري الى ان مؤلف « الزيج المجموع ... » مجهول او غير مذكور .

ولا ينطبق وصف الدكتور كنج في محاضرته الا على هذه المخطوطة دون غيرها .

وتوجد نسخة ثالثة منه أيضا في مكتبة القاضي اسماعيل الاكوع ونسخة رابعة منه في مكتبة الجامع المقدس في صنعاء · واقوم حاليا بوضع تحليل مفصل لهذا الزيج· ويوجد في المخطوط الدمشقي جداول اخرى من وضع فلكي يمني يدعى- اسماعيل بن عطية النجراني -ويبدو ان هذا الفلكي قام بأرصاد مستقلة كما أعد زيجا من وضعه هو·

وهناك في المتحف البريطاني في لندن مخطوط عربي جميل يسمى بالزيج المختار من الازياج · وكما يذكر فهرس المتحف فان هذا العمل قد تم تجميعه في القاهرة ، بيد أن في ذلك خطأ · ففي الواقع تم جمع هذا الزيج في مدينة تعز بمعرفة فلكي يمني يدعى محمد بن أحمد ، الشهيربأبي العقول· وكان هذا الفلكي يعمل عند السلطان المؤيد داود بن يوسف في اواخر القرن السابع الهجري ، وزيج المختار أكبر بكثير من الزيج المظفري ، وهو ذو أهمية خاصة لتاريخ علم الفلك ، نظرا لاحتوائه على الكثير مما جاء في زيج مصري يسمى بالزيج الحاكمي من وضع الفلكي الفاطمي ابن يونس المصري· وقد أمكن استخدام زيج المختار لاستعادة المفقود من الزيج الفاطمي · وهو أيضا ذو أهمية لان أبا العقول قدم جدال جديدة محسوبة لعروض عدن وتعز وزبيد وصنعاء·

وهناك أيضا مخطوط محفوظ في مكتبة القاضي اسماعيل الاكوع في صنعاء يتضمن مجموعة من الرسائل عن موضوعات مختلفة من بينها موضوعات مختصة بعلم الفلك· ومؤلف بعض الرسائل الفلكية هو السلطان الافضل العباس بن علي وهذا في حوالي عام ٧٧٥ هجرية · ويبدو ان السلطان نفسه هو الذي جمع الكثير من الجداول الفلكية التي يحتويها هذا المخطوط النفيس · وهناك جداول فلكية منسوبة الى عالم فلكي مصري سابق يدعى ابن يونس ، واخرى منسوبة الى الفلكي المغربي الاسبق ابي علي المراكشي وغيرها كذلك منسوبة الى أبي العقول ·ومن الواضح ان السلطان الافضل كان مهتما للغاية في علم الفلك ، وتعد كتاباته مصدرا هاما لبحوثنا ·

وهناك كذلك في المكتبة الاهلية في باريس مخطوط لزيج ذي أهمية كبرى ، وضعه فلكي يمني مجهول ، في تعز ، في اواخر القرن الثامن الهجري ، كما توجد في عدة مكتبات يمنية نسخ من زيجين أحدهما لاحمد بن عبد الله السرحي الذي عاش في أواخر القرن الحادي عشر الهجري والثاني لاخيه عبد الله بن عبد الله السرحي المعروف بالمثنى ولم أعرف شيئا عن وجود هذين الزيجين قبل وصولي الى صنعاء منذ اسبوعين · وأود هنا أن أشكر السيد القاضي علي محمد الشرفي الذي كان قد ساعدني كثيرا في بحوثي عن المخطوطات المحفوظة في صنعاء والذي عرفني بهذين الزيجين·

وهكذا يصبح لدينا الآن ستة أزياج يمنية مختلفة وهي : الزيج المفقود للهمداني ، والزيج المختار لابي العقول ، والزيج المظفري للفارسي ، والزيج المجهول المؤلف ،والمحفوظ في باريس ، وزيج السرحي وزيج أخيه المثنى السرحي · ولن يدهشني اذا تسنى اكتشاف نسخ أخرى من هذه الازياج في مكتبات صنعاء وتعز - أو حتى نسخ من أزياج يمنية أخرى لانعلم شيئا عنها بعد·

وقد أشرت في مقدمة حديثي هذا الى علم الميقات ، وهو علم تحديد الزمن من خلال ارتفاعات الشمس نهارا وحركة الكواكب ليلا ، كما أنه يهتم بتوقيت الصلاة • وقد ذكرت انه أمكن لنا منذ خمس سنوات مضت اكتشاف مجموعة كبيرة من جداول علم الميقات محتسبة لخط عرض القاهرة • وخلال دراستي لهذه الجداول المصرية في مكتبة « امبروزيانا » في ميلانو عثرت على مخطوط وثيق وجدت فيه ان الجداول لم تكن محسوبة لعرض القاهرة بل كانت محسوبة لخط عرض مدينة تعز ويشتمل هذا المخطوط على قليل من الصفحات المتضمنة لجداول - ومن الواضح انه كان يمثل جزءا فقط من مؤلف أكبر بكثير مما عثرنا عليه• وقد تم اكتشاف نسخة كاملة من هذا المؤلف في العا م الماضي فقط في المكتبة الاهلية في برلين • وأما حاسب هذه الجداول فهو الفلكي اليمني ابو العقول صاحب الزيج المختار الذي ذكرت من قبل • وجداول هذه النسخة اكثر شمولا من الجداول التي كانت تستخدم في القاهرة وفي دمشق وفي غيرها من مراكز علم الفلك الاسلامي • وهي في الواقع تتضمن ما يزيد على مائتي صفحة مليئة بالجداول وتحتوي على حوالي ٨٠٫٠٠٠ قيد • هذه الجداول الميقاتية تدل على قدر كبير من استقلال الفكر والمبادرة العلمية لدى ابي العقول • ويسرني أن أخبركم بأنني بعد اكتشاف جداول أبي العقول قدمت اسم هذا العالم اليمني الى اللجنة التابعة للاتحاد الفلكي الدولي المختصة باعطاء التسميات لتضاريس سطح القمر★ •

وقد ضمن ابو العقول جداوله الميقاتية بعض المعلومات عن فصول السنة والفصول الزراعية • وقد استخرج هذه المعلومات ودونها في رسالة مستقلة اسماها باليواقيت في المواقيت ، وهي حتى الان موجودة في عدة مخطوطات • وهناك مؤلف آخر يشتمل على مجموعة اخرى من الجداول لتوقيت الصلاة عند خط عرض اليمن ، من وضع محمد بن عبد اللطيف الثابتي ، وهو سوري الاصل• وكان من اهالي زبيد في منتصف القرن الحادي عشر الهجري • وقد اقتبس علماء فلكيون آخرون بعضا من جداوله فيما بعد ويستخدم اهالي حضرموت حتى الان التقويم المسمى بالحساب الشامي ، المقتبس من الثابتي •

ان صورة تاريخ الفلك في اليمن كما حاولت وصفها هنا الآن هي صورة غير كاملة فهناك الكثير من البحوث التي ينبغي اجراؤها على المخطوطات اليمنية المحفوظة في اوروبا ، وعلى الاخص المخطوطات الفلكية المحفوظة في مكتبات اليمن . وبعد هذه البحوث سيمكن لنا وضع صورة أكثر وضوحا ، ليس فقط عن الفولكلور الذي استمر في اليمن حتى الآن ، وكان قد ظهر في أسبق العصور ، ولكن أيضا عن علم الفلك الرياضي الذي كان فلكيو بني الرسول يمارسونه هنا . وثبت لنا من المخطوطات التي امكن اكتشافها حتى الآن أن اليمن في أيام بني الرسول نافست عواصم أخرى مثل القاهرة ودمشق كمركز بارز لعلم الفلك في العالم الاسلامي .

★ لم يعتمد الاسم كما علمت الاكليل

تعقيب على محاضرة الدكتور دافيد كنج

● بقلم : عبد الله الحبشي

مؤلفات أهل اليمن في علم الفلك*

كان الاتجاه السائد الذي شمل المكتبة اليمنية عبر عصورها الاسلامية هو الطابع الفقهي الديني الذي أتى بضرورات اجتماعية ملحة . والذين خرجوا عن هذا المنطلق هم فئة قليلة نبغوا فيما بعد القرن السابع وكانت لهم اهتمامات في علوم مختلفة كالفلسفة والتاريخ والادب والعلوم التجريبية .. كالطب والهندسة والحساب والفلك والزراعة وغيرها . الا ان هذا القسم هو أضعف نصيبا من المؤلفات مما حظيت به سائر فروع العلوم الاخرى وذلك لاقتناع أهل اليمن التام بتلك المنجزات العلمية الرائعة التي حققتها الحضارة الاسلامية في بغداد والشام والاندلس ، وكل ما أتى به أهل اليمن في هذا المضمار لايعدو تكملة بسيطة ليست لها قيمة علمية قصوى . وباستثناء اعمال الفلكي اليمني « أبو العقول » فان بقية الذين نبغوا في علم الفلك من أهله ليسوا سوى ناقلين وشارحين.

وأراني أجد العمل في هذا الفرع من فروع الثقافة اليمنية في عصرها الاسلامي نوعا من التحصيل الذي لايجدي كثيرا . لولا اني وجدت مستشرقا أمريكيا هو الدكتور دافيد كنج ينبش الموضوع من أصوله ويقوم بدراسة مختصرة تعتبر الاولى من نوعها حول هذا الموضوع عرض فيها لستة من علماء الفلك في اليمن هم اصحاب الارقام ٥ و ٨ و ١٠ و ١٥ و ١٦ من عملي هذا .

ومع مافي دراسة الاستاذ كنج « التي هي عبارة عن محاضرة ألقاها في جامعة صنعاء» من جدة وابتكار الا أني وجدت الاستاذ لم يستكمل كل أعلام الفلك اليمنيين.

هذا مما دفعني الى استكمال دراسة وضع وتصنيف شامل لكل من كتب في علم الفلك سواء كان عمله من النوع الحسابي او من نوع الفولكلور الفلكي ـ كما يقول الاستاذ كنج . وقد استقيت هذا العمل اساسا من مؤلفي الكبير « تاريخ التراث اليمني »★ ، الذي نشرت منه بعض الحلقات

ولتكن محاولتي هذه نبراسا يقتبس منه كل من يريد التوسع في علم الفلك لعله يخرج بأسماء جدد غير الذين ذكرتهم هنا :ـ

★ اجرى الاستاذ عبد الله الحبشي التصحيح اللازم والهام للاخطاء المطبعية وغيرها ، في المقالة المنشورة في اليمن الجديد ١٥/ ابريل ـ نيسان ١٩٧٥ ، العدد السابع ، السنة الثالثة، صفحة ٤٧ ومابعدها ـ التحرير .

★ صدر هذا الكتاب الهام عن مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ بصنعاء بعنوان « مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن » .

١ ــ لسان اليمن ابو محمد

الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني

ولد في صنعاء سنة ٢٨٠ هـ من فطاحلة علماء اليمن ٠ حقق في سائر العلوم ٠ رحل الى مكة ويقال انه سار الى العراق واجتمع بعلماء وكان عارفا بخط المسند توفي بعد سنة ٣٦٠ هـ كما حققه العلامة حمد الجاسر٠

« مصادر ترجمته: القاضي صاعد٠طبقات الامم ص ٥٨ ياقوت معجم البلدان ج ٧ ص ٣٢٠ القفطي : تاريخ الحكماء ص ١٦٣ الفيروزابادي : البلغة في تراجم أئمة اللغة ص ٧٠ الخزرجي طراز اعلام الزمن مخطوط٠ ابن أبي الرجال مطلع البدور مخطوط وغيرها٠

ــ له الزيج « والزيج عبارة عن جداول توضع للايام والشهور » يقول كنج « والهمداني اول عالم فلكي يمني ولانعرف بوجود أي فلكي يمني آخر يكون قد ظهر فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين، على أن الزيج الذي وضعه الهمداني لم يعد موجودا الان ٠ ولعل اقدم من اشار اليه هو القفطي في تاريخ الحكماء ص ١١٣ ٠٠ وقد عاش القفطي في القرن السابع ٠

٢ ــ البحر النعامي

من آل ذي نعامة من حمير سكن صنعاء وحقق المؤرخ المعاصر محمد بن علي الاكوع حياته بأنه عاش في القرن الخامس : أنظر هامش صفة جزيرة العرب ص ١٥٥ ٠

ــ له قصيدة يائية في ذكر الشهور والكروم ومايصلح لفصول السنة منها نسخة مخطوطة سنة ٦٢٦ هـ بمكتبة العلامة مشرف بن علي في تعز ٠

٣ ــ نشوان بن سعيد بن سلامة الحميري

من العلماء ذوي المعارف المتعددة اهتم بالدراسات التاريخية ٠ يقول ياقوت انه تملك واستولى على عدة قلاع ٠ توفي سنة ٥٧٣ هـ ٠

مصادر ترجمته : عمارة المفيد ٣٢٠ ٠ ياقوت:معجم الادباء ج١٩ص٢١٧ ٠ القفطي: انباه الرواة : ج٣ ص ٣٤٢ الفيروزابادي : البلغة ص ٢٧٣ ٠ ابن أبي الرجال : مطلع البدور « استطراد » يحيى بن الحسين طبقات الزيدية ٠ الزحيف : شرح البسامة سترسيتن في المنتقى من أعمال المستشرقين ص ٧٥ و ٨٣ وغيرهما ٠٠

ــ له ارجوزة في معرفة الشهور الرومية ــ منه نسخة مخطوطة في ٥ ورقات بمكتبة الامبروزيانا بايطاليا برقم ١٣ ٠

٤ ــ ابو اسحاق ابراهيم

ابن علي بن محمد بن منصور بن المبردع

الاصبحي الجندي

من علماء اليمن برع في النحو والحساب والفلك وحقق الجندي وفاته في بضع وستين وستمائة ٠

« مصادر ترجمته : الجندي : السلوك في طبقات العلماء والملوك ، مخطوط ٠الخزرجي: طراز أعلام الزمن، مخطوط »٠

ــ له اليواقيت في المواقيت يصفه الجندي بقوله : « كتاب جليل في فنه يتداوله اهل اليمن » منه نسخة مخطوطة سنة٧٤٦ هـ في أربعين ورقة بمكتبة الجامع بصنعاء برقم ٣٤ فلك ٠

٥ ـ ابو عبد الله محمد ابن أبي بكر بن محمد الفارسي

أصله من أهل فارس ارتحل والده الى اليمن وبها ولد ابنه هذا فتلقى العلم على جلة الاساتذة في ذلك الوقت وكان أكثر تخصصه في علم الفلك والموسيقى والطب. توفي في سنة ٦٧٧هـ « مصادر ترجمته الخزرجي في طراز اعلام الزمن والعقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٠٤ . والاهدل : تحفة الزمن بذكر سادات اليمن مخطوط » .

ـ الزيج المظفري أو الزيج الممتحن . ألفه للسلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي يصفه كنج بقوله : « وهو من اهم اعماله يشتمل على جداول للكواكب وغيرها من الجداول الفلكية محسوبا خصيصا لعرض مدينة صنعاء » منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٠١ هـ في ٢٧ ورقة بمكتبة الجامع الكتب المصادرة برقم ٦ فلك .

ونسخة اخرى بمكتبة جامعة كمبردج ، ويقوم حاليا الاستاذ كنج بوضع دراسة مفصلة عن هذا الزيج .

٦ ـ الملك المظفر يوسف بن علي الرسولي

ثاني ملوك بني رسول ولد سنة ٦١٩ هـ وحكم اليمن سنة ٦٤٧ هـ ومكث في الحكم مايزيد على خمسين سنة شغل أكثرها في العمران ، توفي سنة ٦٩٤ هـ . مصادر ترجمته : ابن عبد الباقي : بهجة الزمن ص ٨٨ . الخزرجي : العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٨ـ٢٨٤ . الفاسي : العقدالثمينج٧ص٤٨٨ ومصادر اخرى لامجال لذكرها هنا .

ـ له تيسير المطالب في تسيير الكواكب (انفرد بذكره مؤلف كشف الظنون) وفي مكتبة الجامع (الكتب المصادرة) ـ كتاب مجهول المؤلف بعنوان المطالب بتسيير النيرين وحركات الكواكب ضمن مجموعة برقم ٥٢ لعله نفس كتابنا هذا .

٧ ـ مجهول :

من علماء اليمن عاش بعد سنة ٨٠٧ هـ

ـ له تقويم الكواكب السبعة السيارة صدّره بمقدمة في ٥٧ صفحة في تاريخ بني رسول وسائر ملوك اليمن الى سنة ٨٠٧ هـ ثم تناول بعد ذلك موضوع علم الفلك . منه نسخة خطية بالمكتبة التيمورية برقم ٢٧٤ رياضيات .

٨ ـ ابو العقول :

هو محمد بن احمد الشهير بأبي العقول عمل في بلاط السلطان المؤيد داود بن علي الرسولي في القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الهجري .

ـ له الزيج المختار من الازياج « أنظر دراسة عن هذا الزيج وأهميته العلمية في محاضرة الدكتور دافيد كنج بجامعة صنعاء .

٩ ـ عبد الله بن اسعد اليافعي

ولد في عدن سنة ٦٩٨ هـ وحج الى مكة ثم عاد الى عدن في سنة ٧١٨ هـ رجع اليها مرة ثانية وانتشر صيته ووصفه ابن بطوطة في رحلته وكان من اساطين الصوفية واشتهر بسلامة النية . مصادر ترجمته : الفارسي. العقد الثمين ج ٥ ص١٠٤ . السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٠٣ . ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ج٢ ص ٢٧٤ . الخزرجي : طراز اعلام الزمن مخطوط .

الشرجي : طبقات الخواص ص٦٧ بامخرمة: تاريخ ثغر عدن ج ٢ ص ١٠٩ « ولآحد تلامذته كتاب في ترجمته ، انظر مؤلفنا : مراجع تاريخ اليمن ص ٢٨٨ » ـ طبعة دمشق٠

ـ له أرجوزة في معرفة الشهور الرومية ـ منها نسخة مخطوطة ضمن مجموعة بمكتبة الامبروزيانا برقم ٢١٩ ٠

١٠ ــ اسماعيل بن احمد بن عبد الله ابن ابراهيم بن عطية النجراني :

من علماء اليمن في القرن التاسع الهجري نبغ على يديه جماعة من التلاميذ « مصادر ترجمته طبقات الزيدية : ليحيى بن الحسين وملحق البدر الطالع ص ٥٧ ٠

ـ يقول يحيى بن الحسين له رسائل في علم النجوم والزيجات ٠

وفي محاضرة كنج ورد شخص يسمى اسماعيل بن عطية النجراني الذي توجد له جداول فلكية بآخر كتاب زيج محمد بن ابي بكر الفارسي ٠ منه مخطوطة بمكتبة الظاهرية بدمشق ولعله نفس المترجم له هنا اذ ان عطية هو جده الثالث٠

١١ ــ عبد الله بن عبد الرحمن ابن ابي بكر بافضل المذحجي :

ولد في تريم من حضرموت سنة ٨٥٠ هـ وانتقل الى الشحر ثم الى عدن والحرمين٠ وفي هذه الرحلات كان يتلقى على الشيوخ الذين يلقاهم توفي سنة ٩١٨ هـ مصادر ترجمته العيدروس : النور السافر ص ٩٨ ٠

ـ له رسالة في علم الفلك ٠

١٢ ــ محمد عمر بحرق :

ولد سنة ٨٦٩ هـ وانتقل الى زبيد فتلقى العلم على علمائها وولي القضاء بالشحر من حضرموت ثم رحل الى الهند وبها توفي سنة ٨٩٣ هـ مصادر ترجمته : النور السافرص١٤٣ ٠٠ السخاوي : الضوء اللامع ج ٨ ص ٢٥٣ ٠

ـ له رسالة في علم المواقيت٠

١٣ ــ عبد الله بن عمر بن عبد الله بامخــــرمة :

ولد سنة ٩٠٧ هـ وتلقى العلم في حضرموت وزبيد وتعز والحرمين ولقب بمفتي اليمن وولي قضاء الشحر سنة ٩٤٣ هـ له مصنفات في علوم متعددة منها التاريخ والفقه والهتوف ٠ توفي سنة سنة ٩٧٢ هـ ٠ مصادر ترجمته : النور السافر ص ٢٧٨ ٠

ـ له الجداول المحققة المحررة في علم الهيئة ٠

١٤ ــ محمد بن احمد بن عز الدين ابن الحسين ابن العنز :

سمي بابن العنز لان امه ماتت فعطف الله تعالى عليه عنزا كانت عند حاجته الى اللبن تنفرد عن الغنم من المرعى ثم تستلقي حتى تمكنه من الرضاع ٠ مولده في صعده سنة ألف ٠ وكان من المشتغلين بصناعة الآلات العجيبة منها انه صنع منظارا عجيبا أبصر به من صعده الى قرية ربيع ، وهي ناحية بعيدة ٠ توفي بهجرة فلله سنة ١٠٥٣ هـ مطلع البدور : مخطوط ٠ المحبي : خلاصة الاثر ج ٣ ص ٢٧٦ ٠

له شرح منظومة الهادي عز الدين بن الحسن في معرفة المواقيت : قال ابن ابي الرجال في وصفه « تكلم فيه على مواد نافعة من علم الفلك الاسلامي وما يحققونه في الكسوف» ٠

١٥ ــ أحمد بن عبد الله السرحي :

حقق كنج عصره بأنه في القرن الحادي عشر الهجري ٠

ـ له زيج ٠

١٦ ـ عبد الله المثنى السرحي :

أخوه السابق ذكره ·

ـ له الزيج المسمى غاية اتقان الحركات للسبعة الكواكب · مخطوط سنة ١٢٠٨ هـ في ٣٠ ورقة بمكتبة الجامع ـ الكتب المصادرة · برقم ٥ فلك · واخرى برقم ١٤ هيئة وفلك بمكتبة الجامع ·

١٧ ـ هادي بن علي الصرمي :

من المحققين في العلوم التجريبية : اشتغل بدراسة الفلك والازياج والنجوم وعلم الطب · توفي بعد سنة ١١٢٨ هـ ـ الحوثي : نفحات العنبر ، مخطوط · محمد زبارة : نشر العرف ج ٢ ص ٧٧٨ ·

ـ له شمس الاوان فيما تعاقب عليه الملوان ـ في الفلك ـ ·

١٨ ـ حسين بن علي بن زيد جحاف :

ولد سنة ١٠٥٤ هـ درس في تهامة وصنعاء وتوفي في زبيد سنة ١١٢٧ هـ ·

له رسالة في علم الميقات ومداخل الشهور العربية وسنيها في الاشهر الرومية · مخطوط سنة ١١٣٢ وفي ضمن المجموعة رقم ٦٤ بمكتبة الجامع بصنعاء ·

١٩ ـ اسحاق بن علي العبدي :

عاش في القرن الثاني عشر الهجري ·

ـ له رسالة في اوائل الشهور العربية ومواقيت الأهلة ، منها نسخة مخطوطة سنة ١١٨٠ هـ مصورة بمعهد المخطوطات العربية برقم ٤١١ فلسفة ـ القاهرة ·

٢٠ ـ علي بن حسن الاكوع :

اشتغل اولا وزيرا عند المهدي عباس ثم ابنه المنصور علي · ثم نكب سنة ١١٩٣هـ وظل في السجن نحو عام ثم أطلقه واشتغل بالعبادة والطاعة وحج سنة ١١٩٦ هـ واليه تعود عمارة مسجد الحرقان بباب النهرين توفي سنة ١٢٠٣ هـ ·

ـ جحاف : درر نحور الحور العين ، مخطوط · ونيل الوطر : ج٢ ص ١٢٩ ·

ـ له الجداول المفيدة في الاشهر الرومية والعربية · منه نسخة مخطوطة بمكتبة الامبروزيانا برقم ٢٥٠ ·

٢١ ـ محمد بن احمد بن الحسين :

ولد في صنعاء سنة ١١٦٣ هـ وله عناية بعلم الادب والطب · توفي سنة ١٢١٧ هـ ·

ـ مصادر ترجمته : درر نحور الحور العين : ونيل الوطر ج ٢ ص ٢١٨ ·

ـ ألف جدولا يشمل الشهور العربية والرومية والسنين الفارسية ـ ذكره جحاف ـ ·

٢٢ ـ محمد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل :

ولد في زبيد سنة ١٢١٠ هـ وأخذ عن علماء عصره وقام بالفتوى في المسائل الفقهية توفي سنة ١٢٥٨ هـ وقيل سنة ١٢٦٠ هـ ـ نيل الوطر : ج ٢ ص ٢٨٣ ·

ـ له رفع الاشتباه في مسألة القطب والجاه · مخطوط بجامعة الرياض سنة ١٠٣٩هـ ·

٢٣ ـ يحيى بن مطهر بن اسماعيل :

ولد في صنعاء سنة ١١٩٠ هـ وكان من العلماء المحققين في علم الحديث توفي سنة ١٢٧٠ هـ ـ مصادر ترجمته : نيل الوطر ج ٢ ص ٤١١ ·

ـ له جدول مفيد في الفلك ـ ·

٢٤ ـ عفيف الدين عبد الله بن احمد الخيري الشماخي الزبيدي :

عاش في القرن الثالث عشر الهجري ٠

ـ له الجدول الثمين في معرفة مداخل السنين ٠ مخطوط بمكتبة الامبروزيانا برقم ٥٢٠ ٠

٢٥ ـ عبد الله بن حمزة بن هادي الدواري :

حكيم ماهر عاش في صنعاء وبرز في علم الطب والنجوم توفي سنة ١٢٦٩ هـ ٠

ـ له بلغة المقتات في معرفة الاوقات ٠ مخطوط بمكتبة الجامع برقم ٥٠ صنعاء ٠

٢٦ ـ حسين بن زيد الهبل ؟

ـ له تحفة الطالب في تسيير النيرين وحركات الكواكب ٠ مخطوط في ٣٢ ورقة بمكتبة الجامع ـ الكتب المصادرة ـ برقم ٤٢ مجاميع ـ صنعاء ٠

٢٧ ـ محمد بن علي بن محمد الديلمي :

يفهم من اسمه انه يمني ٠

له الزيج المختصر في تقويم الكواكب الخمسة والشمس والقمر ويسمى ايضا «زاد المسافر» منه نسخة مخطوطة سنة ١٠٩١ هـ بمدينة اب في ١١٤ ورقة بمكتبة أحمد بن عبد القادر الاهدل بزبيد ومصورة بمعهد المخطوطات التابع للجامعة العربية٠

٢٨ ـ لطف بن عبد الله بن عبد الله ابن حمزة الدواري «معاصر»:

حفيد عبد الله حمزة الدواري السابق : نيل الوطر ج ٢ ص ٧٩ ٠

ـ تكميل بلغة المقتات ٠ استكمل فيه جدول جده الى سنة ١٣٥٩ هجرية ٠

٢٩ ـ محمد بن حامد السقاف :

ولد سنة ١٢٦٥ هـ بحضرموت وتوفي بمكة سنة ١٣٣٨ هـ « مصادر ترجمته الاعلام ج٦ ص ٣٠٦ »٠

ـ له نصب الشرك فيما يحتاج اليه من علم الفلك ٠

٣٠ ـ عبد الوهاب بن علي بن يحيى الوريث المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ :

له تحفة الثقات في معرفة الاوقات ٠ ذيل فيه جدول عبد الله بن حمزة الدواري السابق٠ منه نسخة بخط ابن المصنف احمد بن عبد الوهاب الوريث في ١٢ ورقة برقم ٢ فلك بمكتبة الجامع الكتب المصادرة ٠

٣١ ـ عبد الواسع بن يحيى الواسعي المتوفى سنة ١٣٧٩ هـ :

ـ له زهر الزهور في معرفة الساعات والشهور ٠ منه نسخة مخطوطة سنة ١٣٤٦ هـ في ٢٤ ورقة برقم ٧ فلك ، ضمن الكتب المصادرة ، بجامع صنعاء ٠

وله ـ ثانيا ـ كنز الثقات في معرفة الاوقات ـ مطبوع ومتداول بين الناس ٠

●✻●

مراجعة في كتاب : المنتزع من الجزء الاول من الكتاب المعروف بـ « التـاجي »

● د ٠ محمد رضوان الداية

في الكتب التي صدرت مؤخرا كتاب لطيف الحجم كبير الفائدة والاهمية ، وهو مطبوع بعنوان (المنتزع من الجزءالاولمن الكتابالمعروفبالتاجي)لأبياسحاقابراهيم ابن هلال الصّابي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ٠ ووجه فائدة الكتاب وأهميته أنه يُضيف معلومات جديدة عن تاريخ عدد من الدول التي نبتت في الاطراف الشرقية من الخلافة العباسية ، وخصوصا في طبرستان ٠ وهو أيضا يكشف عن أسماء حكام كثيرين من رجال دولة طبرستان التي نهض بها جماعات من آل البيت من الفرعين الحسني والحسيني ، ويصحح بعض المعلومات عن تتابع أمرائهم ٠ وهو أيضا يوضح كثيرا من العلاقات بين الدول والامراء والقواد فيما بينهم وبين الخلافة في بغداد من جهة ؛ وفيما بين بعضهم بعضا من جهة ثانية ٠٠ وهو يقدم معلومات تاريخية أخرى هامة ٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

والكلام في الكتاب يحتمل الاطالة والتفصيل ويحتمل العرض المطول علىكتب التواريخ المعاصرة لتلك الاحداث ، وكتب التاريخ بعامة ، كما يحتمل العرض على ماكتبه المؤرخون المعاصرون من الغربيين ، ومن مؤرخي الشرق والعرب وغير العرب، أيضا٠ولكنني سأوجه حديثي-هنا-وجهتين اثنتين : ملاحظة أهمية مافي الكتاب من اضافات في مجال تسلسل الحكام ، حكام دولة طبرستان من أهل البيت ٠ ثم ملاحظة تحقيق النص واخراجه ٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

وأبدأ بمقدمة في المخطوطة ، والمحقق ، والمؤلف ٠

مخطوطة الكتاب مخطوطة فريدة - لا نعرف لها الى اليوم نسخة أخرى - محفوظة في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء بالقطر اليمني ٠ وهي أوراق قليلة (٤٢ ورقة كما ذكر المحقق) ملحقة بكتاب في الفقهالزيدي، محفوظ في المكتبة المذكورة برقم ١٥٤ ٠ وأخذت عنها دار الكتب المصرية صورة مصغرة (مكروفلم) وحفظت فيها برقم ٢٠٥ ٠

ومؤلف الكتاب شخصية مرموقة منرجال الدولة والكتابة والادب في القرن الرابع الهجري : أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابي ، من أسرة نبغت في ظل الدولة العباسية ، عُرف أسلافه بصناعة الطب ٠ وهم من صابئة حران ٠ قال الزركلي في تلخيص ترجمته : هو نابغة كتاب جيله ، تقلددواوينالرسائل والمظالم والمعاونتقليدا سلطانيا في أيام المطيع لله العباسي (حكم

٣٣٤-٣٦٤) ؛ وقلده معز الدولة الديلمي ديوان رسائله سنة ٣٤٩ ، فخدمه وخدم بعده ابنه عز الدولة (بختيار) • قال ابن خلكان : فكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد الدولة بن بويه بما يؤلمه ، فحقد عليه • فلما قتل عز الدولة وملك عضد الدولة بغداد [وكان يلقب أيضا بتاج الملة] اعتقله في سنة سبع وستين وثلاث مئة ، وعزم على القائه تحت أيدي الفيلة ، فشفعوا فيه • ثم أطلقه سنة احدى وسبعين • قال : وكان (عضد الدولة) قد أمره أن يصنع له كتابا في أخبار الدولة الديلمية فعمل الكتاب التاجي » • ويظهر أن الصابي ظل مبعدا في أيام عضد الدولة كما يفهم من وفيات الاعيان وفيه أنه بلغ عضد الدولة قول الصابي عن كتاب التاجي هو « أباطيل أنمقها وأكاذيب ألفقها »يعني من تاريخ بني بويه والاشادة بهم ،فحركت ساكنه وهيجت حقده • ويفهم من كلام ابن خلكان أن الصابي أطلق في زمن عضد الدولة غير أن ياقوت الحموي يوضح المسألة وينص على أن الخبر عن مقالة الصابي نقلت الى عضد الدولة وذاك سجين ، فكاد أن يقتله لولا شفاعة جماعة من الفضلاء فلبث في السجن الى أن أطلقه صمصام الدولة ابن العضد •

وكان ابراهيم بن هلال كما سبق على دين قومه صابئيا ، غير أن ذلك ، كما يقول الدكتور زكي مبارك : « لم يحل بينه وبين التحلي بأكرم الخصال في رعاية الاسلام » فقد كان يصوم رمضان مساعدة وموافقة للمسلمين وحسن عشرة منه لهم، ويحفظ القرآن حفظا يدور على طرفلسانه وسن قلمه • قال : وفي هذا أصدق الدلالة علي أن الرجل كان سليم الذوق ، كريم الطبع •• »•

وكانت للصابي صداقات تربطه بكبار رجال عصره وأدبائهم كالشريف الرضي ، وأبي الطيب المتنبي ، والصاحب بن عباد، وسواهم • قال ياقوت : وانما كان ينظمهم سلك الادب مع تبدد الدين والنسب•

وكان أسلوب الصابي مشرقا ، متميزا، وكثيرا مايفضل على أساليب معاصريه(*) ولد الصابي سنة ٣١٣ ، وتوفي سنة ٣٨٤ هـ •

••• ••• •••

ومحقق الكتاب هو الاستاذ الدكتور محمد صابر خان • جاء على صفحة الغلاف : حققه وصححه وعلق عليه ونقله الى الانجليزية : الاستاذ الدكتور محمد صابر خان - الطبعة الاولى - بنيان فرهنك ايران - طهران - ١٩٧٦ م - •

وقد لقيت الاستاذ البحاثة محقق الكتاب في زيارته لدمشق في أثناء مهرجان ابن عساكر (دمشق ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) ، وتفضل مشكورا فسمح بتصوير نسخة كانت معه من الكتاب المطبوع •

••• ••• •••

يتألف الكتاب المطبوع من قسمين : بالعربية وبالانجليزية • ويشتمل القسم العربي على نص المخطوطة وملاحظات

(*) وانظر ترجمته في : وفيات الاعيان ١ : ٣٤ ، ومعجم الادباء ٢ : ٢٠ ، ويتيمة الدهر ٢ : ٢٣ ، والنثر الفني في القرن الرابع للدكتور زكي مبارك ٢ : ٢٩٠ والاعلام ١ : ٧٣ •

ومقدمة وفهارس وجدول تصويبات ٠ ويقع القسم العربي في ٥٨ صفحة ٠

وصفحتا الملاحظات مقدمة كتبها الاستاذ الدكتور ناجي معروف استاذ الحضارة العربية ببغداد ٠ ويفهم من هذه المقدمة أنه قرأ مخطوطة الكتاب (بخط المحقق) ولم يطلع على صورة المخطوطة وقدم للمحقق ثبتا بتصويبات وملاحظات على النص لم ترد في المطبوع الذي بين أيدينا ، ويبدو أن المحقق أفاد منها في النص وفي الحواشي٠

ومقدمة المحقق كلمات في التعريف بالمخطوط ، والمؤلف (الصابي) والكتاب الاصل (التاجي) وبيان لخطة العمل في تحقيق الكتاب ٠ وقد اختصر في المقدمة العربية مافصله عن مكانة المخطوطة ، وما فيها من معلومات جديدة واضافات مفيدة (المقدمة العربية صفحة ز)٠

وألحق المحقق بالنص فهرسين : للاعلام والقبائل ، وللاماكن ٠ ثم ذيّل بصفحات ثلاث للخطأ والصواب٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

الكتاب الموجود اذن ليس كتاب الصابي كاملا ، وانما هو « منتزع » من الكتاب كما ثبت على غلاف الكتاب أو في مقدمته ٠ ولم يظهر للمحقق الذي « انتزع » ذلك القسم من الكتاب ٠ فالعنوان الوافي للمخطوطة هو: المنتزع من الجزء الاول من الكتاب المعروف بالتاجي في أخبار الدولة الديلمية ٠ وعنوان الكتاب الاصل هو : الكتاب التاجي في اخبار أو آثار الدولة الديلمية ٠ والكتاب (التاجي) هو الصورة الراجحة لاسم الكتاب ، وأورد المحقق صورا أخرى له ٠ وانما سمي بالتاجي نسبة الى عضد الدولة الذي خلع عليه الخليفة العباسي الطائع بالله لقب تاج الملة٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

والقسم المنتزع من الكتاب يختص بدولة طبرستان وأمراء البيت الحسني والبيت الحسيني الذين ولوا طبرستان وسواها من المناطق مثل جرجان ، ويتطرق الى علائقهم بعدد من ولاة العباسيين وسواهم من الامراء وقواد الجيوش والمتنفذين ٠ وتنبه الدكتور ناجي معروف في ملاحظاته (صفحة أ ـ ب) الى المعلومات التي يوردها المؤلف عن انتقال بني ضبة الى بلاد الجيل والديلم ، ثم ضياع لسانهم العربي ٠ قال مؤلف الكتاب (صفحة ٤) : « أما الديلم فمساكنهم في الجبل والسهل فيما يلي بحر طبرستان (بحر قزوين) ولاصولهم ومناسبهم أحوال مختلفة لان البعض قدماء العهود والبعض ناقلة (وافدون) ٠فالقدماء عِدَّت من بني ضبة ، وهم الذين افتضّوا عذرة السكنى في هذه البلاد ، وكانوا من أشد العرب بأسا فلم يكن لمن سواهم طاقة بهم ، وكثرت الطوائل عندهم ، واصطلحت العرب عليهم (تألبت) وبيت المحاصر والمناوي (كذا) قلت : ولعلها : ونبت المحاضر والمبادي ـ الحواضر والبوادي ؟) فرحلوا الى نواحي آذربيجان » ٠٠٠ الى أن قال : « وامحت العربية عن ألسنتهم وانقلبت الى الفارسية لغتهم لاحاطتها من جميع الجهات بهم ٠٠٠ الخ » ٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

والكتاب « يكشف بابا هاما في تاريخ الديلم والجيل (صفحة ز) ويتحدث عن حكومة أو بمعنى أدق عن امراء الزيدية

وأئمتهم في طبرستان . ويقدم معلومات عن آباء بني بويه الديالمة مما لايوجد في كتب أخرى ، وعن بني سامان . ويعرض ، قلة أو كثرة بحسب سير الاحداث لعدد من أمراء الدويلات وقوادها ورؤوسها مما كان مجاورا لدولة طبرستان أو يرتبط بها بعلاقة أو يتصل بها بخصومة ... الخ ، كالمعلومات التي نستفيدها عن بني جستان (بلاد الديلم) وبني سلار (بنو المرزبان أو بنو مسافر) بأذربيجان ، وبني حسنويه ، والزياريين (بجرجان) وبني صعلوك (ولاة الري) والسامانيين (الذين كانت لهم مع أئمة طبرستان وقائع وقطعوا دولتهم مدة)، والصفاريين (حاربوا أئمة طبرستان ، وتغلب عليهم السامانيون) .. الخ.

وقد عرف المتقدمون أهمية الكتاب فأخذوا عنه وأفادوا منه ، مثل البيروني وابن حصنول (صاحب تفضيل الاتراك على سائر الاجناد) وابن اسفنديار (صاحب تاريخ طبرستان) وابن الاثير ، وابن خلكان، وابن خلدون ، وحمد الله مستوفى قزويني (صاحب نزهة القلوب) وظهير الدين مرعشي (صاحب تاريخ طبرستان : رويان ومازندران) وميرخواند (صاحب روضة الصفا) وابن العديم ،وعبد الملك الهمذاني، العوفي (صاحب جوامع الحكايات) والآملي (صاحب تاريخ رويان) ورشيد الدين فضل الله (صاحب جامع التوايخ) وغيرهم ممن ذكر الكتاب أو أخذ عنه ...

ويظهر أن الكتاب الاصلي كان كبيرا ، شاملا ، لان القسم المنتزع (الذي طبع) لايتحدث عن الغرض المقصود من تأليف الكتاب ، وهو ذكر بني بويه على وجه التفصيل والترتيب ، ولاشك في أن الذي انتزع هذا القسم (أو اختاره ، وربما اختصر في أثنائه أيضا) اهتم بدولة الائمة بطبرستان دون سواها . فوصل الينا الفرع ، وغاب الاصل .

ويحس قارىء المنتزع أن الذي انتزع ذلك القسم اختصر في بعض جوانبه وربما تدخل مرة او مرتين بانطباعات ذاتية واضافات شخصية .

... ...

في كتاب الدول الاسلامية لستانلي لين بول ورد ذكر أسماء الأئمة والدعاة في طبرستان والديلم وجيلان ، وتحدث المؤلف عن قيام دولتهم على انقاض الدولة الطاهرية . ورتبهم على النحو الآتي :

- الحسن بن زيد (سنة ٢٥٠ هـ)
- محمد بن زيد (٢٧٠هـ)
- السامانيون يقضون على استقلالهم سنة ٢٨٧ هـ .
- ثم : الناصر حسن بن علي (الملقب بـ (الأطروش) (٣٠١) .
- فالحسن بن قاسم (٣٠٤-٣١٦).

وقال بعد ذلك : « وقامت بعض الاسر العلوية فأعلنت استقلالها منهم أبو الفضل جعفر الثائر بالله : حكم ، وسك عملة » (راجع الجزء الاول من الدول الاسلامية ١ : ٢٥٨) .

أما ترتيبهم في معجم زامباور (معجم الانساب والاسرات الحاكمة) فكان على النسق التالي :

(قال : الحاضرة : آمل ، وسارية) : بنو الحسن :

الحسن بن زيد بن محمد (٢٥٠) هـ ٠
محمد بن زيد (الداعي القائم بالحق) ٢٧٠ هـ ٠

احتل السامانيون طبرستان (٢٨٧ – ٣١٠) هـ ٠

بنو الحسين :

- أبو الحسن بن علي الاطروش ، الناصر (زميل محمد بن زيد في الجندية) (٣٠١) هـ ٠
- الحسن بن قاسم (الداعي الصغير) (٣٠٤) ٠
- أبو الفضل جعفر (الثائر في الله) ابن محمد بن الحسن الاطروش (٣١٦)هـ
- أبو عبد الله محمد المهدي بن الحسن (الداعي) (توفي ٣٦٠) هـ ٠
- أبو الحسين أحمد المؤيد بن الحسين الثائر بن هارون ت ٤٢١ هـ ٠
- أبو طالب يحيى الناطق بالحق (ت ٤٢٤) هـ ٠

... ...

وهذه سلسلة أئمة حكام طبرستان (وغيرها) من الفرع الحسني ، والفرع الحسيني (الزيدية) بحسب ما جاء في المخطوطة (المنتزع من التاجي) ٠ وقد مهد المؤلف لوصول ذينك الفرعين الى تلك البلاد وتوليهم شؤونها مدة من الزمن ٠ فذكر أن أول من لجأ من العلويين الى بلد الديلم يحيى بن عبد الله بن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب ، اعتصم ثمة من هارون الرشيد ثم نزل على عفوه وأمانه ، ولكنه كما يقول الكتاب « طرق لمن بعده المسير الى ذلك الطرف » – النشرة المحققة صفحة ١١ – ٠

وفي سنة ٢٥٠ خرج بالكوفة أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد ولم يطل خروجه لتغلب محمد بن عبد الله ابن طاهر ٠ وفي هذه السنة نفسها خرج بالكوفة أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد ولم يطل خروجه[1] لتغلب محمد بن عبد الله بن طاهر عليه٠ وفي هذه السنة نفسها خرج الداعي الاول ببلد الديلم ، وهو الحسن بن زيد بن اسماعيل ابن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين٠

... ...

ونبدأ بذكر الآئمة منهم :

١ – الحسن بن زيد (٢٥٠) الداعي الى الحق (الحاضرة آمل) ٠

وهو الذي أخرج بني طاهر من ولايتهم التي كانت بدأت مع جد أسرتهم أيام المأمون ، وملك طبرستان ، « وقد أسلم على يده أطراف الديلم » (المنتزع صفحة ١١–١٢) وتوفي سنة ٢٧٠ (حكم بلادالديلم وطبرستان وجرجان) ٠

١* – وقبل وفاته ، أوصى الحسن بن زيد لاخيه محمد بن زيد ٠ غير أن صهره محمد بن ابراهيم أخفى الوصية وتولى الامر ٠ وعلم محمد بن زيد فجاء مسرعا فهرب الى (شالوس)ثم انتهى أمره(فقتله محمد بن زيد ولم تطل مدته)٠

٢ – محمد بن زيد (٢٧٠)٠
وتلقب أيضا بالداعي – مثل أخيه

---

(١) وهو الذي رثاه ابن الرومي بقصيدته الطويلة المشهورة:
امامك فانظر اي نهجيك تنهج طريقان شتى مستقيم واعوج
الا ايهذا الناس طال ضريركم
يآل رسول الله فاخشوا او ارتجوا
(ديوان ابن الرومي – ط دار الكتب المصرية) ١:٤٩٢ .

الحسن - وهو الذي : أفاض الاموال على شيعته وأهل بيته ممن بالحجاز والكوفة والبصرة وطبرستان وسواها ٠ وأسلم على يده قوم من الديلم ٠ وهو أول من بنى على قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رض) وأبي عبد الله الحسين٠

وانتهى عهده سنة ٢٨٧ ٠ في خبر طويل٠ غلبه جيش اسماعيل بن أحمد الساماني (قتل محمد بن زيد وأسر ابنه زيد ٠

قال المؤلف ولزيد عقب في بخارى حيث استقر) ٠

وانقضى الفرع الحسني منهم في تلك البلاد ٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

ثم ظهر الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رض) ٠ فبعد مقتل محمد بن زيد خرج الحسن المذكور الى جستان بن وهسوذان (بالري) وكان حكم جستان من ٢٩٠-٣٠٠ هـ ٠ وآل أمر الحسن بن علي الى أن تولى شؤون الري ثم أخذ طبرستان ودخل آمل ٠ وقرّب الحسن بن قاسم وجعل قيادة جيشه لليلي بن النعمان ٠

اذن أول الفرع الحسيني هو :

١ - الحسن بن علي (٣٠١-٣٠٤) ويلقب في كتب التاريخ بالأطروش ٠ ويظهر أنه لقب ينبز به ٠ ولكن الصابي في الكتاب التاجي لم يذكر هذا اللقب مما يدل على أنه نبز ٠ وكان للاطروش الذي تلقب بالناصر ثلاثة أولاد سيكون لهم ولاولادهم شأن ، في أمور المنطقة بأسرها ٠ وتوفي سنة ٣٠٤ عن ٧٥ عاما ، بمدينة آمل ٠

وأولاده :

- أبو الحسن علي ، وكان كبير اخوته ، شاعرا ٠ (جافى أباه مدة وأقام عند ابن أبي الساج بأذربيجان)٠
- ابـ والقاسم جعفر ٠
- أبو الحسين أحمد وكان شجاعا ذا بأس٠

٢ - الحسن بن القاسم (٣٠٤-٣١٦) حكم بعد الحسن بن علي ٠ قدمه الناصر دون اولاده٠ ندب الحسن بن القاسم ابني الناصر (أبا القاسم جعفر وأبا الحسين أحمد) لحراب الخراسانية (السامانيين) وجعلهما خليفتين بجرجان ٠

١* - خلع كل من جعفر وأحمد (أولاد الناصر) واستقلوا عن الحسن بن قاسم ٠ ولكنه هزمهما ثم ماتا واحدا بعد الاخر ٠ وهنا تظهر أسماء عدد من القواد والزعماء في ظل دولة الزيدية مثل ليلي بن النعمان٠ وعلي بى خورشيد وما كان بن كاكي ٠ وكل واحد من هؤلاء له شأن٠

٣ - تولى أبو علي محمد بن أبي الحسين أحمد بن الناصر بآمل (قال المؤلف والديلم يسمون جعفر وأحمد وأولادهما كل واحد منهم باسم الناصر (بلقب أبيهم الناصر)وخرج وبمعونة بلحسين بن كاكي الى (سارية)٠

٢* عودة الحسن بن قاسم (ثانية) (كان بالجبل) ٠ طلبه ماكان بن كاكي ودبر جيشه وقتل في خبر طويل على يد أسفار ابن شيرويه (٣١٦)٠

٤ - أسفار بن شيرويه قائد نصر الساماني يعين (للصلاة والدعوة) بآمل بالاتفاق مع أبي موسى هارون بن بهرام

ابا جعفر محمد بن أبي الحسين احمد بن الناصر :

ولكن نصرالساماني يرفض هذا التعيين. نهاية أمر أبي جعفر.

٥ - أبو موسى هارون ينصب بآمل (طبرستان) اسماعيل بن جعفر بن الناصر.

ولما مات لم ينصب أحد من هذه الاسرة.

٦ - هرب أبو جعفر محمد بن أحمد .

ولما غلب مرداويج بن زيار (من الاسرة الزيارية) على الري وقتل أسفار بن شيرويه نصب أبا جعفر وقصر أمره على الصلاة بالناس طوال حياة مرداويج (توفي ٣٢٣) .

٧ - في سنة ٣٢٠ ثار ببلد الجيل (أبو الفضل جعفر بن محمد بن الحسين (الثائر بالله) وملك طبرستان سنة ٣٣٧ . ثم عاد الى بلد الجيل بقية سنة ٣٣٧ . وتوفي أبو الفضل بعد منازعات طويلة سنة ٣٥٠ بمدينة هوسم(١) .

٨ - وحكم بهوسم بعده : أبو الحسين مهدي (القائم بالحق) ٣٥٠-٣٥١ .

٩ - ثم أخوه أبو القاسم الحسين بن جعفر (الثائر في الله) بهوسم.

- حروب مع لنكر بن وشمكير - (هكذا اسمه هنا باللام) وكان حارب أباه - .

١٠ - وبهوسم أيضا : أبو الحسن بن محمد بن أحمد بن الناصر (وهو قتل لنكر سنة ٣٥٣) وخرج عليه أبو محمد الحسن المعروف بأميركا بن أبي الفضل جعفر الثائر في الله .

١١ - أبو محمد الحسن (المعروف بأميركا) ابن أبي الفضل جعفر.

١٢ - جاء من بغداد (وكان نقيبا للطالبيين بها) أبو عبد الله محمد بن الحسن بن القاسم بطلب من ماناذر بن جستان ملك الديلم . ولكن أبا محمد الحسن يغلب أبا عبد الله محمد. وثار أيضا محمد بن الحسن ابن محمد بن الناصر . وساعد أبا عبدالله.

هروب أبي محمد الحسن (المعروف بأميركا) وتولي :

أبي عبد الله محمد بن الحسن (الآتي من بغداد) الملقب بالمهدي لدين الله (توفي ٣٦٠) .

وفي مدة أبي محمد أميركا وأبي عبد الله الحسن حوادث وشؤون كثيرة بينهما وردت في الكتاب مختصرة جدا . غير أنهما اتفقا بعد خلاف سنة ٣٥٨ . ثم وفاة أبي عبد الله سنة ٣٦٠ .

١٣ - أبو محمد الحسن المعروف (بأميركا) بـ هوسم . مقتله (؟) .

١٤ - أبو محمد الحسن بن محمد بن أحمد بن الناصر .

- قيام أبي القاسم الحسين بن جعفر (اخي محمد بن جعفر أميركا) الملقب بالمكحول ثم مقتله .

١٥ - أبو الحسن علي بن الحسين بن أبي القاسم (تلقب بالداعي) .

وبقي الى وقت تأليف الكتاب (سنة ٣٧٠ او ٣٧١) كما استظهر المحقق .

... ...

---

(١) هوسم : قال ياقوت : من نواحي بلاد الجيل خلف طبرستان والديلم .

نشر المحقق هذا النص عن نسخة فريدة ٠ ونشر النصوص المفردة مشكلة من مشكلات النشر سواء كان النص واضحا أم كان فيه قضايا في الرسم أو الضبط أو النقص أو التآكل ٠٠ الخ ٠ ويبدو لي الناسخ كان يجري على قواعد في الرسم والنقط محددة وعلى أصول في رسم بعض الاعلام وكتابة الهمزات الخ ٠٠ يبدو ذلك من خلال ملاحظات التحقيق في الحواشي ٠ ولكن المحقق أكثر من الشكوى من النسخة ٠ ولم يرسم لنا صورة من الكتاب لنعرف حقيقة تلك الشكوى٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

وقد وقعت هفوات في الطباعة استدرك المحقق معظمها وفضلت فضول لاتكاد تخلو منها طبعة عربية ٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

أما النص نفسه فيظهر لي أن بالامكان اعادة النظر فيه ، ولاشك في أن المحقق البحاثة قد استفرغ جهده ، ووصل بحق الى حل قضايا كثيرة ومشكلات عويصة ٠ ومع ذلك فان في النص مواقف كثيرة حقا في حاجة الى اعادة النظر ٠ وقد استطعت - وهذا رأي أكثر منه تصوير حقيقة - أن أعيد قراءة بعض الكلمات وبعض الجمل أحببت أن يشاركني القارىء في مطالعتها٠

٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠

● في النص المطبوع في الحديث عن أصول الديلم والجيل « وسرى في أعقابهم عرق الشجاعة والبسالة وتضاعفت منهم الشدة والقوة بحسب طبيعة الارض التي سكنوها وأنبتتهم تربتها ٠ ومن أجل دخول [ثأر] وطوائل نشأت فيهم واضطرتهم الى أن تكون الحرب ديدنا لهم ٠٠» ص ٥ سطر ١ ٠

- قلت ، الصواب : « ٠٠٠ ومن أجل ذحول وطوائل نشأت فيهم » لم تتضح للمحقق ذحول (جمع ذحل = ثأر) ٠ ولاضرورة لاقحام كلمة ثأر على النص ٠

● في المطبوع (ص ١١ سطر ١٩) «مرافق أهل الثغور ومعيشتهم ومحتطبهم » ٠

- قلت الصواب ما أثبت رسمه في الهامش وهو « مرافق أهل الثغور ومحتشهم ومحتطبهم » لم يعرف محتشهم فبدلها الى معتشبهم ٠

● في المطبوع (صفحة ١٩ سطر ٢) « فتأمله ساعة وقال : احلف به أن يكون صادقا » ٠٠٠

- قلت الصواب : « فتأمله ساعة وقال أخلق به أن يكون صادقا »٠٠٠

● في المطبوع (ص ١ سطر ١٣) « ولا غلبتهم الامم التي كانت بحارتهم » ٠

- قلت الصواب ، لعله ، : التي كانت تجاورهم ٠ أو تحادهم٠

● في المطبوع (ص ١٠ سطر ٥) « فلما شخص الفضل الى ذلك انصرف ورأى قوة جانب الديلم علم أن في محاربتهم خطرا عليه ٠٠٠»

- قلت الصواب : « ٠٠ الى ذلك الطرف ورأى » ٠ وقد ورد في الصفحة التالية قول المؤلف : وطرق يحيى بن عبد الله لمن بعده من أهله المسير الى ذلك الطرف٠

● في المطبوع (ص ١٥ سطر ١٥) « فكر الى الحرب وقد انقضّت صفوف »٠

ـ الصواب ، « وقد انفضت » بالفـاء الموحدة .

● في المطبوع (ص ١٦ سطر ٩)«ودخل الى خراسان سرا يدعو الناس اليه وبـدر به فحبس بخراسان ..»

ـ قلت الصواب ، لعله : « .. ونذر به..»

● في المطبوع (ص ١٧ س ٧) « وكيف لنا برجل يفقهنا على حدوده وفروضه ـ أي الدين ـ ...»

ـ قلت الصواب « وكيف لنا برجل يقفنا على حدوده ...»

● في المطبوع (ص ٢٢ س ١٥) :

نجا جبل الديلمين المنيـ
ف يدعو الى الله رحمانهـا

ـ قلت الصواب (نحا) ونبه الى الصواب في الهامش وظنه خطأ .

● في المطبوع (ص ٢٤ س ٤) « بنفسي قتيلا » .

ـ الصواب كما في الاصل: (بنفسي قتيل) غير أن المحقق بدله وظنه خطأ.

● في المطبوع (ص ٢٧ س ١٧) «وأنقض عسكر الخراسانية » .

ـ الصواب : وانفض عسكر الخراسانية.

● في المطبوع : « ان الصواب خروجك الى طبرستان ليدفع عنها فانك الامام » .

ـ الصواب « .. الى طبرستان لتدفع عنها ».

● في المطبوع « ولم يزل يستدعي منهم منهم رجلا رجلا الى موضع خلوته فقتله الى أن قتل منهم سبعة نفر ..»

ـ الصواب « الى موضع خلوته فيقتله..»

● في المطبوع (ص ٣٩ س١١-١٢) : « الى أن استبد كان لابي القاسم المكحول [ابـن] يقال له أبو الحسـن علـي بن الحسين .. » .

ـ الصواب « الى أن استبد ابن كان لابي القاسم المكحول .. » ولا لزوم لاضـافة [ابن] . وأثبت المحقق في الهامش أن الاصل (استدار) . والحق أنها (استبد ابن) . غير أن المحقق لم يتمرس بطريقة الناسخ أو فاتته هذه الكلمة.

● في المطبوع (ص ٤٤ س ١٠) « ليقا وأجدعا) .

ـ الصواب « ليتا وأخدعا » بالخـاء الفوقية .

... ...

وقد أثبت على النص ملاحظات كثـيرة في قراءتي له وفي رسمه (تصورا) ، غير أنها مما لايمكن التثبت منه دون الوقوف على المصورة نفسها .

... ...

وبعد : ان هذا الكتاب ، من الكتب النفيسة لما تضيفه من معلومات وما تجلو من غموض عن حقبة من التاريخ في بقعة كبيرة مـن كبـيرة الارض . وهـو جديـر بالعنـاية والعرض على المعلومات التاريخية لهـذه المـدة .

وان جهد المحقق مما يستحق الثناء ، والتقدير .

صنعاء تستقبل المؤتمر التاسع للآثار في الوطن العربي

تستقبل صنعاء بتاريخ ١٦/٢/١٩٨٠ الوفود العربية المشاركة في المؤتمر التاسع للآثار في الوطن العربي • وحتى لا نستبق الأحداث نأمل أن يقدم الباحثون العرب اضافات هامة ونرجو أن نستكمل ملفاً كاملاً عن هذا المؤتمر في العدد القادم • ونكتفي الآن بنشر هاتين الرسالتين اللتين وزعتا على اللجان الوطنية في البلاد العربية كافة •

١

جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

ادارة الثقافة

تهدي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ادارة الثقافة) أطيب تحياتها الى اللجنة الوطنية (••••) للتربية والثقافة والعلوم •

وتتشرف بالافادة أن المؤتمر العام للمنظمة قد وافق على عقد المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية خلال شهر سبتمبر ★ ١٩٧٩ بمدينة صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية ،

وأوصت اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف في دورتها الثالثة التي عقدت بمدينة سيؤون بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (نوفمبر ١٩٧٧) أن تكون عناصر الموضوع الرئيس في جدول الاعمال على النحو التالي :

أ ــ اوضاع الآثار الاسلامية في الوطن العربي

ب ــ تقييم البحوث العربية في الآثار الاسلامية •

جـ ــ تقييم البحوث الاستشراقية في الآثار الاسلامية •

د ــ المسال والدروب الاسلامية وأهميتها •

هـ ــ أثر فنون الجزيرة العربية قبل الاسلام في الفن الاسلامي •

و ــ دور الفنون الاسلامية وأثرها على الفنون الحديثة •

ز ــ المسكوكات في الحضارة الاسلامية •

ح ــ الخط العربي في الحضارة الاسلامية •

ط ــ صيانة المدن الاسلامية •

وتتم التغطية العلمية لهذه العناصر عن طريق تكليف علماء خبراء اعداد بحوث فيها وذلك فيما عدا العنصر الاول الذي قررت هذه اللجنة بشأن تغطيته ما يلي :

★ تغير تاريخ انعقاد المؤتمر واصبح الافتتاح بتاريخ ١٦/٢/١٩٨٠ م بالعاصمة صنعاء .

« يطلب من الجهات الآثارية المختصة في كل منها (بحيث يغطى العنصر (أ) من عناصر الموضوع الرئيس (أوضاع الآثار الاسلامية في الوطن العربي) وتوافى المنظمة في وقت مبكر يتيح لها وضع دراسة مقارنة عن اوضاع الآثار الاسلامية في الوطن العربي مستقاة من هذه التقارير اذا رأت ضرورة لذلك .

وترجو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلو ان تتفضل بالتقرير المشار اليه عن اوضاع الآثار الاسلامية في الدولة ، كما ترجو ان يصلها هذا التقرير في موعد أقصاه نهاية فبراير ١٩٧٩ .

وتنتهز المنظمة هذه الفرصة لتعرب عن فائق احترامها »»

١٢/٩/١٩٧٨

٢

تهدي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ادارة الثقافة) أطيب تحياتها الى اللجنة الوطنية (....) للتربية والعلوم والثقافة .

وتتشرف بالافادة أن المؤتمر العام للمنظمة قد وافق على عقد المؤتمر التاسع للآثار في البلاد العربية بمدينة صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية خلال شهر سبتمبر ١٩٧٩ ،

وقد أوصت اللجنة الدائمة للآثار والمتاحف في دورتها الثالثة التي عقدت بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية (نوفمبر ١٩٧٧) بأن ينظم خلال هذا المؤتمرمسابقة لاختيار أحسن فليم تسجيلي عن الآثار الاسلامية والمتاحف، وحددت هذه اللجنة شروط منح جائزة الفيلم وهي :

ـ ألا يكون قد مر على انتاج الفيلم أكثر من ثلاث سنوات .

ـ أن يدور موضوع الفيلم ومادته حول الآثار الاسلامية .

ـ هذا وسيتم اختيار الفيلم الفائز بمعرفة لجنة تحكيم تشكل من رؤساء الوفود الى المؤتمر .

يمنح الفيلم براءة تقدير وجائزة ماليةرمزية قدرها ٢٥٠٠ دولار أمريكي .

وترجو المنظمة التفضل بابلاغ الموضوع الى الجهات الآثارية للنظر في امكان المشاركة في هذه المسابقة وابلاغ المنظمة باسم الفيلم وموضوعه والمدة التي يستغرقها عرضة واسم الجهة المنتجة واسم المخرج، واسم من كتب النص أو السياق العلمي والفني ،

وذلك كي يؤخذ في الاعتبار عند الشروع في وضع برنامج عرض الافلام التسجيلية التي ستعرض خلال المؤتمر المشار اليه .

وتنتهز المنظمة هذه الفرصة للاعراب عن فائق احترامها »»

هذه المجلّة

بقلم: يحيى حسين العرشي
وزير الإعلام والثقافة
في الجمهورية العربية اليمنية

اليمن ، بماضيها الحضاري .. الغني بالعطاء الانساني ، على رغم بعض ما كتب عن ذلك ونشر وتناقلته البعثات العربية والأوروبيـة ... لكنها في الحقيقة ما زالت في حاجة الى المزيد من الجهود .. بحثاً ودراسة ونشراً ... لا باعتبارها يمنية الاصل - ولكن أيضاً باعتبارها ، مصدراً من المصادر الاساسية لحضارة عاشها العرب ، وغير العرب .. باعتبارها شعلة مضيئة ... يجب أن نستمد منها مايوقد شعلة اليوم ، شعلة « اليمـن الجديد » ، يمن الثورة ، والانعتاق من جمود كان سبباً في إهمال المخطوطات اليمنية في المخازن الحكومية والاهلية - وكان سبباً - أيضا في ضياع بعضها وخروجه الى تلك المكتبات العالمية التي تحتفظ بها ، وتعتبرها من كنوزها الثمينة لمكتبات بريطانيا ، وأمريكا ، وميلانو ، وتركيا ، وغيرها ... هذا بالاضافة الى النقوش والآثار بالغة الاهمية الضائعة والمنهوبة ، أو المطمورة تحت الانقاض ، أو تلك التي أصبحت من ممتلكات الرحالة الذين مايزالون حتى اليوم يتمتعون بسهولة الحصول عليها بثمن بخس .. أو بغير ثمن ، مستغلين ، أما حاجة المواطن الذي لايعرف ثمنها الحقيقي ، أو طيبته ، ومغالاته في إكرام ضيفه « الزائر » ، أو « السائح » .

لتلك الاعتبارات وغيرها والتي منها ، أن عالم اليوم يعيش في عصر تثبيت الهويات الثقافية للأمم ، أو الشعوب ، لمواجهة العدوان على ثقافاتها الذي لايقل عن العدوان على أراضيها .

ولان المجتمع المستقل ، هو الذي يؤكد الطابع الذاتي لثقافته ، ويعمل على توفير التفاعل بينها وبين غيرها في إطار الحفاظ على هويتها وأصالتها لتواصل إسهامها في الحضارة الانسانية ، وفي بنـاء مستقبل الانسان .. لذلك استجابت - وزارة الاعلام والثقافة - التي تنجز مشروع طباعة « المائة كتاب » ، من التراث ، ومشروع المسح العام لتراثنـا الغنـائي والفلكلوري الشعبي ، وتدوينه وتطويره ، وإصدار مجلة ثقافية - اليمن الجديد - وتقوية مسرحنا الوطني ، ونشاطات «المراكز الثقافية» ، في المحافظات .. استجابت الوزارة ، على رغم قصور إمكانياتها ، لمسئولية اصدار مجلة «متخصصة»،

ثقافية ، تراثية ، فصلية مؤقتا ـ كوعاء لكل الباحثين والدارسين والمهتمين بشئون الحضارات والتراث والثقافة اليمنية ، وحلقة وصل بين أولئك العلماء في التاريخ من غير اليمنيين الذين يجدون صعوبة في طرح ما لديهم من دراسات ومناقشات وتحاليل بشكل متواصل وسهل النشر ، وللاستفادة من كل ماجد من معلومات في مصادر علمية جديدة ، كموقف تتجسد فيه نظرتنا للتاريخ وهو ما تقتضيه حركة التاريخ المتجدد ، وعمل ، يجب على الهيئات والمنظمات العملية المتخصصة إعانتنا عليه ، مساندة منها لامكانيات وجهود الحكومة التي لاتبخل بها ، كل ما أمكن لها ذلك ، خاصة وقد أنشأت من أجل ذلك الأجهزة المختصة ، كمركز الدراسات والبحوث اليمنية ، والهيئة العامة للآثار ودور الكتب ، وباختيار التسمية لهذه المجلة الوليدة (الاكليل) .

ونعتقد أن الوزارة ، بذلك ، أفصحت بوضوح عن أهدافها من هذه المجلة ، فلقد كان العالم اليمني والمؤرخ أبو الحسن الهمداني ، صاحب الاكليل ، و (صفة جزيرة العرب) حجة في التاريخ والآثار .. وكان (الاكليل) أنشودة المفكرين من رجالات العلم وفطاحلة طلاب الحقائق الناصعة ، قديماً وحديثاً ، لما يحتويه في طيات أجزائه العشرة من كنوز العلم والمعرفة ، وتحدث عنها الكثير ، من المستشرقين والبحاثة المجتهدين ..

وبهذه التسمية ، لاشك ، أخذت الوزارة ، على عاتقها ، عهداً بالغ الأمانة ، في أن تكون المجلة صادقة مع اسمها وحسبها .

ولكي تكون كذلك ، فان المؤرخ والباحث والكاتب اليمني مطالب اليوم ، أكثر من أي وقت مضى ، أن يعي دوره ومسئوليته تجاه هذه الفرصة المتاحة له ، ليكون إيجابياً وصادقاً ، مع واجبه ومهمته ، وأمينا بما لديه ، ومريحاً لضميره ولمواطنته .

وما هذا العدد الأول من (الاكليل) بما احتوته من بحوث ودراسات متعددة المصادر عن التراث اليمني سواء من تواريخ لبعض المدن اليمنية ، كتاريخ مدينة (زبيد) ، للحضرمي ، أو لغيره ، كالباحث النشيط عبد الله

الحبشي ، ود. ديفيد كينج ، وغيره من الباحثين العرب والمستشرقين ، إلا بداية متواضعة لرسالة هذه المجلة .

وأجدني في هذا العدد مؤكداً لما قاله الدكتور جواد علي في تلك الأطروحة التاريخية العلمية ، والتي تخللها لقاء المجلة ، بأن التراث اليمني غني ، ولكن لم يتم ، حتى الآن ، تناوله بالشكل الصحيح ، وإننا بحاجة الى البحث والبحث .

ولذلك فإن « الاكليل » مجال مفتوح لكل بحث علمي ، لنتمكن جميعاً من العمل في التراث العربي الانساني بحقائق مجردة ، مادمنا على الطريق في رحلة البناء لذاتنا الفكرية ، وذاتنا الاجتماعية ، والوطنية ، والقومية - رحلة عطاء الفكر وعطاء العمل - لا لنقطع رحلة فقط ، بل لنقطع رحلات متعددة الى الأعماق ، لنحقق الترابط الحيوي بين ماض ، مازال مضيئا ، وحاضر يتجدد بالأمل .. مضيئاً الى المستقبل .. أكثر وعياً وإشراقا .

وفي ختام تقديمي ، أتمنى لهذه المجلة التوفيق :

في نجاحها أولا ، .

وفي انتظام صدورها ، واستمرارها ، ثانيا .

مسجلا شكري لكل الجهود التي بذلت لانجاز هذه البداية ، ومنها ، جهد الأخ العزيز الشاب، رئيس تحرير مجلة (الاكليل) ، وعلى وجه الخصوص الذين أسهموا في العدد الاول ولكل من يشارك على العموم.

والله الموفق .

صنعاء في ١٩٨٠/١/٢٣ م
وزير الاعلام والثقافة
يحيى حسين العرشي